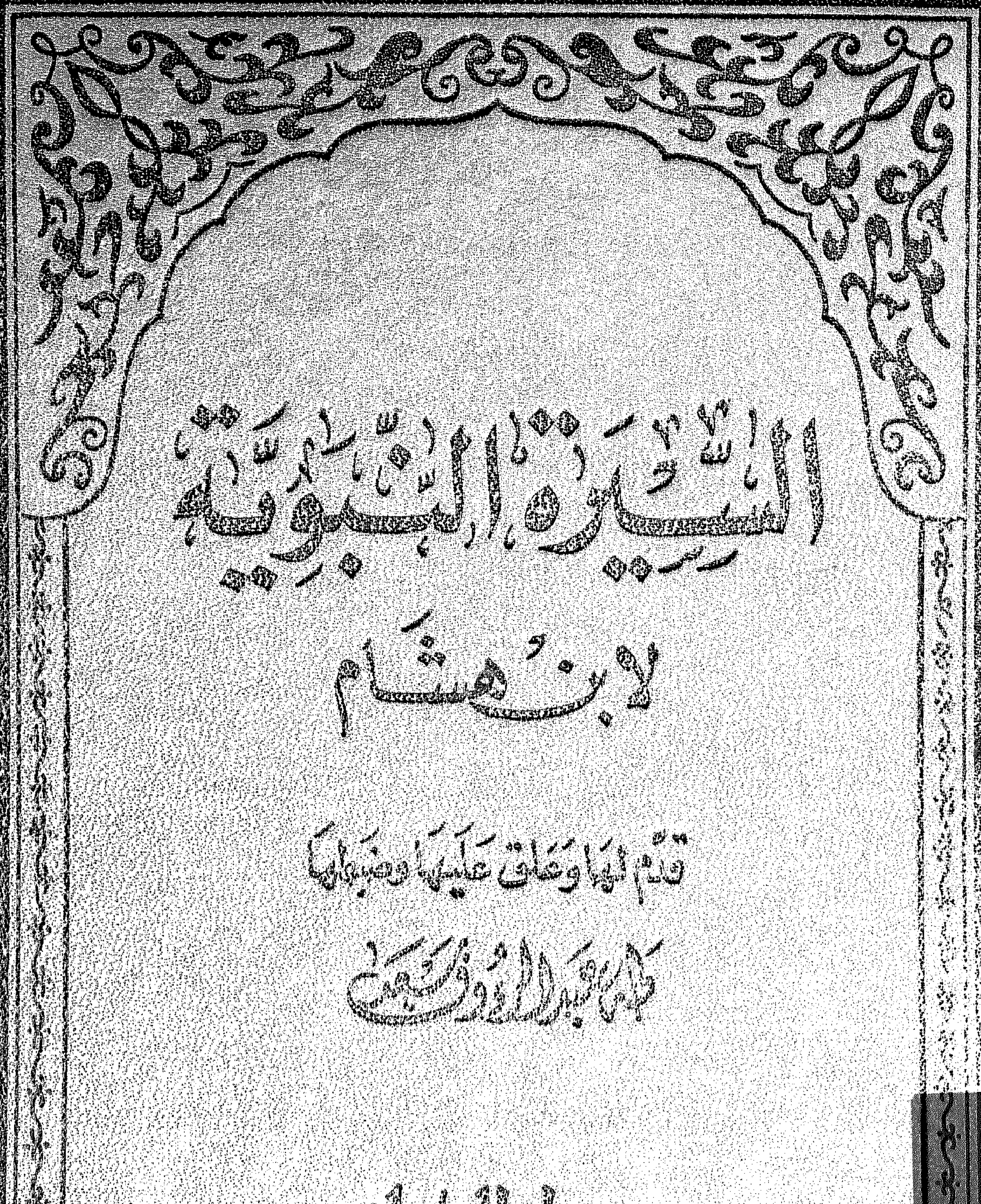


السيرة النبوية

لابن هشام

قدم لها وعلق عليها وضبطها

طه عبد الرؤوف سعد

دار الجيل

السيرة النبوية

لابن هشام

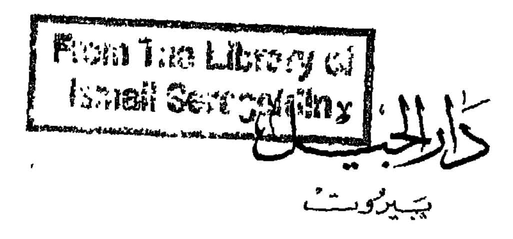
أبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى

المتوفى بمصر سنة ٢١٣ هجرية

قدم لها وعلق عليها وضبطها

طه عبد الرءوف سعد

الجزء الثالث



دار الجيل

بيروت

طبعة جديدة .
مضبوطة ــ منقحة

بسم الله الرحمن الرحيم

غزوة بنى سليم بالكدر

قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقم بها[1] إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه ، يريد بنى سُليم

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سباع بن عُرفُطة الغفارى ، أو ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : فبلغ ماء من مياههم ؛ يقال له : الكُدر ، فأقام عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلق كيداً ، فأقام بها بقية شوال وذا القعدة ، وأفدى فى إقامته تلك جل الأسارى من قريش .

غزوة السويق[2]

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام: قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى ، عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السويق فى ذى الحجة، وولى تلك الحجة المشركون من تلك السنة ، فكان أبو سفيان كما حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، ويزيد بن رومان ، ومن لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان من أعلم الأنصار ، حين رجع إلى مكة ، ورجع فل[3] قريش من بدر ، نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة[4] حتى يغزو محمداً صلى الله عليه وسلم ، فخرج فى مئتى راكب من قريش ، ليبر يمينه ، فسلك النجدية ، حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له : ثيب ، من المدينة على بريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل، حتى أتى بنى النضير تحت الليل ، فأتى حيى بن أخطب ، فضرب عليه بابه ، فابى أن يفتح له بابه وخافه ، فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم ، وكان سيد بنى النضير فى زمانه ذلك ، وصاحب كنزهم . فاستأذن عليه ، فأذن له ، فقراه وسقاه وبطن[5] له من خبر الناس ، ثم خرج فى عقب ليلته حتى أتى أصحابه ، فبعث رجالا من قريش إلى المدينة ، فأتوا ناحية منها، يقال لها: العريض فحرقوا فى أصوار[6] من نخل بها ، ووجدوا بها رجلا من الأنصار وحليفاً له فى حرث لهما ، فقتلوهما ، ثم انصرفوا راجعين

---

(١) أى لما قدم من بدر لم يقم بالمدينة .

(٢) السويق : عبارة عن حنطة أو شعير محمص مطحون ممزوج بعسل وسمن .

(٣) الفل : المنهزمون . (٤) كان الغسل من الجنابة معمولا به فى الجاهلية .

(٥) بطن له أمر الناس : أعلمه بسرهم . (٦) الأصوار : جمع صور وهو جماعة النخل .

ونذر بهم الناس . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبهم ، واستعمل على المدينة بشير ابن عبد المنذر ، وهو أبو لبابة ، فيما قال ابن هشام ، حتى بلغ قرقرة الكُدْر ، ثم انصرف راجعاً ، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه ، وقد رأوا أزوادا من أزواد القوم قد طرحوها فى الحرث يتخففون منها للنجاء ، فقال المسلمون ، حين رجع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، أتطمع لنا أن تكون غزوة ؟ قال : نعم .

قال ابن هشام : وإنما سميت غزوة السويق ، فيما حدثنى أبو عبيدة : أن أكثر ما طرح القوم من أزوادهم السويق ، فهجم المسلمون على سويق كثير فسميت غزوة السويق .

قال ابن إسحاق : وقال أبو سفيان بن حرب عند منصرفه ، لما صنع به سلام بن مشكم :

وإنى تخيرت المدينة واحداً ... لحلف فلم أندم ولم أتلوم[1]

سقانى فروانى كميتا مدامة ... على عجل منى سلام بن مشكم[2]

ولما تولى الجيش قلت ولم أكن ... لأفرحه : أبشر بعز ومغنم

تامل فإن القوم سر وإنهم ... صريح لؤى لا شماطيط جرهم[3]

وما كان إلا بعض ليلة راكب ... أتى ساعيا من غير خَلة مُعدِم

غزوة ذى أَمر

فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السويق ، أقام بالمدينة بقيه ذى الحجة أو قريبا منها ، ثم غزا نجداً ، يريد غطفان ، وهى غزوة ذى أمر ، واستعمل على المدينة عثمان ابن عفان ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فأقام بنجد صفراً كله أو قريباً من ذلك ، ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلق كيداً . فلبث بها شهر ربيع الأول كله ، أو إلا قليلا منه .

غزوة الفرع من بحران

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يريد قريشا ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام .

---

(١) المدينة : أراد من المدينة . (٢) الكميت : اسم من أسماء الخمر .

(٣) السر والصريح : الخالص . والشماطيط : المختلطون .

قال ابن إسحاق : حتى بلغ بحران ، معدنا بالحجاز من ناحية الفُرُع[1] ، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

أمر بنى قينقاع

قال : وقد كان فيما بين ذلك ، من غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بنى قينقاع ، كان من حديث بنى قينقاع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسوق بنى قينقاع ، ثم قال : يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة ، وأسلموا ، فإنكم قد عرفتم أنى نبى مرسل ، تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم ؛ قالوا : يامحمد ، إنك ترى أنا قومك ؟! لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس .

قال ابن إسحاق : فحدثنى مولى لآل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير ، أو عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : مانزل هؤلاء الآيات إلا فيهم : « قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد . قد كان لكم آية فى فئتين التقتا » : أى أصحاب بدر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقريش « فئة تقاتل فى سبيل الله ، وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن بنى قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحاربوا فيما بين بدر وأحد .

قال ابن هشام : وذكر عبد الله بن جعفر بن المسور بن مخرمة ، عن أبى عون ، قال : كان من أمر بنى قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب[2] لها ، فباعته بسوق بنى قينقاع ، وجلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ، فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوءتها ، فضحكوا بها ، فصاحت . فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهودياً ، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون ، فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أُبَىّ بن سلول ، حين أمكنه منهم ، فقال : يامحمد ، أحسن فى مواليّ ، وكانوا حلفاء الخزرج ؛ قال : فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛

---

(١) الفُرُع : قرية ناحية المدينة. (٢) الجلب : البضائع التى تحضر فى الأسواق للبيع .

فقال : يا محمد أحسن فى موالى ، قال : فأعرض عنه . فأدخل يده فى جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وكان يقال لها : ذات الفضول .

قال ابن إسحاق : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلنى ، وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظللا[١] ثم قال : ويحك ! أرسلنى ؛ قال : لا والله لاأرسلك حتى تحسن فى موالى ، أربعمائة حاسر[٢] وثلاثمائة دارع[٣] قد منعونى من الأحمر والأسود ، تحصدهم فى غداة واحدة ، إنى والله امرؤ أخشى الدوائر ؛ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم لك .

قال ابن هشام : واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة فى محاصرته إياهم بشير ابن عبد المنذر ، وكانت محاصرته إياهم خمس عشرة ليلة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يسار ، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال : لما حاربت بنو قينقاع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تشبث بأمرهم عبد الله بن أبى بن سلول وقام دونهم . ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أحد بنى عوف لهم من حلفه مثل الذى لهم من عبد الله بن أبى ، فخلعهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتبرأ إلى الله عز وجل ، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم من حلفهم ، وقال : يا رسول الله ، أتولى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم . قال : ففيه وفى عبد الله بن أبىّ نزلت هذه القصة من المائدة « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله لا يهدى القوم الظالمين . فترى الذين فى قلوبهم مرض » أى لعبد الله بن أبى وقوله : إنى أخشى الدوائر « يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتىَ بالفتح أو أمر من عنده ، فيصبحوا على ما أسروا فى أنفسهم نادمين . ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم » ، ثم القصة إلى قوله تعالى : « إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » . وذكر لتولى عبادة بن الصامت الله ورسوله والذين آمنوا ، وتبرئه من بنى قينقاع وحلفهم وولايتهم : « ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » .

---

(١) الظلل : جمع ظللة ، واستعاره هنا لتغير الوجه وتجهمه .

(٢) الحاسر : من لا درع له . (٣) الدارع من عليه درع .

سرية زيد بن حارثة إلى القردة

قال ابن إسحاق : وسرية زيد بن حارثة التي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، حين أصاب عير قريش ، وفيها أبو سفيان بن حرب ، على القردة ، ماء من مياه نجد . وكان من حديثها : أن قريشاً خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكون إلى الشام ، حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلكوا طريق العراق ، فخرج منهم تجار ، فيهم : أبو سفيان بن حرب ، ومعه فضة كثيرة ، وهي مُعظم تجارتهم ، واستأجروا رجلا من بني بكر بن وائل ، يقال له : فرات بن حيان يدلهم في ذلك على الطريق .

قال ابن هشام : فرات بن حيان ، من بني عجل ، حليف لبني سهم .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فلقيهم على ذلك الماء فأصاب تلك العير وما فيها ، وأعجزه الرجال ، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال حسان بن ثابت بعد أحد في غزوة بدر الآخرة يؤنب قريشا لأخذهم تلك الطريق :

دعو فلجات الشام قد حال دونها ... جلاد كأفواه المخاض الأوارك[1]
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم ... وأنصاره حقاً وأيدي الملائك
إذا سلكت للغور من بطن عالج ... فقولا لها ليس الطريق هنالك[2]

قال ابن هشام : وهذه الأبيات في أبيات لحسان بن ثابت ، نقضها عليه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وسنذكرها ونقيضتها إن شاء الله في موضعها .

مقتل كعب بن الأشرف

قال ابن إسحاق : وكان من حديث كعب بن الأشرف : أنه لما أصيب أصحاب بدر ، وقدم زيد بن حارثة إلى أهل السافلة ، وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية بشيرين ، بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله عز وجل عليه ، وقتل من قتل من المشركين ، كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بُردة الظفري ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وصالح بن أبي أمامة بن سهل ، كل قد حدثني

---

(١) الفلجات : العيون الجارية . والمخاض : حوامل الإبل : والأوارك : التي ترعى شجر الأراك الذي تتخذ من أغصانه المساويك .

(٢) الغور : ما انخفض من الأرض وبطن عالج : مكان .

بعض حديثه ، قالوا : قال كعب بن الأشرف ، وكان رجلا من طيء ، ثم أحد بنى نبهان ، وكانت أمه من بنى النضير ، حين بلغه الخبر : أحق هذا ؟ أترون محمداً قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان — يعنى زيداً وعبد الله بن رواحة — فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس ، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم ، لبطن الأرض خير من ظهرها .

فلما تيقن عدو الله الخبر ، خرج حتى قدم مكة ، فنزل على المطلب بن أبى وداعة بن ضبيرة السهمى ، وعنده عاتكة بنت أبى العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، فأنزلته وأكرمته ، وجعل يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينشد الأشعار ، ويبكى أصحاب القليب من قريش ، الذين أصيبوا ببدر ، فقال :

طحنت رحى بدر لمهلك أهله ... ولمثل بدر تستهل وتدمع
قتلت سراة الناس حول حياضهم ... لا تبعدوا إن الملوك تُصرع
كم قد أصيب به من أبيض ماجد ... ذى بهجة يأوى إليه الضيع
طلق اليدين إذا الكواكب أخلفت ... حمال أثقال يسود ويربع(١)
ويقول أقوام أسر بسخطهم ... إن ابن الأشرف ظل كعبا يجزع
صدقوا فليت الأرض ساعة قتلوا ... ظلت تسوخ بأهلها وتصدع
صار الذى أثر الحديث بطعنه ... أو عاش أعمى مرعشا لا يسمع
نبئت أن بنى المغيرة كلهم ... خشعوا لقتل أبى الحكيم وجدعوا(٢)
وابنا ربيعة عنده ومنبه ... ما نال مثل المهلكين وتبع
نبئت أن الحارث بن هشامهم ... فى الناس يبنى الصالحات ويجمع
ليزور يثرب بالجموع وإنما ... يحمى على الحسب الكريم الأروع(٣)

قال ابن هشام : قوله « تبع » ، « وأسر بسخطهم » . عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت الأنصارى ، فقال :

---

(١) يربع : أى يأخذ المرباع أى ربع الغنيمة وهو من نصيب الرؤساء فى الجاهلية .

(٢) التجديع : قطع الأنوف وهو هنا كناية عن الذل .

(٣) الأروع : من يبهرك حسنه

أبكى لكعب ثم عُل بعبرة ... منه وعاش مجدعا لا يسمع[1]

ولقد رأيت ببطن بدر منهم ... قتلى تسح لها العيون وتدمع

فابكى فقد أبكيت عبداً راضعا ... شبه الكليب إلى الكليبة يتبع

ولقد شفى الرحمن منا سيداً ... وأهان قوما قاتلوه وصُرعوا

ونجا وأفلت منهم من قلبه ... شغف يظل لخوفه يتصدع[2]

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان . وقوله « أبكى لكعب » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقالت امرأة من المسلمين من بنى مُرَيْد ، بطن من بلى ، كانوا حلفاء فى بنى أمية بن زيد ؛ يقال لهم : الجعادرة ، تجيب كعبا — قال ابن إسحاق : اسمها ميمونة بنت عبد الله ، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه الأبيات لها ، وينكر نقيضتها لكعب ابن الأشرف :

تحنن هذا العبد كل تحنن ... يبكى على قتلى وليس بناصب

بكت عين من يبكى لبدر وأهله ... وعُلت بمثليها لؤى بن غالب

فليت الذين ضُرجوا بدمائهم ... يرى مابهم من كان بين الأخاشب[3]

فيعلم حقا عن يقين ويبصروا ... بجرهم فوق اللحى والحواجب

فأجابها كعب بن الأشرف ، فقال :

ألا فازجروا منكم سفيها لتسلموا ... عن القول يأتى منه غير مُقارب

أتشتمنى أن كنت أبكى بعبرة ... لقوم أتانى ودهم غير كاذب

فإنى لباك ما بقيت وذاكر ... مآثر قوم مجدهم بالجباجب[4]

لعمرى لقد كانت مُرَيد بمعزل ... عن الشر فاحتالت وجوه الثعالب

(١) العلل : الشرب بعد الشرب واستعاره هنا لمداومة للبكاء .

(٢) الشغف : من تقطع شغاف قلبه حزنا .

(٣) الأخاشب : يريد الأخشبين وهما جبلان بمكة وجمعهما مع الجبال التى معهما .

(٤) الجباجب : جبال مكة .

فحق مريد أن تجهد أنوفهم بشتمهم حيّ لؤى بن غالب
وهبت نصيبي من مريد لجعدر وفاء وبيت الله بين الأخاشب

ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى عبدالله بن المغيث بن أبى بردة من لى بابن الأشرف ؟ فقال له محمد ابن مسلمة ؛ أخو بنى عبد الأشهل : أنا لك به يارسول الله ، أنا أقتله ؛ قال فافعل إن قدرت على ذلك[١] . فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثا لا يأكل ولا يشرب إلا ما يعلق به نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه ، فقال له : لم تركت الطعام والشراب ؟ فقال : يارسول الله ، قلت لك قولا لا أدرى هل أفين لك به أم لا ؟ فقال : إنما عليك بالجهد ؛ فقال : يارسول الله ، إنه لابد لنا من أن نقول : قال قولوا ما بدا لكم ، فأنتم فى حل من ذلك . فاجتمع فى قتله محمد بن مسلمة ، وسلكان بن سلامة بن وقش ، وهو أبو نائلة ، أحد بنى عبد الأشهل ، وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة ، وعباد بن بشر بن وقش ، أحد بنى عبد الأشهل ، والحارث بن أوس بن معاذ ، أحد بنى عبد الأشهل ، وأبو عبس بن جبر ، أحد بنى حارثة ، ثم قدموا إلى عدو الله كعب بن الأشرف ، قبل أن يأتوه ، سلكان بن سلامة ، أبا نائلة ، فجاءه فتحدث معه ساعة ، وتناشدوا شعراً ، وكان أبو نائلة يقول الشعر ثم قال : ويحك يابن الأشرف ! إنى قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك ، فاكتم عنى ، قال : أفعل ، قال : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء ، عادتنا به العرب ، ورمتنا عن قوس واحدة ، وقطعت عنا السبل حتى ضاع العيال ، وجهدت الأنفس ، وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا ؛ فقال كعب: أنا ابن الأشرف ، أما والله لقد كنت أخبرك يابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول ؛ فقال له سلكان : إنى قد أردت أن تبيعنا طعاما ونرهنك ونوثق لك ، وتحسن فى ذلك ؛ فقال : أترهنونى أبناءكم ؟ قال : لقد أردت أن تفضحنا إن معى أصحابا لى على مثل رأيى ، وقد أردت أن آتيك بهم ، فتبيعهم وتحسن فى ذلك ، ونرهنك من الحلقة[٢] ما فيه وفاء ، وأراد سلكان أن لا ينكر السلاح إذا جاءوا بها ؛ قال : إن فى الحلقة لوفاء ؛ قال : فرجع سلكان إلى أصحابه

---

(١) فيه من الفقه : وجوب قتل من سب النبي — صلى الله عليه وسلم — وإن كان ذا عهد ، خلافاً لأبى حنيفة رحمه الله فإنه لا يرى قتل الذمى فى مثل هذا ، ووقع فى كتاب شرف المصطفى أن الذين قتلوا كعب بن الأشرف حملوا رأسه فى مخلاة إلى المدينة ، فقيل : إنه أول رأس حمل فى الإسلام .

(٢) الحلقة : الدروع .

فأخبرهم خبره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ، ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : ويقال : أترهنونى نساءكم ؟ قال : كيف نرهنك نساءنا ، وأنت أشب أهل يثرب وأعطرهم ؛ قال : أترهنونى أبناءكم ؟

قال ابن إسحاق : فحدثنى ثور بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس . قال :

مشى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرقد ، ثم وجههم ، فقال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم ، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته ، وهو فى ليلة مقمرة وأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه ، فهتف به أبو نائلة ، وكان حديث عهد بعرس ، فوثب فى ملحفته فأخذت امرأته بناحيتها ، وقالت : إنك امرؤ محارَب ، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون فى هذه الساعة . قال : إنه أبو نائلة ، لو وجدنى نائما لما أيقظنى ؛ فقالت : والله إنى لأعرف فى صوته الشر : قال : يقول لها كعب : لو يُدعى الفتى لطعنة لأجاب . فنزل فتحدث معهم ساعة ، وتحدثوا معه ، ثم قال : هل لك يابن الأشرف أن تتماشى إلى شعب العجوز[1] ، فنتحدث به بقية ليلتنا هذه ؟ قال : إن شئتم . فخرجوا يتماشون ، فمشوا ساعة ، ثم إن أبا نائلة شام[2] يده فى فود رأسه ، ثم شم يده فقال : ما رأيت كالليلة طيبا أعطر قط ، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لمثلها ، فأخذ بفود رأسه ، ثم قال : اضربوا عدو الله ، فضربوه ، فاختلفت عليه أسيافهم ، فلم تغن شيئا .

قال محمد بن مسلمة : فذكرت مغولا[3] فى سيفى ، حين رأيت أسيافنا لا تغنى شيئا ، فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا وقد أوقدت عليه نار قال : فوضعته فى ثنته[4] ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدو الله ، وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذ ، فجرح فى رأسه أو فى رجله ، أصابه بعض أسيافنا . قال : فخرجنا حتى سلكنا على بنى أمية بن زيد ، ثم على بنى قريظة ، ثم على بعاث حتى أسندنا[5] فى حرة[6] العريض[7] ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ، ونزفه الدم ، فوقفنا له ساعة ، ثم أتانا يتبع آثارنا .

---

(١) مكان خارج المدينة . (٢) شام : أدخل .

(٣) المغول : حديدة تجعل فى السوط فيكون لها غلافا .

(٤) الثنة : ما بين السرة والعانة . (٥) أسندنا : ارتفعنا .

(٦) الحرة : الأرض ذات الحجارة السود . (٧) العريض : وادى المدينة .

قال : فاجتملناه فجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل ، وهو قائم يصلى ، فسلمنا عليه فخرج إلينا ، فأخبرناه بقتل عدو الله ، وتفل على جرح صاحبنا ، فرجع ورجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله ، فليس بها يهودى إلا وهو يخاف على نفسه .

قال ابن إسحاق : فقال كعب بن مالك :

فغودر منهم كعب صريعا ... فذلت بعد مصرعه النضير
على الكفين ثم وقد علته ... بأيدينا مشهرة ذكور
بأمر محمد إذ دس ليلا ... إلى كعب أخا كعب يسير
فماكره فأنزله بمكر ... ومحمود أخو ثقة جسور

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له فى يوم بنى النضير ، سأذكرها إن شاء الله فى حديث ذلك اليوم .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يذكر قتل كعب بن الأشرف وقتل سلام بن أبى الحقيق :

لله در عصابة لاقيتهم ... يابن الحقيق وأنت يابن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف إليكم ... مرحا كأسد فى عرين مُغرف (١)
حتى أتوكم فى محل بلادكم ... فسقوكم حتفا ببيض ذفف (٢)
مستنصرين لنصر دين نبيهم ... مستصغرين لكل أمر مجحف

قال ابن هشام : وسأذكر قتل سلام بن أبى الحقيق فى موضعه إن شاء الله .

وقوله : « ذفف » ، عن غير ابن إسحاق .

أمر محيصة وحويصة

قال ابن إسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه ، فوثب مُحَيِّصة بن مسعود — قال ابن هشام محيصة ويقال : محيصة بن مسعود بن كعب بن عامر بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس — على ابن سُنينة — قال ابن هشام : ويقال شنينة — رجل من تجار يهود ، كان

(١) المغرف : الملتف الشجر . (٢) البيض الذفف : السيوف سريعة القتل.

يلابسهم ويبايعهم فقتله وكان حويصة بن مسعود إذ ذاك لم يسلم ، وكان أسن من محيصة ، فلما قتله جعل حويصة يضربه ، ويقول : أى عدو الله ، أقتلته ، أما والله لرب شحم فى بطنك من ماله . قال : محيصة ؛ فقلت : والله لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك ؛ قال فوالله إن كان لأول إسلام حويصة قال : آوالله لو أمرك محمد بقتلى لقتلتنى ؟ قال : نعم والله لوأمرنى بضرب عنقك لضربتها ! قال ; والله إن دينا بلغ بك هذا لعجب ، فأسلم حويصة .

قال ابن إسحاق : حدثنى هذا الحديث مولى لبنى حارثة ، عن ابنة محيصة ، عن أبيها محيصة .

قال محيصة فى ذلك :

يلوم ابن أمى لوأمرت بقتله ... لطبقت ذفراه بأبيض قاضب[1]
حسام كلون الملح أخلص صقله ... متى ما أصوبه فليس بكاذب
ما سرنى أنى قتلتك طائعا ... وأن لنا مابين بصرى ومأرب

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة عن أبى عمرو المدنى ، قال : لما ظفر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنى قريظة أخذ منهم نحوا من أربعمائة رجل من اليهود ، وكانوا حلفاء الأوس على الخزرج ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تضرب أعناقهم ، فجعلت الخزرج تضرب أعناقهم ، ويسرهم ذلك ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخزرج ووجوههم مستبشرة ونظر إلى الأوس فلم ير ذلك فيهم ، فظن أن ذلك للحلف الذى بين الأوس وبين بنى قريظة ولم يكن بقى من بنى قريظة إلا اثنا عشر رجلا ، فدفعهم إلى الأوس ، فدفع إلى كل رجلين من الأوس رجلا من بنى قريظة وقال : ليضرب فلان وليذفف فلان فكان ممن دفع إليهم كعب بن يهوذا ، وكان عظيما فى بنى قريظة ، فدفعه إلى محيصة بن مسعود ، وإلى أبى بردة بن نيار — وأبو بردة الذى رخص له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن يذبح جذعا من المعز فى الأضحى — وقال : ليضربه محيصة وليذفف عليه أبو بردة ، فضربه ضربة لم تقطع ، وذفف أبو بردة فأجهز عليه . فقال حويصة ، وكان كافرا ، لأخيه محيصة : أقتلت كعب بن يهوذا ؟ قال ، نعم ، فقال حويصة : أما والله لرب شحم قد نبت فى بطنك من ماله ، إنك للئيم يامحيصة ، فقال لهمحيصة : لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لقتلتك ، فعجب من قوله ثم ذهب عنه متعجبا . فذكروا أنه جعل يتيقظ من الليل : فيعجب من قول أخيه محيصة . حتى أصبح وهو يقول :

---

(١) طبقت : قطعت : والذفران : عظمان ناتئان خلف الأذنين ،والأبيض : يريد به السيف،والقاضب : القاطع .

والله إن هذا لدين . ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم، فقال محيصة فى ذلك أبياتا قد كتبناها .

قال ابن إسحاق : وكانت إقامة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد قدومه من نجران ، جماد الآخرة ورجبا وشعبان وشهر رمضان ، وغزته قريش غزوة أحد فى شوال سنة ثلاث .

غزوة أحد

وكان من حديث أحد ، كما حدثنى محمد بن مسلم الزهرى ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم ابن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد حدث بعض الحديث عن يوم أحد ، وقد اجتمع حديثهم كله فيما سقت من هذا الحديث عن يوم أحد قالوا ، أو من قال منهم .

لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب ، ورجع فلهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره ، مشى عبد الله بن أبى ربيعة ، وعكرمة بن أبى جهل ، وصفوان بن أمية فى رجال من قريش ، ممن أصيب آباؤهم وإخوانهم يوم بدر ، فكلموا أبا سفيان بن حرب ، ومن كانت له فى تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش ، إن محمدا قد وتركم ، وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربه ، فعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا ، ففعلوا .

قال ابن إسحاق : ففيهم ، كما ذكر لى بعض أهل العلم ، أنزل الله تعالى : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ، ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون » .

إجتماع قريش للحرب فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبو سفيان بن حرب ، وأصحاب العير بأحابيشها [١] ، ومن أطاعها من قبائل كنانة ، وأهل تهامة . وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحى قد منّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة ، وكان فى الأسارى فقال: إنى فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن على صلى الله عليك وسلم، فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له صفوان بن أمية: يا أبا عزة إنك امرؤ شاعر ، فأعنا بلسانك ، فاخرج معنا ؛ فقال : إن محمداً قد من على فلا أريد

(١) الأحابيش من انضموا إليهم وليسوا منهم.

أن أظاهر عليه ؛ قال : بلى فأعنا بنفسك ، فلك الله على إن رجعت أن أغنيك ، وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتى ، يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر ، فخرج أبو عزة فى تهامة ، ويدعو بنى كنانة ويقول :

إيها بنى عبد مناة الرزّام أنتم حماة وأبوكم حام(١)
لاتعدونى نصركم بعد العام لاتسلمونى لا يحل إسلام

وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح إلى بنى مالك بن كنانة ، يحرضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

يا مال ، مال الحسب المقدم أنشد ذا القربى وذا التذمم(٢)
من كان ذا رُحم ومن لم يرحم الحلف وسط البلد المحرم
عند حطيم الكعبة المعظم

ودعا جبير بن مطعم غلاما له حبشياً يقال له : وحشى ، يقذف بحربة له قذف الحبشة ، قلما يخطىء بها ، فقال له اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى ، فأنت عتيق .

فخرجت قريش بحدها وجدها وحديدها وأحابيشها ، ومن تابعها من بنى كنانة ، وأهل تهامة وخرجوا معهم بالظعن(٣)؟ التماس الحفيظة ، وألا يفروا . فخرج أبو سفيان بن حرب ، وهو قائد الناس ، بهند بنة عتبة وخرج عكرمة بن أبى جهل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أمية ببرزة بنت مسعود بن عمر بن عمير الثقفية ، وهى أم عبد الله بن صفوان بن أمية .

قال ابن هشام : ويقال : رقية .

قال ابن إسحاق : وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه بن الحجاج وهى أم عبد الله ابن عمرو ، وخرج طلحة بن أبى طلحة وأبو طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بسلافة بنت سعد بن شهيد الأنصارية وهى أم بنى طلحة : مسافع والجلاس وكلاب ، قتلوا

---

(١) الرزام : من يثبتون فى مكانهم لايبرحونه : يذكر أنهم ثابتون فى الحرب .
(٢) يامال : أراد يامالك فرخمه . وذو التذمم : الذى له ذمام والذمام العهد
(٣) الظعن : النساء فى الهوادج .

يومئذ هم وأبوهم ، وخرجت خناس بنت مالك بن المضرب إحدى نساء بنى مالك بن حسل مع ابنها أبى عزيز بن عمير ، وهى أم مصعب بن عمير ، وخرجت عمرة بنت علقمة إحدى نساء بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة . وكانت هند بنت عتبة كلما مرت بوحشى أو مربها ، قالت : ويها[1] أبا دسمة أشف واستشف ، وكان وحشى يكنى بأبى دسمة ، فأقبلوا حتى نزلوا بعينين ، بجبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادى ، مقابل المدينة .

رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشاورته القوم : قال فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد نزلوا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين : إنى قد رأيت والله خيرا ، رأيت بقراً ورأيت فى ذباب سيفى ثلما ، ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رأيت بقرا لى تذبح ؟ قال : فأما البقر فهى ناس من أصحابى يقتلون ، وأما الثلم الذى رأيت فى ذباب سيفى ، فهو رجل من أهل بيتى يقتل .

قال ابن إسحاق : فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان رأى عبد الله بن أبى بن سلول مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يرى رأيه فى ذلك ، وألا يخرج إليهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج ، فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره ، ممن كان فاته بدر يارسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا ؟ فقال عبد الله بن أبى بن سلول : يا رسول الله ، أقم بالمدينة لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه ، فدعهم يارسول الله ، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال فى وجههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا . فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم ، حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته ، فلبس لأمته ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة . وقد مات فى ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له : مالك بن عمرو ، أحد بنى النجار فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج عليهم ، وقد ندم الناس ، وقالوا: استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن لنا ذلك.

(١) كلمة تقال للتحضيض .

فلما خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : يا رسول الله : استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فاقعد صلى الله عليك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ينبغى لنبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ألف من أصحابه .

قال ابن هشام : واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس .

انخذال المنافقين : قال ابن إسحاق : حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد ، انخزل عنه عبد الله بن أبى بن سلول بثلث الناس ، وقال : أطاعهم وعصانى ، ما ندرى علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب ، واتبعهم عبد الله ابن عمرو بن حرام ، أخو بنى سلمة ، يقول : يا قوم ، أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم ؛ فقالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ، ولكنا لا نرى أنه يكون قتال . قال : فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم ، قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغنى الله عنكم نبيه .

قال ابن هشام : وذكر غير زياد ، عن محمد بن إسحاق عن الزهرى : أن الأنصار يوم أحد ، قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ألا نستعين بحلفائنا من يهود ؟ فقال : لاحاجة لنا فيهم .

قال زياد : حدثنى محمد بن إسحاق ، قال : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سلك فى حرة بنى حارثة ، فذب فرس بذنبه ، فأصاب كلاَّب سيف[1] فاستله .

قال ابن هشام : ويقال : كِلاب سيف .

قال ابن اسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يحب الفأل ولا يعتاف[2] . لصاحب السيف : شم سيفك[3] ، فإنى أرى السيف ستسل اليوم .

ما كان من مربع المنافق حين سلك المسلمون حائطه : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : من رجل يخرج بنا على القوم من كثب : أى من قرب ، من طريق لا يمر بنا عليهم ؟ فقال أبو خيثمة أخو بنى حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله ، فنفذ به فى حرة بنى حارثة ، وبين أموالهم ، حتى سلك فى مال لمربع بن قيظى ، وكان رجلا منافقا ضرير البصر ، فلما سمع حس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين ، قام يحثى فى وجوههم التراب ،

(١) الكلاب : مسمار فى قائم السيف . (٢) اعتاف : تطير .

(٣) شم سيفك : اغمده .

ويقول : إن كنت رسول الله فإنى لا أحل لك أن تدخل حائطى . وقد ذكر لى أنه أخذ حفنة من تراب فى يده ، ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك . فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب ، أعمى البصر . وقد بدر إليه سعد بن زيد ، أخو بنى عبد الأشهل ، قبل نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، فضربه بالقوس فى رأسه ، فشجه .

نزول الرسول بأحد : قال : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد ، فى عدوة الوادى إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال : لا يقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال . وقد سرحت قريش الظهر والكراع[1] فى زروع كانت بالصمغة[2] ، من قناة للمسلمين : فقال رجل من الأنصار حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال : أترعى زروع بنى قيلة[3] ولما نضارب ! وتعبّى رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال ، وهو فى سبعمائة رجل ، وأمر على الرماة عبد الله بن جبير ، أخا بنى عمرو بن عوف وهو معلم يومئذ بثياب بيض ، والرماة خمسون رجلا ، فقال : انضح[4] الخيل عنا بالنبل ، لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا ، فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك . وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير ، أخى بنى عبد الدار .

الرسول يجيز من هم فى الخامسة عشرة : قال ابن هشام : وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سمرة بن جندب الفزارى ، ورافع بن خديج ، أخا بنى حارثة ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، وكان قد ردهما ، فقيل له : يا رسول الله إن رافعا رام ، فأجازه ؛ فلما أجاز رافعا قيل له : يا رسول الله ، فإن سمرة يصرع رافعا ، فأجازه . ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، أحد بنى مالك بن النجار . والبراء بن عازب ، أحد بنى حارثة ، وعمرو بن حزم ، أحد بنى مالك بن النجار ، وأسيد بن ظهير ، أحد بنى حارثة ، ثم أجازهم يوم الخندق ، وهم أبناء خمس عشرة سنة .

قال ابن إسحاق : وتعبأت قريش ، وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مئتا فرس قد جنبوها[5] ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل .

أبو دجانة وشجعاته : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟

---

(١) الظهر : الإبل . والكراع : الخيل . (٢) الصمغة مكان قرب أحد .

(٣) قيلة : أم الأوس والخزرج وينسبون إليها . (٤) انضح : ادفع .

(٥) جنبوها : جعلوها إلى جانبهم ليستعملوها عند الحاجة .

فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دجانة سماك بن خرشة ، أخو بنى ساعدة ، فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : أن تشرب به العـــدو حتى ينحنى ، قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقه ، فأعطاه إياه . وكان أبو دجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب ، إذا كانت ، وكان إذا أعلم بعصابة له حمراء ، فاعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل ؛ فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عصابته تلك ، فعصب بها رأسه ، وجعل يتبختر بين الصفين .

قال ابن إسحاق : فحدثنى جعفر بن عبد الله بن أسلم ، مولى عمر بن الخطاب ، عن رجل من الأنصار من بنى سلمة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين رأى أبا دجانة يتبختر : إنها لمشية يبغضها الله ، إلا فى مثل هذا الموطن .

أبو عامر الفاسق : قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن أبا عامر ، عبد عمرو بن صيفى بن مالك بن النعمان ، أحد بنى ضبيعة ، وقد كان خرج حين خرج إلى مكة مباعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، معه خمسون غلاما من الأوس ، وبعض الناس كان يقول : كانوا خمسة عشر رجلا ، وكان يعد قريشا أن لو قد لقى قومه لم يختلف عليه منهم رجلان؛ فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر فى الأحابيش وعبدان أهل مكة ، فنادى : يامعشر الأوس ، أنا أبو عامر قالوا : فلا أنعم الله بك عينا يافاسق . وكان أبو عامر يسمى فى الجاهلية : الراهب ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : الفاسق — فلما سمع ردهم عليه قال أصاب قومى بعدى شر ، ثم قاتلهم قتالا شديدا ، ثم راضخهم [1] بالحجارة .

أبو سفيان وامرأته يحرضان قريشا : قال ابن إسحاق : وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بنى عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال : يابنى عبد الدار ، إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم إذا زالت زالوا ، فإما أن تكفونا لواءنا ، وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه ؛ فهموا به وتواعدوه ، وقالوا : نحن نسلم إليك لواءنا ، ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع ؟! وذلك أراد أبو سفيان .

فلما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة فى النسوة اللاتى معها ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ، ويحرضنهم ، فقالت هند فيما تقول :

---

(١) راضخهم : راماهم .

ويها بنى عبد الدار ويها حماة الأدبار
ضربا بكل بتار

وتقول :

إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق [١]
أو تدبروا نفارق فراق غير وامق [٢]

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : أمت ، أمت ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فاقتتل الناس حتى حميت الحرب ، وقاتل أبو دجانة حتى أمعن فى الناس .

قال ابن هشام : حدثنى غير واحد ، من أهل العلم ، أن الزبير بن العوام قال وجدت فى نفسى حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة ، وقلت : أنا ابن صفية عمته ، ومن قريش ، وقد قمت إليه فسألته إياه قبله ، فأعطاه إياه وتركنى ، والله لأنظرن ما يصنع ؛ فاتبعته ، فأخرج عصابة له حمراء ، فعصب بها رأسه ، فقالت الأنصار : أخرج أبو دجانة عصابة الموت ، وهكذا كانت تقول له إذا تعصب بها فخرج وهو يقول :

أنا الذى عاهدنى خليلى ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر فى الكيول أضرب بسيف الله والرسول [٣]

قال ابن هشام : ويروى فى الكبول [٤] .

قال ابن إسحاق : فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله . وكان فى المشركين رجل لا يدع لنا جريحا

---

(١) النمارق : الوسائد الصغيرة وكل ما يجلس عليه . (٢) الوامق : المحب .

(٣) قال أبو عبيد : الكيول آخر الصفوف ، قال : ولم يسمع إلا فى هذا الحديث ، وقال الهروى مثل ما قال أبو عبيد ، وزاد فى الشرح ، وقال سمى بكيول الزند ، وهى سواد ودخان يخرج منه آخراً ، بعد القدح إذا لم يور ناراً ، وذلك شىء لا غناء فيه ، ويقال منه كال الزند ، يكول ، فالكيول فيعول من هذا ، وكذلك كيول الصفوف لا يوقد نار الحرب ، ولا يزكيها ، هذا معنى كلامه لا لفظه . وقال أبو حنيفة الدينورى نحواً من هذا إلا أنه قال : كال الزند يكيل بالياء لا غير عن الروض الأنف .

(٤) الكبول : القيد .

إلا ذفف عليه ، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه . فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا ، فاختلفا ضربتين ، فضرب المشرك أبا دجانة ، فاتقاه بدرقته ، فعضت بسيفه ، وضربه أبو دجانة فقتله ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ، ثم عدل السيف عنها . قال الزبير فقلتُ : الله ورسوله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال أبو دجانة سماك بن خرشة : رأيت إنسانا يخمش الناس خمشا شديداً ، فصمدت له ، فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة ، فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة .

استشهاد حمزة : وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرطاة بن شُرحبيل بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء ثم مر به سباع بن عبد العزى الغبشاني ، وكان يكنى بأبي نيار ، فقال له حمزة : هلم إلى يابن مقطعة البظور — وكانت أمه أم أنمار مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي .

قال ابن هشام : شريق بن الأخنس بن شريق . وكانت ختانة بمكة فلما التقيا ضربه حمزة فقتله .

قال وحشى ، غلام جبير بن مطعم : والله إني لأنظر إلى حمزة يهد[1] الناس بسيفه ما يليق[2] به شيئا ، مثل الجمل الأورق [3] إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزى ، فقال له حمزة : هلم إلى يابن مقطعة البظور ، فضربه ضربة ، فكأن ما أخطأ رأسه ، وهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه ، فوقعت في ثنته [4] حتى خرجت من بين رجليه ، فأقبل نحوى ، فغلب فوقع ، وأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذت حربتى ، ثم تنحيت إلى العسكر ، ولم تكن لى بشىء حاجـة غيره .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث عن سليمان ابن يسار عن جعفر بن عمرو بن أميه الضمرى قال : خرجت أنا وعبيد الله بن عدى بن الخيار أخو بنى نوفل بن عبد مناف ، فى زمان معاوية بن أبى سفيان ، فأدربنا مع الناس [5] فلما قفلنا مررنا بحمص — وكان وحشى ، مولى جبير بن مطعم ، قد سكنها ، وأقام بها — فلما

---

(١) يهد : يهلك . (٢) ما يليق : ما يبق .
(٣) الأورق : مغبر اللون . (٤) الثنة : ما بين أسفل البطن إلى العانه .
(٥) أدربنا : اجتزنا الدروب .

قدمناها ، قال لى عبيد الله بن عدى : هل لك فى أن نأتى وحشيا فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله ؟ قال : قلت له : إن شئت . فخرجنا نسأل عنه بحمص ، فقال لنا رجل ، ونحن نسأل عنه : إنكما ستجدانه بفناء داره ، وهو رجل قد غلبت عليه الخمر ، فإن تجداه صاحيا تجدا رجلا عربيا ، وتجدا عنده بعض ما تريدان ، وتصيبا عنده ماشئتما من حديث تسألانه عنه ، وإن تجداه وبه بعض ما يكون به ، فانصرفا عنه ودعاه ، قال : فخرجنا نمشى حتى جئناه ، فاذا هو بفناء داره على طنفسة (١) له ، فإذا شيخ كبير مثل البغاث .

قال ابن هشام : البغاث : ضرب من الطير إلى السواد —

فإذا هو صاح لا بأس به . قال : فلما انتهينا إليه سلمنا عليه ، فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عدى ، فقال : ابن لعدى بن الخيار أنت ؟ قال نعم ؛ قال : أما والله ما رأيتك منذ ناولتك أمك السعدية التى أرضعتك بذى طوى ، فإنى ناولتكها وهى على بعيرها ، فأخذتك بعرضيك (٢) فلمعت لى قدماك حين رفعتك إليها ، فوالله ما هو إلا أن وقفت على فعرفتهما . قال : فجلسنا إليه ، فقلنا له : جئناك لتحدثنا عن قتلك حمزة ، كيف قتلته ؟ فقال : أما إنى سأحدثكما كما حدثت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألنى عن ذلك ، كنت غلاما لجبير بن مطعم ، وكان عمه طعيمة بن عدى قد أصيب يوم بدر ؛ فلما سارت قريش إلى أحد قال لى جبير : إن قتلت حمزة عم محمد بعمى فأنت عتيق قال : فخرجت مع الناس ، وكنت رجلا حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة ، قلما أخطىء بها شيئا ؛ فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصره ، حتى رأيته فى عرض الناس مثل الجمل الأورق ، يهد الناس بسيفه هداً ، ما يقوم له شىء ، فوالله إنى لأتهيأ له ، أريده وأستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو منى إذ تقدمنى إليه سباع بن عبد العزى ؛ فلما رآه حمزة قال له : هلم إلىّ يابن مقطعة البظور . قال : فضربه ضربة كأن ما أخطأ رأسه . قال : وهززت حربتى ، حتى إذا رضيت منها ، دفعتها عليه ، فوقعت فى ثنته ، حتى خرجت من بين رجليه ، وذهب لينوء (٣) نحوى ، فغلب ، وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيته فأخذت حربتى ، ثم رجعت إلى العسكر ، فقعدت فيه ، ولم يكن لى بغيره حاجة ، وإنما قتلته لأعتق . فلما قدمت مكة أعتقت ثم أقمت حتى إذا افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة هربت إلى الطائف ، فكنت بها ، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلموا تعيّت علىّ المذاهب ، فقلت : ألحق بالشام ، أو باليمن ، أو ببعض البلاد ؛ فوالله إنى لفى ذلك من همى إذ قال لى رجل : ويحك إنه والله ما يقتل أحد من الناس دخل فى دينه ، وتشهد شهادته .

---

(١) الطنفسة : كل ما يجلس عليه كالبساط والوسائد والحصير والثوب .

(٢) بعرضيك : بجانبيك . (٣) ينوء : ينهض متعبا .

فلما قال لى ذلك ، خرجت حتى قدمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلم يرعه إلا بى قائما على رأسه أتشهد بشهادة الحق ؛ فلما رآنى قال : أوحشى ؟ قلت : نعم يارسول الله قال : اقعد فحدثنى كيف قتلت حمزة ، قال : فحدثته كما حدثتكما ، فلما فرغت من حديثى : قال : ويحك ! غيب عنى وجهك . فلا أرينك . قال : فكنت أتنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يرانى ، حتى قبضه الله صلى الله عليه وسلم .

فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة خرجت معهم ، وأخذت حربتى التى قتلت بها حمزة ؛ فلما التقى الناس رأيت مسيلمة الكذاب قائما فى يده السيف ، وما أعرفه ، فتهيأت له ، وتهيأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى ، كلانا يريده ، فهززت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه ، فوقعت فيه ، وشد عليه الأنصارى فضربه بالسيف ، فربك أعلم أينا قتله فإن كنت قتلته : فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قتلت شر الناس .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن الفضل ، عن سليمان بن يسار ، عن عبد الله بن عمر ابن الخطاب ، وكان قد شهد اليمامة ، قال : سمعت يومئذ صارخا يقول : قتله العبد الأسود .

قال ابن هشام : فبلغنى أن وحشياً لم يزل يحد فى الخمر حتى خلع من الديوان ، فكان عمر بن الخطاب يقول : قد علمت أن الله تعالى لم يكن ليدع قاتل حمزة .

استشهاد مصعب : قال ابن إسحاق : وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل ، وكان الذى قتله ابن قمئة الليثى ، وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع إلى قريش فقال : قتلت محمداً . فلما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء على بن أبى طالب ، وقاتل على بن أبى طالب ورجال من المسلمين .

قال ابن هشام : وحدثنى مسلمة بن علقمة المازنى ، قال : لما اشتد القتال يوم أحد جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت راية الأنصار ؛ وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى على بن أبى طالب رضوان الله عليه : أن قدم الراية . فتقدم على ، فقال : أنا أبو الفُصم(١) ،

---

(١) أبو الفصم أو أبو القصم بالقاف ، كما قال ابن هشام ، وهو أصح ، وإنما قال على - عليه السلام أنا أبو القصم من يبارزنى ، فالقصم : جمع قصمة ، وهى المعضلة المهلكة ، ويجوز أن يكون جمع القصمى ، أى الداهية التى تقصم . والدواهى القصم على وزن الكبر ، وهذا المعنى أصح ؛ لأنه لا يعرف قصمة ، ولكنه لما قال أبو سعد سوسيأتى حديثه بعد قليل أنا قاصم ، قال على : أنا أقصم منك ، بل أنا =

ويقال : أبو القصم ، فيما قال ابن هشام — فناداه أبو سعيد بن أبى طلحة ، وهو صاحب لواء المشركين : أن هل لك يا أبا القصم فى البراز من حاجة ؟ قال : نعم . فبرز بين الصفين ، فاختلفا ضربتين فضربه على فصرعه ، ثم انصرف عنه ولم يجهز عليه ؛ فقال له أصحابه : أفلا أجهزت عليه ؟ فقال : إنه استقبلنى بعورته ، فعطفتنى عنه الرحم (١) ، وعرفت أن الله عز وجل قد قتله .

ويقال : إن أبا سعد بن أبى طلحة خرج بين الصفين ، فنادى : أنا قاصم من يبارز برازا ، فلم يخرج إليه أحد . فقال : يا أصحاب محمد ، زعمتم أن قتلاكم فى الجنة ، وأن قتلانا فى النار كذبتم واللات ! لو تعلمون ذلك حقا لخرج إلى بعضكم ، فخرج إليه على بن أبى طالب ، فاختلفا ضربتين ، فضربه على فقتله .

خبر عاصم بن ثابت : وقاتل عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح ، فقتل مسافع بن طلحة وأخاه الجلاس بن طلحة ، كلاهما يشعره سهما[٢] ، فيأتى أمه سلافة ، فيضع رأسه فى حجرها فتقول : يا بنى ، من أصابك ؟ فيقول : سمعت رجلا حين رمانى وهو يقول : خذها وأنا ابن أبى الأقلح. فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر ، وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمس مشركا أبدا ، ولا يمسه مشرك .

وقال عثمان بن أبى طلحة يومئذ ، وهو يحمل لواء المشركين :

إن على أهل اللواء حقا   أن يخضبوا الصعدة وأتندق[٣]

فقتله حمزة بن عبد المطلب .

= أبو القصم ، أى أبو المعضلات القصم والدواهى العظم ، والقصم كسر ببينونة ، والفصم : كسر بغير بينونة ككسر القضيب الرطب ونحوه ، وفى التنزيل : وكم قصمنا من قرية » وفيه « لا انفصام لها » .

(١) وذكر ابن إسحاق أيضا هذا فى غير رواية ابن هشام ، وقول على إنه اتقانى بعورته ، فاذكرنى الرحم أو فعطفتنى عليه الرحم ، وقد فعلها على مرة أخرى يوم صفين ، حمل على بشر بن أرطاة فلما رأى أنه مقتول كشف عن عورته ، فانصرف عنه . ويروى أيضا مثل ذلك عن عمرو بن العاص ، مع على - رضى الله عنه - يوم صفين ، وفى ذلك يقول الحارث بن النضر السهمى ، رواه ابن الكلبى وغيره :

أفى كل يوم فارس غير منته   وعورته وسط العجاجة بادية
يكف لها عنه علىّ سنانه   ويضحك منه فى الخلاء معاوية

(٢) يشعره سهما : أى يصيبه به .   (٣) الصعدة : القناة .

حنظلة غسيل الملائكة : والتقى حنظلة بن أبى عامر الغسيل وأبو سفيان ، فلما استعلاه حنظلة بن أبى عامر رآه شدّاد بن الأسود ، وهو ابن شعوب ، قد علا أبا سفيان . فضربه شداد فقتله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن صاحبكم ، يعنى حنظلة لتغسله الملائكة . فسألوا أهله ماشأنه ؟ فسئلت صاحبته عنه . فقالت خرج وهو جنب سمع الهاتفة .

قال ابن هشام : ويقال : الهائعة . وجاء فى الحديث : « خيرالناس رجل ممسك بعنان فرسه، كلما سمع هيعة طار إليها » . قال الطرمّاح بن حكيم الطائى ، والطّرماح : الطويل من الرجال :

أنا ابن حماة المجد من آل مالك ... إذا جعلت خور الرجال تهيع[1]

والهيعة : الصيحة التى فيها الفزع .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لذلك غسلته الملائكة .

شعر الأسود وأبى سفيان فى قتل حنظلة : قال ابن إسحاق : وقال شداد بن الأسود فى قتله حنظلة :

لأحمين صاحبى ونفسى ... بطعنة مثل شعاع الشمس

وقال أبوسفيان بن حرب ، وهو يذكر صبره فى ذلك اليوم ، ومعاونة ابن شعوب إياه على حنظلة :

ولوشئت نجتنى كميت طِمرّة ... ولم أحمل النعماء لابن شعوب[2]

ومازال مهرى مزجر الكلب منهم ... لدن غدوة حتى دنت لغروب[3]

أقاتلهم وأدّعى يالغالب ... وأدفعهم عنى بركن صليب

فبكى ولاترعى مقالة عاذل ... ولاتسأمى من عبرة ونحيب

أباك وإخوانا له قد تتابعوا ... وحق لهم من عبرة بنصيب

وسلى الذى قد كان فى النفس أننى ... قتلت من النجار كل نجيب

---

(١) الخور : مفرده أخور : الرجل الضعيف .

(٢) الطمرة : الفرس السريعة الوثب .

(٣) أى لم يبعد عنهم : إلا بمقدار الموضع الذى يزجر إليه الكلب ، والضمير المستتر فى دنت للشمس .

ومن هاشم قرما كريما ومصعبا وكان لدى الهيجاء غير هيوب
ولو أنني لم أشف نفسيَ منهم لكانت شجا في القلب ذات ندوب
فآبوا وقد أودى الجلابيب منهم بهم خدب من معطب وكئيب[1]
أصابهم من لم يكن لدمائهم كفاء ولا في خطة بضريب

حسان والحارث يردان على أبي سفيان: فأجابه حسان بن ثابت، فيما ذكر ابن هشام فقال:

ذكرت القروم الصيد من آل هاشم ولست لزور قلته بمصيب
أتعجب أن أقصدت حمزة منهم نجيبا وقد سميته بنجيب
ألم يقتلوا عمرا وعتبة وابنه وشيبة والحجاج وابن حبيب
غداة دعا العاصي عليا فراعه بضربة عضب بله بخضيب

قال ابن إسحاق: وقال ابن شعوب يذكر يده عند أبي سفيان فيما دفع عنه، فقال:

ولولا دفاعي يابن حرب ومشهدي لألفيت يوم النعف غير مجيب[2]
ولولا مكرّي المهر بالنعف قرقرت ضباع عليه أوضراء كليب[3]

قال ابن هشام: قوله «عليه أوضراء» عن غير ابن إسحاق:

جزيتهم يوما ببدر كمثله على سابح ذي ميعة وشبيب[4]
لدى صحن بدر أو أقمت نوائحا عليك ولم تحفل مصاب حبيب
وإنك لو عاينت ماكان منهم لأبت بقلب مابقيت نخيب[5]

قال ابن هشام: وإنما أجاب الحارث بن هشام أباسفيان لأنه ظن أنه عرّض به في قوله:

ومازال مهري مزجر الكلب منهم

لفرار الحارث يوم بدر.

---

(١) الجلابيب: جمع جلباب، والجلباب في الأصل: الإزار الخشن، وكان المشركون يسمون من أسلم الجلابيب. والخدب: الطعن النافذ.

(٢) النعف. أسفل الجبل.

(٣) قرقرت: أي أسرعت لنهشه.

(٤) السابح: الفرس السريع. والميعة: الخفة والشبيب: أن يرفع الفرس يديه جميعا في الجري.

(٥) النخيب: الجبان.

الزبير يذكر سبب الهزيمة : قال ابن اسحاق . ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده ، فحسوهم بالسيوف[1] حتى كشفوهم عن العسكر ، وكانت الهزيمة لاشك فيها .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عبد الله ابن الزبير ، عن الزبير ، أنه قال : والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ، مادون أخذهن قليل ولا كثير إذ مالت الرماة إلى العسكر ، حين كشفنا القوم عنه وخلوا ظهورنا للخيل ، فأتينا من خلفنا ، وصرخ صارخ : ألا إن محمدا قد قتل ؛ فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى مايدنو منه أحد من القوم .

قال ابن هشام : الصارخ أزب العقبة ، يعني الشيطان .

حسان يذكر شجاعة صؤاب : قال ابن اسحاق : وحدثني بعض أهل العلم : أن اللواء لم يزل صريعا حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية ، فرفعته لقريش ، فلاثوا به[2] . وكان اللواء مع صؤاب ، غلام لبني أبي طلحة ، حبشي وكان آخر من أخذه منهم ، فقاتل به حتى قطعت يداه ، ثم برك عليه ، فأخذ اللواء بصدره وعنقه حتى قتل عليه ، وهو يقول : اللهم هل أعزرت — يقول : أعذرت[3] — فقال حسان بن ثابت في ذلك :

فخرتم باللواء وشر فخر ... لواء حين رد إلى صؤاب
جعلتم فخركم فيه بعبد ... وألأم من يطا عفر التراب
ظننتم ، والسفيه له ظنون ... وما إن ذاك من أمر الصواب
بأن جلادنا يوم التقينا ... بمكة بيعكم حمر العياب[4]
أقر العين أن عصبت يداه ... وما إن تعصبان على خضاب

قال ابن هشام : آخرها بيتا يروى لأبي خراش الهذلي ، وأنشدنيه له خلف الأحمر :

أقر العين أن عصبت يداها ... وما إن تعصبان على خضاب

في أبيات له ، يعني امرأته ، في غير حديث أحد وتروى الأبيات أيضا لمعقل بن خويلد الهذلي .

شعر حسان في شجاعة عمرة الحارثية : قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت في شأن عمرة بنت علقمة الحارثية ورفعها اللواء :

---

(١) حسوهم : قتلوهم .
(٢) لاثوا به : اجتمعوا عليه . (٣) كان بلسانه لكنه يقلب الدال إلى الزاي .
(٤) العياب : ماتضع فيه الناس حوائجهم .

إذا عضل سيقت إلينا كأنها ... جداية شرك معلمات الحواجب [1]
أقمنا لهم طعنا مبيراً منكلا ... وحزناهم بالضرب من كل جانب
فلولا لواء الحارثية أصبحوا ... يباعون فى الأسواق بيع الجلائب [2]

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى أبيات له .

ما أصاب الرسول يوم أحد : قال ابن إسحاق : وانكشف المسلمون، فأصاب فيهم العدو وكان يوم بلاء وتمحيص ، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة ، حتى خلص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فدث بالحجارة حتى وقع لشقه [3] ، فأصيبت رباعيته وشج فى وجهه ، وكلمت شفته ، وكان الذى أصابه عتبة بن أبى وقاص .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال :

كسرت رباعية النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وشج فى وجهه ، فجعل الدم يسيل على وجهه ، وجعل يمسح الدم وهو يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم ، وهو يدعو إلى ربهم؟! فأنزل الله عز وجل فى ذلك :«ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون

قال ابن هشام : وذكر ربيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه ، عن أبى سعيد الخدرى : أن عتبة بن أبى وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، فكسر رباعيته اليمنى السفلى ، وجرح شفته السفلى ، وأن عبد الله بن شهاب الزهرى شجه فى جبهته، وأن ابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر [4] فى وجنته ، ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرة من الحفر التى عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون ، وهم لا يعلمون ؛ فأخذ على بن أبى طالب بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما ، ومص مالك بن سنان ، أبو أبى سعيد الخدرى . الدم : عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ازدرده ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مس دمى دمه لم تصبه النار .

قال ابن هشام : وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردى : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله .

---

(١) عضل : اسم قبيلة . والجداية : الصغير من ولد الظبى . وشرك : موضع.
(٢) الجلائب : ما يجلب إلى الأسواق ليباع فيها . (٣) الشق : الجانب .
(٤) المغفر : حلق يجعل على الرأس يتقى به ضرب السلاح فى الحرب .

وذكر ، يعنى عبد العزيز الدراوردى ، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة ، عن عيسى بن طلحة ، عن عائشة ، عن أبى بكر الصديق : أن أبا عبيدة بن الجراح نزع إحدى الحلقتين من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسقطت ثنيته ، ثم نزع الأخرى ، فسقطت ثنيته الأخرى ، فكان ساقط الثنيتين .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت لعتبة بن أبى وقاص :

إذا الله جازى معشراً بفعالهم	وضرهم الرحمن رب المشارق
فأخزاكَ ربى يا عتيب بن مالك	ولقاك قبل الموت إحدى الصواعق
بسطت يمينا ـ للنبى تعمـــداً	فأدميت فاه ـ قطعت بالبوارق[1]
فهلا ذكرت الله والمنزل الذى	تصير إليه عند إحدى البوائق

قال ابن هشام تركنا منها بيتين أقذع فيهما .

من شجاعة أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم : قال ابن إسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين غشيه القوم : من رجل يشرى لنا نفسه؟ كما حدثنى الحصين بن عبد الرحمن ابن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن محمود بن عمرو ، قال : فقام زياد بن السكن فى نفر خمسة من الأنصار — وبعض الناس يقول : إنما هو عمارة بن يزيد بن السكن ـ فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رجلا ثم رجلا ، يقتلون دونه ، حتى كان آخرهم زياد أو عمارة فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، ثم فاءت فئة من المسلمين ، فأجهضوهم[2] عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدنوه منى ، فأدنوه منه فوسده قدمه ، فمات وخـــده على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وقاتلت أم عمارة ، نسيبة بنت كعب المازنية يوم أحد .

فذكر سعيد بن أبى زيد الأنصارى : أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول: دخلت على أم عمارة ، فقلت لها : ياخالة ، أخبرينى خبرك ، فقالت : خرجت أول النهار وأنا أنظر مايصنع الناس ، ومعى سقاء فيه ماء ، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو فى أصحابه والدولة والريح[3] للمسلمين. فلما انهزم المسلمون، انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) البوارق : السيوف .   (٢) أجهضوهم : أزالوهم .

(١) يريد بالريح : إقبال النصر .

فقمت أباشر القتال ، وأذب عنه بالسيف ، وأرمى عن القوس ، حتى خلصت الجراح إلىّ قالت : فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور ، فقلت: من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قمئة أقمأه[1] الله ! لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول : دلونى على محمد ، فلا نجوت إن نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير ، وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضربنى هذه الضربة ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان .

قال ابن إسحاق : وترّس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دجانة بنفسه ، يقع النبل فى ظهره ، وهو منحن عليه ، حتى كثر فيه النبل . ورمى سعد بن أبى وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال سعد : فلقد رأيته يناولنى النبل وهو يقول : ارم ، فداك أبى وأمى ، حتى إنه ليناولنى السهم ماله نصل ، فيقول : ارم به .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : رمى عن قوسه حتى اندقت سيتها[2] ، فأخذها قتادة بن النعمان ، فكانت عنده ، وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان ، حتى وقعت على وجنته .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردها بيده ، فكانت أحسن عينيه وأحدهما .

قال ابن إسحاق : وحدثنى القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بنى عدى بن النجار ، قال : انتهى أنس بن النضر ، عم أنس بن مالك ، إلى عمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيدالله ، فى رجال من المهاجرين والأنصار ، وقد ألقوا بأيديهم ، فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : قُتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : فماذا تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل ؛ وبه سمى أنس بن مالك .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة ، فما عرفه إلا أخته ، عرفته ببنانه .

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم : أن عبد الرحمن بن عوف أصيب فوه يومئذ فهتم[3] ، وجرح عشرين جراحة أو أكثر ، أصابه بعضها فى رجله فعرج .

---

(١) أقمأه الله : أذله الله .
(٢) سيتها : طرفها .
(٣) هتم : كسرت ثنيته .

قال ابن إسحاق : وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة ، وقول الناس : قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما ذكر لى ابن شهاب الزهرى - كعب بن مالك ، قال : عرفت عينيه تزهران[1] من تحت المغفر ، فناديت بأعلى صوتى : يا معشر المسلمين ، أبشروا ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأشار إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنصت .

قال ابن إسحاق : فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ، ونهض معهم نحو الشعب ، معه أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب ، وطلحة بن أبى طالب ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، رضوان الله عليهم ، والحارث بن الصمة ، ورهط من المسلمين .

مقتل أبى بن خلف : قال : فلما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب أدركه أبى ابن خلف وهو يقول : أى محمد ، لا نجوتُ إن نجوتَ ، فقال القوم : يا رسول الله ، أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوه ؛ فلما دنا ، تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ؛ يقول بعض القوم ، فيما ذكر لى : فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه انتفض بها انتفاضة تطايرنا بها ، تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض بها — قال ابن هشام : الشعراء : ذباب له لدغ — ثم استقبله نطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها

قال ابن هشام : تدأدأ ، يقول : تقلب عن فرسه فجعل يتدحرج .

قال ابن إسحاق : وكان أبى بن خلف ، كما حدثنى صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فيقول : يا محمد إن عندى العوذ ، فرسا أعلفه كل يوم فرقا[2] من ذرة ، أقتلك عليه ؛ فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتلك إن شاء الله . فلما رجع إلى قريش وقد خدشه فى عنقه خدشا غير كبير ، فاحتقن الدم ، قال : قتلنى والله محمد ! قالوا له : ذهب والله فؤادك ! والله إن بك من بأس ؛ قال : إنه قد كان قال لى بمكة : أنا أقتلك ، فوالله لو بصق على لقتلنى . فمات عدو الله بسرف[3] وهم قافلون به إلى مكة .

(١) تزهران : تضيئان .
(٢) الفرق : مكيال يسع اثنى عشر رطلا .
(٣) سرف : مكان على ستة أميال من مكة .

قال ابن إسحاق: فقال حسان بن ثابت فى ذلك:

لقد ورث الضلالة عن أبيه | أبىّ يوم بارزه الرسول
أتيت إليه تحمل رم عظم | وتوعده وأنت به جهول
وقد قتلت بنو النجار منكم | أمية إذ يغوّث: يا عقيل
وتبّ ابنا ربيعة إذ أطاعا | أبا جهل، لأمهما الهبول(١)
وأفلت حارث لما شغلنا | بأسر القوم، أسرته فليل(٢)

قال ابن هشام: أسرته: قبيلته.

وقال حسان بن ثابت أيضا فى ذلك:

ألا من مبلغ عنى أبيا | لقد ألقيت فى سحق السعير
تمنى بالضلالة من بعيد | وتقسم أن قدرت مع النذور
تمنيك الأمانى من بعيد | وقول الكفر يرجع فى غرور
فقد لاقتك طعنة ذى حفاظ | كريم البيت ليس بذى فجور(٣)
له فضل على الأحياء طرا | إذا نابت ملمات الأمور

انتهاء الرسول إلى الشعب: قال: فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فم الشعب خرج على بن أبى طالب، حتى ملأ درقته ماء من المهراس(٤)، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه، فوجد له ريحا، فعافه، فلم يشرب منه، وغسل عن وجهه الدم، وصب على رأسه وهو يقول: اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه.

سعد بن أبى وقاص يحرص على قتل عتبة: قال ابن إسحاق: فحدثنى صالح بن كيسان عمن حدثه عن سعد بن أبى وقاص أنه كان يقول: والله ما حرصت على قتل رجل قط كحرصى على قتل عتبة بن أبى وقاص، وإن كان ما علمت لسيء الخلق مبغضا فى قومه، ولقد كفانى منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: اشتد غضب الله على من دمى وجه رسوله.

عمر يصعد إلى قريش الجبل: قال ابن إسحاق: فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعب معه أولئك النفر من أصحابه، إذ علت عالية من قريش الجبل.

قال ابن هشام: كان على تلك الخيل خالد بن الوليد.

---

(١) الهبول: الثكل.
(٢) الفليل: المنهزمون.
(٣) الحفاظ: الغضب.
(٤) المهراس: ماء بأحد.

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إنه لاينبغى لهم أن يعلونا ! فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل .

معاونة طلحة الرسول : قال ابن إسحاق : ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلوها ، وقد كان بدّن(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وظاهر بين درعين، فلما ذهب لينهض صلى الله عليه وسلم لم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض به ، حتى استوى عليها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يقول : أوجب(٢) طلحة حين صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع .

قال ابن هشام : وبلغنى عن عكرمة عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الدرجة المبنية فى الشعب .

قال ابن هشام : وذكر عمر مولى غفرة : أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التى أصابته ، وصلى المسلمون خلفه قعوداً .

مقتل اليمان وابن وقش وابن حاطب : قال ابن إسحاق : وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى بعضهم إلى المنقى ، دون الأعوص .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد ، رفع حُسيل بن جابر ، وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان ، وثابت بن وقش فى الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدهما لصاحبه ، وهما شيخان كبيران : ما أبا لك ، ما تنتظر ؟ فوالله لا بقى لواحد منا من عمره إلا ظمء(٣) حمار ، إنما نحن هامة(٤) اليوم أو غداً ، أفلا نأخذ أسيافنا ، ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأخذا أسيافهما ثم خرجا ، حتى دخلا فى الناس ، ولم يُعلم بهما ، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون ، وأما حسيل بن جابر ، فاختلفت عليه

---

(١) بدن : ضعف . (٢) أوجب : وجبت له الجنة .

(٣) يضرب لقرب الأجل ، فالظمء ما بين الشربتين والحمار لا يصبر على العطش .

(٤) الهامة . كما تزعم العرب . طائر يخرج من رأس القتيل يصيح اسقونى اسقونى لايسكت حتى يؤخذ بثأره .

أسياف المسلمين ، فقتلوه ولا يعرفونه ، فقال حذيفة : أبى ، فقالوا : والله إنْ عرفناه . قال حذيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يديه ، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين ؛ فزاده ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن رجلا منهم كان يدعَى حاطب بن أمية بن رافع ، وكان له ابن يقال له يزيد بن حاطب ، أصابته جراحة يوم أحد ، فأُتى به إلى دار قومه وهو بالموت ، فاجتمع إليه أهل الدار ، فجعل المسلمون يقولون له من الرجال والنساء: أبشر يا ابن حاطب بالجنة ، قال : وكان حاطب شيخا قد عسا فى الجاهلية ، فنجم يومئذ نفاقه ، فقال : بأى شىء تبشرونه ؟ بجنة من حرمل(١) : غررتم والله هذا الغلام من نفسه .

مقتل قزمان منافقا : قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : كان فينا رجل أتىّ(٢) لا يدرى ممن هو ، يقال له : قزمان ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا ذكر له : إنه لمن أهل النار ، قال : فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديداً . فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس ، فأثبتته الجراحة . فاحتمل إلى دار بنى ظفر ، قال : فجعل رجال من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم ياقزمان ، فأبشر ، قال : بماذا أبشر؟ فوالله إن قاتلت إلا عن أحساب قومى ، ولولا ذلك ما قاتلت . قال : فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهما من كنانته ، فقتل به نفسه .

مقتل مخيريق : قال ابن إسحاق : وكان ممن قتل يوم أحد مخيريق ؛ وكان أحد بنى ثعلبة بن الفطيون ، قال : لما كان يوم أحد ، قال : يا معشر يهود ، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق ، قالوا : إن اليوم يوم السبت ، قال : لاسبت لكم . فأخذ سيفه وعدته ، وقال : إن أصبت فمالى لمحمد يصنع فيه ماشاء ، ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقاتل معه حتى قتل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغنا ـ مخيريق خير يهود .

الحارث بن سويد : قال ابن إسحاق : وكان الحارث بن سُويد بن صامت منافقا ، فخرج يوم أحد مع المسلمين ، فلما التقى الناس ، عدا على المجذَّر بن ذياد البلوى ، وقيس بن زيد ، أحد بنى ضبيعة ، فقتلهما ، ثم لحق بمكة بقريش ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما يذكرون ـ

---

(١) قال السهيلى : من حرمل ، يريد الأرض التى دفن فيها ، وكانت تنبت الحرمل ، أى ليس له جنة إلا ذاك . انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج٣ص١٧٧ .

(٢) أتى : غريب .

قد أمر عمر بن الخطاب بقتله إنْ هو ظفر به ، ففاته ، فكان بمكة ، ثم بعث إلى أخيه الجلاس ابن سويد يطلب التوبة ، ليرجع إلى قومه . فأنزل الله تعالى فيه ، فيما بلغني ، عن ابن عباس : « كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم ، وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات ، والله لايهدى القوم الظالمين » إلى آخر القصة .

قال ابن هشام : حدثني من أثق به من أهل العلم : أن الحارث بن سويد قتل المجذر بن ذياد ولم يقتل قيس بن زيد ، والدليل على ذلك : أن ابن إسحاق لم يذكره فى قتلى أحد ، وإنما قتل المجذر ، لأن المجذر بن ذياد كان قتل أباه سويداً فى بعض الحروب التى كانت بين الأوس والخزرج ، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب .

فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى نفر من أصحابه ، إذ خرج الحارث بن سويد من بعض حوائط المدينة ، وعليه ثوبان مضرجان ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان ابن عفان ، فضرب عنقه ، ويقال : بعض الأنصار .

قال ابن إسحاق : قتل سويد بن الصامت معاذ بن عفراء غيلة ، فى غير حرب رماه بسهم فقتله قبل يوم بعاث .

أمر أصيرم : قال ابن إسحاق : وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن أبى سفيان ، مولى ابن أبى أحمد ، عن أبى هريرة قال : كان يقول: حدثونى عن رجل دخل الجنة لم يصل قط ، فإذا لم يعرفه الناس سألوه : من هو ؟ فيقول : أصيرم ، بنى عبد الأشهل ، عمرو بن ثابت بن وقش . قال الحصين : فقلت لمحمود بن أسد : كيف كان شأن الأصيرم ؟ قال : كان يأبى الإسلام على قومه . فلما كان يوم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد بدا له فى الإسلام فأسلم ، ثم أخذ سيفه ، فعدا حتى دخل فى عرض الناس ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة . وقال : فبينا رجال من بنى عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم فى المعركة إذا هم به ، فقالوا: والله إن هذا للأصيرم ، ماجاء به ؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث ، فسألوه ماجاء به ؛ فقالوا : ماجاء بك يا عمرو ؟ أحدب على قومك أم رغبة فى الإسلام ؟ قال : بل رغبة فى الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ، ثم أخذت سيفى ، فغدوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قاتلت حتى أصابنى ما أصابنى ، ثم لم يلبث أن مات فى أيديهم . فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه لمن أهل الجنة .

عمرو بن الجموح ومقتله : قال ابن إسحاق : وحدثني أبى إسحاق بن يسار ، عن أشياخ من بنى سلمة : أن عمرو بن الجموح كان رجلا أعرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعة مثل

الأسد ، يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه ، وقالوا له : إن الله عز وجل : قد عذرك ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن بنيّ يريدون أن يحبسونى عن هذا الوجه ، والخروج معك فيه ، فوالله إنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه فى الجنة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك ، وقال لبنيه : ما عليكم أن لا تمنعوه ، لعل الله أن يرزقه الشهادة فخرج معه فقتل يوم أحد(١) .

هند وتمثيلها بحمزة : قال ابن إسحاق : ووقعت هند بنت عتبة ، كما حدثنى صالح بن كيسان ، والنسوة اللاتى معها ، يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجدعن(٢) الآذان والآنف ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وآنفهم خدَماً(٣) وقلائد ، وأعطت خدمها وقلائدها وقرطتها وحشيا ، غلام جبير بن مطعم ، وبقرت عن كبد حمزة ، فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها ؛ فلفظتها ، ثم علت عـــلى صخرة مشرفة ، فصرخت بأعلى صوتها فقالت :

نحن جزيناكم بيوم بدر ... والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لى من صبر ... ولا أخى وعمه وبكرى
شفيت نفسى وقضيت نذرى ... شفيت وحشى غليل صدرى
فشكر وحشى علىّ عمرى ... حتى ترم أعظمى فى قبرى

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب . فقالت :

خزيت فى بدر وبعد بدر ... يا بنت وقاع عظيم الكفر(٤)
صبحك الله غداة الفجر ... ملهاشميين الطوال الزهـــــر(٥)

---

(١) وزاد غير ابن إسحاق أنه لما خرج قال:اللهم لا تردنى ، فاستشهد فجعله بنوه على بعير ، ليحملوه إلى المدينة ، فاستصعب عليهم البعير ، فكان إذا وجهوه إلى كل جهة سارع إلا جهة المدينة ، فكان يأبى الرجوع إليها ، فلما لم يقدروا عليه ذكروا قوله : اللهم لا تردنى إليها ، فدفنوه فى مصرعه ، انظر الروض جـ٣ص ١٧٧ .

(٢) يجدعن : يقطعن . (٣) الخدم : الخلاخيل .

(٤) الوقاع : كثير الوقوع فى الدنيا . (٥) ملهاشميين : أرادت من الهاشميين ، والزهر : البيض .

بكل قطّاع حسام يفرى حمزة ليثى وعلى صقرى
إذ رام شيب وأبوك غدرى فخضّبا منه ضواحى النحر(١)

ونذرك السوء فشر نذر

قال ابن هشام : تركنا منها ثلاثة أبيات أقذعت فيها .

قال ابن إسحاق : وقالت هند بنت عتبة أيضا :

شفيت من حمزة نفسى بأحد حتى بقرت بطنه عن الكبد
أذهب عنى ذاك ما كنت أجد من لذعة الحزن الشديد المعتمد
والحرب تعلوكم بشؤبوب بَرِد تقدم إقداما عليكم كالأسد(٢)

قال ابن إسحاق : فحدثنى صالح بن كيسان أنه حُدث : أن عمر بن الخطاب قال لحسان ابن ثابت : يابن الفريعة ـ قال ابن هشام : الفريعة بنت خالد بن خنيس : ابن حارثة بن لوذان ابن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ـ لو سمعت ما تقول هند ، ورأيت أشرها قائمة على صخرة ترتجز بنا ، وتذكر ما صنعت بحمزة ؟ قال له حسان : والله إنى لأنظر إلى الحربة تهوى وأنا على رأس فارع ـ يعنى أطمة ـ فقلت : والله إن هذه لسلاح ما هى بسلاح العرب ، كأنها إنما تهوى إلى حمزة ولا أدرى ، لكن أسمعنى بعض قولها أكفكموها ؛ قال : فأنشده عمر بن الخطاب بعض ما قالت ، فقال حسان بن ثابت :

أشرَت لكاع وكان عادتها لؤما إذا أشرت مع الكفر(٣)

قال ابن هشام : وهذا البيت فى أبيات له تركناها ، وأبياتا أيضا له على الدال : وأبياتا أخر على الذال ، لأنه أقذع فيها .

قال ابن إسحاق : وقد كان الحليس بن زبان ، أخو بنى الحارث بن عبد مناة ، وهو يومئذ سيد الأحابيش ، قد مر بأبى سفيان ، وهو يضرب فى شدق حمزة بن عبد المطلب بزج الرمح ويقول ذق : عقق ؛ فقال الحليس : يابنى كنانة ، هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون لحما(٤) ؟ فقال : ويحك ! اكتمها عنى ، فإنها كانت زلة .

---

(١) شيب : أرادت شيبة فرخمته بغير نداء وهو قليل لضرورة الشعر . ضواحى النحر : ما ظهر من أعلى الصدر (٢) الشؤبوب : الدفعة الشديدة من المطر .

(٣) لكاع جعله اسماً لها فى غير النداء ، وذلك جائز ، وإن كان فى النداء أكثر نحو يا غدار ويا فساق ، وكذلك لكع ، قد استعمل فى غير النداء (٤) أى ميتا لا يستطيع الدفاع عن نفسه .

أبوسفيان يشمت بالمسلمين : ثم إن أباسفيان بن حرب ، حين أراد الانصراف ، أشرف على الجبل ، ثم صرخ بأعلى صوته فقال أنعمت فعال[1] ، وإن الحرب سجال يوم بيوم ، أعل هبل ، أى أظهر دينك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم ياعمر فأجبه ، فقل الله أعلى وأجل ، لاسواء[2] ، قتلانا فى الجنة ، وقتلاكم فى النار . فلما أجاب عمر أباسفيان ، قال له أبوسفيان : هلم إلى ياعمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : ائته فانظر ماشأنه ، فجاء ، فقال له أبوسفيان : أنشدك الله ياعمر ، أقتلنا محمدا ؟ قال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن ، قال : أنت أصدق عندى من ابن قمئة وأبر ؛ لقول ابن قمئة لهم : إنى قد قتلت محمدا .

قال ابن هشام : واسم ابن قمئة عبدالله .

قال ابن إسحاق : ثم نادى أبوسفيان : إنه قد كان فى قتلاكم مثل ؛ والله مارضيت ، وماسخطت ، ومانهيت ، وما أمرت .

ولما انصرف أبوسفيان ومن معه ، نادى : إن موعدكم بدر للعام القابل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : قل : نعم ، هو بيننا وبينكم موعد .

على يخرج فى آثار قريش : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب ، فقال : اخرج فى آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون فإن كانوا قد جنبوا الخيل[3] ، وامتطوا الإبل ، فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل ، فإنهم يريدون المدينة ، والذى نفسى بيده ، لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ، ثم لأناجزنهم . قال على : فخرجت فى آثارهم أنظر ماذا يصنعون ؛ فجنبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، ووجهوا إلى مكة .

سعد بن الربيع : وفرغ الناس لقتلاهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنى محمد ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة المازنى ، أخو بنى النجار : من رجل ينظر لى مافعل

---

(١) أى بالغنا فى فعالنا .

(٢) أى لانحن سواء ولايجوز دخول لاعلى اسم مبتدأ معرفة إلا مع التكرار نحو لازيد قائم ، ولاعمرو خارج ، ولكنه جاز فى هذا الموضع ، لأن القصد فيه إلى نفى الفعل ، أى لايستوى كما جاز لانولك ، أى : لاينبغى لك .

(٣) جنبوا الخيل : قادوها إلى جنوبهم ليستعملوها وقت الحاجة .

سعد بن الربيع ؟ فى الأحياء هو أم فى الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار[1] : أنا أنظر لك يارسول الله مافعل سعد ، فنظر فوجده جريحاً فى القتلى وبه رمق . قال : فقلت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أنظر ، أفى الأحياء أنت أم فى الأموات ؟ قال : أنا فى الأموات ، فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى السلام ، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ماجزى نبياً عن أمته ، وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لاعذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم صلى الله عليه وسلم ومنكم عين تطرف . قال : ثم لم أبرح حتى مات ؛ قال : فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو بكر الزبيرى : أن رجلا دخل على أبى بكر الصديق ، وبنت لسعد بن الربيع جارية صغيرة على صدره يرشفها ويقبلها ، فقال له الرجل : من هذه ؟ قال : هذه بنت رجل خير منى ، سعد بن الربيع ، وكان من النقباء يوم العقبة ، وشهد بدراً ، واستشهد يوم أحد .

الرسول يحزن على حمزة ويتوعد المشركين بالمثلة : قال ابن إسحاق : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى ، يلتمس حمزة بن عبد المطلب ، فوجده ببطن الوادى قد بقر بطنه عن كبده ، ومثل به ، فجدع أنفه وأذناه .

فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رأى مارأى لولا أن تحزن صفية ، ويكون سنة من بعدى لتركته ، حتى يكون فى بطون السباع ، وحواصل الطير ، ولئن أظهرنى الله على قريش فى موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم . فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظه على من فعل بعمه مافعل ، قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب .

قال ابن هشام : ولما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة قال لن أصاب بمثلك أبدا ! ماوقفت موقفا قط أغيظ إلى من هذا ! ثم قال : جاءنى جبريل فأخبرنى أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب فى أهل السموات السبع : حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله ، وأسد رسوله .

---

(١) الرجل : هو محمد بن مسلمة ، ذكره الواقدى ، وذكر أنه نادى فى القتلى : ياسعد بن الربيع مرة بعد مرة ، فلم يجبه أحد ، قال ياسعد إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرسلنى أنظر ماصنعت ، فأجابه حينئذ بصوت ضعيف ، وذكر الحديث ، وهذا خلاف ماذكره أبو عمر فى كتاب الصحابة ، فإنه ذكر فيه من طريق ربيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه عن جده أن الرجل الذى التمس سعداً فى القتلى هو : أبى بن كعب .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد ، إخوة من الرضاعة، أرضعتهم مولاة لأبي لهب[1] .

قال ابن إسحاق : وحدثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن محمد بن كعب القرظي، وحدثني من لا أتهم ، عن ابن عباس : أن الله عز وجل أنزل في ذلك ، من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقول أصحابه : « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . واصبر وما صبرك إلا بالله ، ولا تحزن عليهم ، ولا تك في ضيق مما يمكرون » ، فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصبر ونهى عن المثلة .

قال ابن إسحاق : وحدثني حميد الطويل ، عن الحسن ، عن سمرة بن جندب ، قال : ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام قط ففارقه ، حتى يأمرنا بالصدقة ، وينهانا عن المثلة[2] .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن مقسم ، مولى عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة فسجى[3] ببردة ثم صلى عليه ، فكبر سبع تكبيرات ، ثم أتى بالقتلى فيوضعون إلى حمزة ، فصلى عليهم وعليه معهم ، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة[4] .

---

(١) هي ثويبة .

(٢) والراوي هو حميد بن تيرويه ، ويقال : ابن تيري يكنى أبا حميدة مولى طلحة الطلحات، وهو حديث صحيح في النهي عن المثلة . فإن قيل . لقد مثل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالعرنيين فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ، وتركهم بالحرة .

قلنا : في ذلك جوابان . أحدهما : أنه فعل ذلك قصاصاً لأنهم قطعوا أيدي الرعاة وأرجلهم وسملوا أعينهم ، روى ذلك في حديث أنس ، وقيل : إن ذلك قبل تحريم المثلة . فإن قيل : فقد تركهم يستسقون فلا يسقون ، حتى ماتوا عطشاً ، قلنا عطشهم لأنهم عطشوا أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم : تلك الليلة ، روى في حديث مرفوع أنه عليه السلام لما بقي وأهله تلك الليلة بلا لبن ، قال : اللهم عطش من عطش أهل بيت نبيك . وقع هذا في شرح ابن بطال ، وقد خرجه النسوي .

(٣) سجى : غطى .

(٤) لم يأخذ بهذا الحديث فقهاء الحجاز ولا الأوزاعي لوجهين : أحدهما ضعف إسناد هذا الحديث ، فإن ابن إسحاق قال : حدثني من لا أتهم ، يعني : الحسن بن عمارة — فيما =

قال ابن إسحاق : وقد أقبلت فيما بلغني ، صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه ، وكان أخاها لأبيها وأمها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العوام : القها فأرجعها ، لا ترى ما بأخيها ، فقال لها : يا أمه ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعى ، قالت : ولم ؟ وقد بلغنى أن قد مثل بأخى ، وذلك فى الله ، فما أرضانا بما كان من ذلك ! لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله . فلما جاء الزبير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، قال : خل سبيلها ، فأتته ، فنظرت إليه ، فصلت عليه ، واسترجعت[1] ، واستغفرت له ، ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن .

دفن الشهداء : قال : نزعم لى آل عبيد الله بن جحش — وكان لأميمة بنت عبد المطلب ، حمزة خاله ، وقد كان مثل به كما مثل بحمزة ، إلا أنه لم يبقر عن كبده — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفنه مع حمزة فى قبره ، ولم أسمع ذلك إلا عن أهله .

= ذكروا — ولا خلاف فى ضعف الحسن بن عمارة عند أهل الحديث ، وأكثرهم لا يرونه شيئاً ، وإن كان الذى قال ابن إسحاق : حدثنى من لا أتهم غير الحسن ، فهو مجهول ، والجهل يوبقه .

والوجه الثانى : أنه حديث لم يصحبه العمل ، ولا يروى عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه صلى على شهيد فى شىء من مغازيه إلا هذه الرواية فى غزوة أحد ، وكذلك فى مدة الخليفتين إلا أن يكون الشهيد مرتثا من المعركة وأما ترك غسله ، فقد أجمعوا عليه ، وإن اختلفوا فى الصلاة إلا رواية شاذة عند بعض التابعين ، والمعنى فى ذلك — والله أعلم — تحقيق حياة الشهداء وتصديق قوله سبحانه . « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً » الآية مع أن فى ترك غسله معنى آخر، وهو أن دمه أثر عبادة ، وهو يجىء يوم القيامة وجرحه يثعب دماً وريحه ريح المسك ، فكيف يطهر منه وهو طيب وأثر عبادة ، ومن هذا الأصل انتزع بعض العلماء كراهية تجفيف الوجه من ماء الوضوء ، وهو قول الزهرى ، قال الزهرى : وبلغنى أنه يوزن ، ومن هذا الأصل انتزع كراهية السواك بالعشى للصائم لئلا يذهب خلوف فمه ، وهو أثر عبادة ؛ وجاء فيه ما جاء فى دم الشهداء أنه أطيب عند الله من ريح المسك ، ويروى أطيب يوم القيامة من ريح المسك . رواه مسلم باللفظين جميعاً ، والمعنى واحد ، وجاءت الكراهية للسواك بالعشى للصائم عن على وأبى هريرة ، ذكر ذلك الدارقطنى .

(١) استرجعت : قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون، فهو فعل منحوت من الجملة ؛ مثل : وقل وبسمل واستعاذ إلى آخر هذه الأفعال المنحوتة .

قال ابن إسحاق : وكان قد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة ، فدفنوهم بها ، ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك . وقال : أدفنوهم حيث صرعوا .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعير العذري ، حليف بني زهرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على القتلى يوم أحد ، قال : أنا شهيد على هؤلاء ، إنه ما من جريح يجرح في الله ، إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه ، اللون لون دم والريح ريح مسك ، أنظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن ؛ فاجعلوه أمام أصحابه في القبر — وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد .

قال : وحدثني عمي موسى بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : ما من جريح يجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدمى ، اللون لون دم ، والريح ريح مسك .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن أشياخ من بني سلمة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال يومئذ ، حين أمر بدفن القتلى : انظروا إلى عمرو بن الجموح ، وعبد الله بن عمرو بن حرام ، فإنهما كانا متصافيين في الدنيا ، فاجعلوهما في قبر واحد .

قال ابن إسحاق : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى المدينة ، فلقيته حمنة بنت جحش ، كما ذكر لي ، فلما لقيت الناس نعي إليها أخــوها عبد الله بن جحش ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعي لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعي لها زوجها مصعب ابن عمير ، فصاحت وولولت ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن زوج المرأة منها لبمكان ! لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها .

قال ابن إسحاق : ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وظفر ، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم ، فذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى ، ثم قال : لكن حمزة لا بواكي له ! فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حضير إلى دار بني عبد الأشهل أمر نساءهم أن يتحزمن ، ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : حدثني حكيم بن حكيم عن عباد بن حنيف ، عن بعض رجال بني عبد الأشهل ، قال : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن على باب مسجده يبكين عليه ، فقال : أرجعن يرحمكن الله ، فقد آسيتن[1] بأنفسكن .

---

(١) آسيتن : عاونتن .

قال ابن هشام : ونهى يومئذ عن النوح .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بكاءهن ، قال : رحم الله الأنصار ! فإن المواساة منهم ما عتمت لقديمة ، مروهن فلينصرفن .

المرأة الدينارية : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الواحد بن أبى عون ، عن إسماعيل بن محمد ، عن سعد بن أبى وقاص ، قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بنى دينار ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، فلما نعوا لها ، قالت فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : كل مصيبة بعدك جلل ! تريد صغيرة .

قال ابن هشام : الجلل : يكون من القليل ، ومن الكثير ، وهو هاهنا من القليل . قال امرؤ القيس فى الجلل القليل :

لقتل بنى أسد ربهم ألا كل شىء سواه جلل[٢]

قال ابن هشام أى صغير قليل : قال ابن هشام : والجلل أيضاً العظيم : قال الشاعر ، وهو الحارث بن وعلة الجرمى :

ولئن عفوت لأعفون جللا ولئن سطوت لأوهنن عظمى

غسل السيوف : قال ابن إسحاق : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة ، فقال : اغسلى عن هذا دمه يابنية ، فوالله لقد صدقنى اليوم ، وناولها على بن أبى طالب سيفه ، فقال : وهذا أيضاً ، فاغسلى عنه دمه ، فوالله لقد صدقنى اليوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف وأبو دجانة .

قال ابن هشام : وكان يقال لسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذو الفقار .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن ابن أبى نجيح قال : نادى مناد يوم أحد : لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا على

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى بن أبى طالب : لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا .

قال ابن إسحاق : وكان يوم أحد يوم السبت للنصف من شوال .

---

(٢) الرب : الملك .

غزوة حمراء الأسد

قال : فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال ، أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس بطلب العدو ، فأذن مؤذنه أن لا يخرجن معنا أحد إلا أحد حضر يومنا بالأمس . فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ؛ فقال : يارسول الله ، إن أبى كان خلفنى على أخوات لى سبع ، وقال : يابنى ، إنه لا ينبغى لى ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ، ولست بالذى أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسى ، فتخلف على أخواتك ؛ فتخلفت عليهن . فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج معه . وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو ، وليبلغهم أنه خرج فى طلبهم ، ليظنوا به قوة ، وأن الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبى السائب مولى عائشة بنت عثمان : أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من بنى عبد الأشهل كان شهد أحدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : شهدت أحدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا وأخ لى ، فرجعنا جريحين ، فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج فى طلب العدو ، قلت لأخى أو قال لى : أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله مالنا من دابة نركبها ، وما منا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت أيسر جرحا ، فكان إذا غلب حملته عقبة ، ومشى عقبة ، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حمراء الأسد ، وهى من المدينة على ثمانية أميال ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام :

قال ابن إسحاق : فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

قال : وقد مر به كما حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، معبد بن أبى معبد الخزاعى ، وكانت خزاعة ، مسلمهم ومشركهم عيبة نصح [1] لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بتهامة ، صفقتهم [2] معه ، لا يخفون عنه شيئا كان بها ، ومعبد يومئذ مشرك ، فقال : يا محمد ، أما والله لقد عز علينا ما أصابك ، ولوددنا أن الله عافاك فيهم ، ثم خرج ورسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء

---

(١) عيبة نصح الرجل : مكمن سره . (٢) صفقتهم : اتفاقهم .

الأسد ، حتى لقى أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حد أصحابه وأشرافهم وقادتهم ، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ، لنكرن على بقيتهم ، فلنفرغن منهم . فلما رأى أبو سفيان معبداً ، قال : ماوراءك يامعبد ؟ قال : محمد قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط ، يتحرقون عليكم تحرقا ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم ، وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنق عليكم شىء لم أر مثله قط ؛ قال : ويحك ! ما تقول ؟ قال : والله ما أرى أن ترتحل حتى أرى نواصى الخيل ؛ قال : فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم ، لنستأصل بقيتهم ، قال فإنى أنهاك عن ذلك ؛ قال : والله لقد حملنى مارأيت على أن قلت فيهم أبياتا من شعر ؛ قال : وما قلت ؟ قال : قلت :

كادت تُهدّ من الأصوات راحلتى ... إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل [1]
تردى بأسْد كرام لا تنابلة ... عند اللقاء ولا ميل معازيل [2]
فظلت عدوا أظن الأرض مائلة ... لما سموا برئيس غير مخذول
فقلت : ويل ابن حرب من لقائكم ... إذا تغطمطت البطحاء بالجيل [3]
إنى نذير لأهل البسل ضاحية ... لكل ذى إربة منهم ومعقول [4]
من جيش أحمد لاوخش تنابلة ... وليس يوصف ما أنذرت بالقيل [5]

فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه .

ومر به ركب من عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ؟ قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة ؛ قال : فهل أنتم مبلغون عنى محمداً رسالة أرسلكم بها إليه ، وأحمل لكم هذه غداً زبيبا بعكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا نعم ؛ قال : فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم ، فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذى قال أبو سفيان ؛ فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل .

---

(١) الجرد : العتاق من الخيل . والأبابيل : الجماعات .

(٢) تردى : تسرع . والتنابلة : القصار . والميل : الذين لارماح معهم . والمعازيل : العزل من السلاح .

(٣) تغطمطت : اهتزت . والجيل : الصنف من الناس .

(٤) أهل البسل : قريش . والضاحية : الظاهرة للشمس . والإربة : العقل .

(٥) الوخش : رذلة الناس .

قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة : أن أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أحد ، أراد الرجوع إلى المدينة ، ليستأصل بقية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم صفوان ابن أمية بن خلف : لاتفعلوا ، فإن القوم قد حربوا (١) ، وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذى كان ، فارجعوا ، فرجعوا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو بحمراء الأسد ، حين بلغه أنهم هموا بالرجعة : والذى نفسي بيده ، لقد سوّمت (٢) لهم حجارة ، لو صبحوا بها لكانوا كأمس الذاهب .

قال أبو عبيدة : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جهة ذلك ، قبل رجوعه إلى المدينة معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ، وهو جد عبد الملك بن مروان ، أبو أمه عائشة بنت معاوية ، وأبا عزة الجمحى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسره ببدر ، ثم منّ عليه ؛ فقال : يارسول الله ، أقلني ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها وتقول : خدعت محمداً مرتين ، اضرب عنقه يازبير . فضرب عنقه .

قال ابن هشام : وبلغني عن سعيد بن المسيب أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المؤمن لايلدغ من جحر مرتين . اضرب عنقه ياعاصم بن ثابت ، فضرب عنقه .

قال ابن هشام : ويقال : إن زيد بن حارثة وعمار بن ياسر قتلا معاوية بن المغيرة بعد حمراء الأسد ، كان لجأ إلى عثمان بن عفان فاستأمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه ، على أنه وجد بعد ثلاث قتل ، فأقام بعد ثلاث وتوارى فبعثهما النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : إنكما ستجدانه بموضع كذاوكذا ، فوجداه فقتلاه .

شأن عبد الله بن أبىّ بعد غزوة أحد : قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان عبد الله بن أبى بن سلول ، كما حدثنى ابن شهاب الزهرى ، له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر ، شرفا له فى نفسه وفى قومه ، وكان فيهم شريفا ، إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخطب الناس ، قام فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم ، أكرمكم الله وأعزكم به ، فانصروه وعزروه ، واسمعوا له وأطيعوا ، ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ، ورجع بالناس ، قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه ، وقالوا : اجلس ، أى عدو الله ، لست لذلك بأهل ، وقد صنعت ماصنعت ، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنما قلت بجراً (٣) أن قمت أشدد أمره . فلقيه رجل من الأنصار بباب المسجد ، فقال : مالك ؟ ويلك ! قال : قمت

(١) حربوا : غضبوا . (٢) سومت : علمت . (٣) البجر : الأمر العظيم .

أشدد أمره ، فوثب على رجال من أصحابه يجذبونى ويعنفونى ، لكأنما قلت بجراً أن قمت أشدد أمره ؛ قال : ويلك ! ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : والله ما أبتغى أن يستغفر لى .

تمحيص المؤمنين يوم أحد : قال ابن إسحاق : كان يوم بلاء ومصيبة وتمحيص ، اختبر الله به المؤمنين ، ومحن به المنافقين ، ممن كان يظهر الإيمان بلسانه ، وهو مستخف بالكفر فى قلبه ، ويوما أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته .

ذكر ما أنزل الله فى أحد من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد ابن إسحاق المطلبى ، قال : فكان مما أنزل الله تبارك وتعالى فى يوم أحد من القرآن ستون آية من آل عمران ، فيها صفة ما كان فى يومهم ذلك ومعاتبة من عاتب منهم ، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : « وإذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال ، والله سميع عليم » .

قال ابن هشام : تبوىء المؤمنين : تتخذ لهم مقاعد ومنازل . قال الكميت بن زيد :

ليتنى كنت قبله قد تبوأتُ مضجعا

وهذا البيت فى أبيات له .

أى سميع بما تقولون ، عليم بما تخفون .

« إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا » : أى تتخاذلا ، والطائفتان : بنو سلمة بن جشم بن الخزرج ، وبنو حارثه بن النبيت من الأوس ، وهما الجناحان يقول الله تعالى : « والله وليهما » ؛ أى المدافع عنهما ماهمتا به من فشلهما ، وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضعف ووهن أصابهما غير شك فى دينهما ، فتولى دفع ذلك عنهما برحمته وعائدته ، حتى سلمتا من وهونهما وضعفهما ، ولحقتا بنبيهما صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : حدثنى رجل من الأسْد من أهل العلم ، قال : قالت الطائفتان . ما نحب أنا لم نهم بما هممنا به ، لتولى الله إيانا فى ذلك .

قال ابن إسحاق : يقول الله تعالى : « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » : أى من كان به ضعف من المؤمنين فليتوكل علىّ ، وليستعن بى ، أعنه على أمره ، وأدافع عنه ، حتى أبلغ عنه ، وأقويه على نبيه . « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ، فاتقوا الله لعلكم تشكرون » : أى فاتقونى ، فإنه شكر نعمتى . « ولقد نصركم الله ببدر» وأنتم أقل عدداً وأضعف قوة « إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » : أى إن تصبروا لعدوى ، وتطيعوا أمرى ، ويأتوكم من وجههم هذا، أمدكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين .

قال ابن هشام : مسومين : معلمين . بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن البصرى أنه قال : أعلموا على أذناب خيلهم ونواصيها بصوف أبيض . فأما ابن إسحاق فقال : كانت سيماهم يوم بدر عمائم بيضاً . وقد ذكرت ذلك فى حديث بدر . والسيما : العلامة . وفى كتاب الله عز وجل: « سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » : أى علامتهم . و « حجارة من سجيل منضود مسومة » يقول : مُعلمة . بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن البصرى أنه قال : عليها علامة ، أنها ليست من حجارة الدنيا ، وأنها من حجارة العذاب . قال رؤبة بن العجاج :

فالآن تبلى بى الجياد السهم ولا تجارينى إذا ما سوّموا(١)

وشخصت أبصارهم وأجذموا(٢)

وهذه الأبيات فى أرجوزة له . والمسومة أيضاً : المرعية ، وفى كتاب الله تعالى : « والخيل المسومة » و « شجر فيه تسيمون » . تقول العرب : سوم خيله وإبله ، وأسامها : إذا رعاها . قال الكميت بن زيد :

راعيا كان مسجحا ففقدنا ٭ وفقد المسيم هلك السوام

قال ابن هشام : مسجحاً : سلس السياسة محسن إلى الغنم . وهذا البيت فى قصيدة له .

« وما جعله الله إلا بشرى لكم ، ولتطمئن قلوبكم به ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » : أى ما سميت لكم من سميت من جنود ملائكتى إلا بشرى لكم ، ولتطمئن قلوبكم به ، لما أعرف من ضعفكم ، وما النصر إلا من عندى ، لسلطانى وقدرتى ، وذلك أن العز

---

(١) الجياد : الخيل العتاق . والسهم : العابسة .

(٢) أجذموا : أسرعوا .

والحكم إلىّ ، لا إلى أحد من خلقى . ثم قال : « ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين » : أى ليقطع طرفا من المشركين بقتل ينتقم به منهم ، أو يردهم خائبين : أى ويرجع من بقى منهم فلاًّ خائبين ، لم ينالوا شيئاً مما كانوا يأملون .

قال ابن هشام : يكبتهم : يغمهم أشد الغم ، ويمنعهم ما أرادوا . قال ذو الرمة :

ما أنس من شجن لا أنس موقفنا ... فى حيرة بين مسرور ومكبوت

ويكبتهم أيضاً : يصرعهم لوجوههم .

قال ابن إسحاق : ثم قال لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس لك من الأمر شىء ، أو يتوب عليهم ، أو يعذبهم فإنهم ظالمون » : أى ليس لك من الحكم شىء فى عبادى ، إلا ما أمرتك به فيهم ، أو أتوب عليهم برحمتى ، فإن شئت فعلت ، أو أعذبهم بذنوبهم فبحقى « فإنهم ظالمون » . أى قد استوجبوا ذلك بمعصيتهم إياى « والله غفور رحيم » : أى يغفر الذنب ويرحم العباد ، على ما فيهم(١) .

ثم قال: « يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة » : أى لا تأكلوا فى الإسلام ، إذ هداكم الله به ما كنتم تأكلون إذ أنتم على غيره ، مما لا يحل لكم فى دينكم « واتقوا الله لعلكم تفلحون » أى فأطيعوا الله لعلكم تنجون مما حذركم الله من عذابه ، وتدركون ما رغبكم الله فيه من ثوابه ، « واتقوا النار التى أعدت للكافرين » ، أى التى جعلت داراً لمن كفر بى .

---

(١) وفى الترمذى حديث مرفوع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — كان يدعو على أبى سفيان والحارث بن هشام وعمرو بن العاصى ، حتى أنزل الله تعالى : « ليس لك من الأمر شىء ، أو يتوب عليهم » ، قال : فتابوا وأسلموا ، وحسن إسلامهم ، وهذا حديث ثابت فى حسن إسلام أبى سفيان خلافاً لمن زعم غير ذلك ، وأما الحارث بن هشام فلا خلاف فى حسن إسلامه وفى موته شهيداً بالشام ، وأما عمرو بن العاصى ، فقد قال فيه النبى عليه السلام : أسلم الناس وآمن عمرو ، وقال فى حديث جرى ، ما كانت هجرتى للمال ، وإنما كانت لله ورسوله ، فقال له النبى — صلى الله عليه وسلم — نعما بالمال الصالح للرجل الصالح ، فسماه : رجلا صالحاً والحديث الذى جرى : أنه كان قال له إنى أريد أن أبعثك وجهاً يسلمك الله فيه ، ويغنمك ، وأزعب لك زعبة من المال .

ثم قال : « وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون » معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمرهم بما أمرهم به فى ذلك اليوم وفى غيره . ثم قال : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين» : أى داراً لمن أطاعنى وأطاع رسولى . « الذين ينفقون فى السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين » : أى وذلك هو الإحسان ، وأنا أحب من عمل به ، « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » : أى إن أتوا فاحشة ، أو ظلموا أنفسهم بمعصية ذكروا نهى الله عنها ، وما حرم عليهم ، فاستغفروه لها ، وعرفوا أنه لا يغفر الذنوب إلا هو . « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » : أى لم يقيموا على معصيتى كفعل من أشرك بى فيما غلوا به فى كفرهم، وهم يعلمون ما حرمت عليهم من عبادة غيرى . « أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ونعم أجر العاملين » : أى ثواب المطيعين .

ثم استقبل ذكر المصيبة التى نزلت بهم ، والبلاء الذى أصابهم ، والتمحيص لما كان فيهم ، واتخاذه الشهداء منهم ، فقال : تعزية لهم ، وتعريفاً لهم فيما صنعوا ، وفيما هو صانع بهم : « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » : أى قد مضت منى وقائع نقمة فى أهل التكذيب لرسلى والشرك بى : عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين ، فرأوا مَثُلات قد مضت منى فيهم ، ولمن هو على مثل ما هم عليه من ذلك منى ، فإنى أمليت لهم : أى لئلا يظنوا أن نقمتى انقطعت عن عدوكم وعدوى ، للدولة التى أدلتهم بها عليكم، ليبتليكم بذلك ، ليعلمكم ما عندكم .

ثم قال تعالى : « هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين » : أى هذا تفسير للناس إن قبلوا الهدى « وهدى وموعظة » أى نور وأدب « للمتقين » أى لمن أطاعنى وعرف أمرى . « ولا تهنوا ولا تحزنوا » : أى لا تضعفوا ولا تبتئسوا على ما أصابكم ، « وأنتم الأعلون » : أى لكم تكون العاقبة والظهور « إن كنتم مؤمنين » : أى إن كنتم صدقتم نبيى بما جاءكم به عنى . « إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله » : أى جراح مثلها ، « وتلك الأيام نداولها بين الناس » : أى نصرفها بين الناس للبلاء والتمحيص « وليعلم الله الذين آمنوا ، ويتخذ منكم شهداء ، والله لا يحب الظالمين » : أى ليميز بين المؤمنين والمنافقين نبيى وليكرم من أكرم من أهل الإيمان بالشهادة، والله لا يحب الظالمين» : أى المنافقين الذين يظهرون الطاعة وقلوبهم مصرة على المعصية « وليمحص الله الذين آمنوا » : أى يختبر الذين آمنوا حتى يخلصهم بالبلاء الذى نزل بهم ، وكيف صبرهم ويقينهم « ويمحق الكافرين » : أى يبطل من المنافقين قولهم بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، حتى يظهر منهم كفرهم الذى يستترون به .

ثم قال تعالى : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » : أى حسبتم أن تدخلوا الجنة ، فتصيبوا من ثوابى الكرامة ، ولم أختبركم بالشدة ، وأبتليكم بالمكاره ، حتى أعلم صدق ذلك منكم بالإيمان بى ، والصبر على ما أصابكم فى ، ولقد كنتم تمنون الشهادة على الذى أنتم عليه من الحق قبل أن تلقوا عدوكم ، يعنى الذين استنهضوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خروجه بهم إلى عدوهم ، لما فاتهم من حضور اليوم الذى كان قبله ببدر ، ورغبة فى للشهادة التى فاتتهم بها ، فقال : « ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه » يقول : « فقد رأيتموه وأنتم تنظرون » أى الموت بالسيوف فى أيدى الرجال قد خلى بينكم وبينهم وأنتم تنظرون إليهم ، ثم صدهم عنكم . « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشاكرين » : أى لقول الناس : قتل محمد صلى الله عليه وسلم ، وانهزامهم عند ذلك ، وانصرافهم عن عدوهم « أفإن مات أو قتل » رجعتم عن دينكم كفارا كما كنتم ، وتركتم جهاد عدوكم ، وكتاب الله . وما خلف نبيه صلى الله عليه وسلم من دينه معكم وعندكم ، وقد بين لكم فيما جاءكم به عنى أنه ميت ومفارقكم ، « ومن ينقلب على عقبيه » : أى يرجع عن دينه « فلن يضر الله شيئا » : أى ليس ينقص ذلك عز الله تعالى ولا ملكه ولا سلطانه ولا قدرته ، « وسيجزى الله الشاكرين » : أى من أطاعه وعمل بأمره[1] .

ثم قال : « وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا » : أى أن لمحمد صلى الله عليه وسلم أجلا هو بالغه ، فإذا أذن الله عز وجل فى ذلك كان . « ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ، وسنجزى الشاكرين » : أى من كان منكم يريد الدنيا، ليست له رغبة فى الآخرة ، نؤته منها ما قسم له من رزق ، ولا يعدوه فيها ، وليس له فى الآخرة من حظ « ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها » ما وعد به ، مع ما يجزى عليه من رزقه فى دنياه وذلك جزاء الشاكرين ، أى المتقين .

---

(١) ظهر تأويل هذه الآية حين انقلب أهل الردة على أعقابهم ، فلم يضر ذلك دين الله ، ولا أمة نبيه ، وكان أبو بكر يسمى : أمير الشاكرين لذلك ، وفى هذه الآية دليل على صحة خلافته ، لأنه الذى قاتل المنقلبين على أعقابهم حين ردهم إلى الدين الذى خرجوا منه ، وكان فى قوله سبحانه : « وسيجزى الله الشاكرين » دليل على أنهم سيظفرون بمن ارتد، وتكمل عليهم النعمة ، فيشكرون ، فتحريضه إياهم على الشكر — والشكر لا يكون إلا على نعمة — دليل على أن بلاء الردة لا يطول ، وأن الظفر بهم سريع ، كما كان .

ثم قال : « وكأين من نبي قُتل معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا ، والله يحب الصابرين » : أى وكأين من نبي أصابه القتل ، ومعه ربيون كثير : أى جماعة ، فما وهنوا لفقد نبيهم ، وما ضعفوا عن عدوهم ، وما استكانوا لما أصابهم فى الجهاد عن الله تعالى وعن دينهم ، وذلك الصبر ، والله يحب الصابرين « وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا فى أمرنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين » .

قال ابن هشام : واحد الربيين : رِبِّيّ ؛ وقولهم : الرباب ، لولد عبد مناة بن أد بن طابخة ابن إلياس ، ولضبة ، لأنهم تجمعوا وتحالفوا ، من هذا ، يريدون الجماعات . وواحدة الرباب : رِبة وربابة وهى جماعات قداح أو عصى ونحوها ، فشبهوها بها . قال أبو ذؤيب الهذلى :

وكأنهن ربـــابة وكـــأنه يسر يفيض على القداح ويصدع

وهذا البيت فى أبيات له . وقال أمية بن أبى الصلت :

حول شياطينهم أبابيل ربـــــيون شدوا سنورا مدسورا

وهذا البيت فى قصيدة له :

قال ابن هشام : والربابة أيضاً : الخرقة التى تلف فيها القداح .

قال ابن هشام : والسنور : الدروع . والدسر ، هى المسامير التى فى الحلق ، يقول الله عز وجل « وحملناه على ذات ألواح ودسر » .

قال الشاعر ، وهو أبو الأخزر الحِمّانى ، من تميم :

دسرا بأطراف القنا المقوم

قال ابن إسحاق : أى فقولوا مثل ما قالوا ، واعلموا أنما ذلك بذنوب منكم ، واستغفروه كما استغفروه ، وامضوا على دينكم كما مضوا على دينهم ، ولا ترتدوا على أعقابكم راجعين ، واسألوه كما سألوه أن يثبت أقدامكم ، واستنصروه على القوم الكافرين ، فكل هذا من قولهم قد كان ؛ وقد قتل نبيهم ، فلم يفعلوا كما فعلتم ، فآتاهم الله ثواب الدنيا بالظهور على عدوهم ، وحسن ثواب الآخرة وما وعد الله فيها ، والله يحب المحسنين .

« يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين » : أى عن عدوكم ، فتذهب دنياكم وآخرتكم « بل الله مولاكم وهو خير الناصرين » ، فإن كان ما تقولون بألسنتكم صدقا فى قلوبكم فاعتصموا به ، ولا تستنصروا بغيره ، ولا ترجعوا على أعقابكم مرتدين عن دينه . « سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب » : أى الذى به كنت أنصركم عليهم بما أشركوا بى ما لم أجعل لهم من حجة ، أى فلا تظنوا أن لهم عاقبة نصر ولا ظهور عليكم ما اعتصمتم بى ، واتبعتم أمرى ، للمصيبة التى أصابتكم منهم بذنوب قدمتموها لأنفسكم ، خالفتم بها أمرى للمعصية ، وعصيتم بها النبى صلى الله عليه وسلم . « ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه ، حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر ، وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون ، منكم من يريد الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة[1] ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم، والله ذو فضل على المؤمنين » أى وقد وفيت لكم بما وعدتكم من النصر على عدوكم ، إذ تحسونهم بالسيوف ، أى القتل ، بإذنى وتسليطى أيديكم عليهم ، وكفى أيديهم عنكم .

قال ابن هشام : الحس الاستئصال : يقال : حسست الشىء : أى استأصلته بالسيف وغيره قال جرير :

تحسهم السيوف كما تسامى حريق النار فى الأجم الحصيد[2]

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال رؤبة بن العجاج :

إذا شكونا سنة حسوسا

تأكل بعد الأخضر اليبيسا

وهذان البيتان فى أرجوزة له .

قال ابن إسحاق : « حتى إذا فشلتم » : أى تخاذلتم « وتنازعتم فى الأمر » أى اختلفتم فى

---

(١) وقوله « ومنكم من يريد الآخرة » قال ابن عباس : هو عبد الله بن جبير الذى كان أميراً على الرماة ، وكان أمرهم أن يلزموا مكانهم ، وألا يخالفوا أمر نبيهم ، فثبت معه طائفة ، فاستشهد ، واستشهدوا ، وهم الذين أرادوا الآخرة ، وأقبلت طائفة على المغنم ، وأخذ السلب ، فكر عليهم العدو ، وكانت المصيبة ، انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج ٣ ص ١٩٤

(٢) تسامى : ارتفع . والأجم : جمع أجمة . الشجر الكثير الملتف .

أمرى ، أى تركتم أمر نبيكم وما عهد إليكم ، يعنى الرماة « وعصيتم من بعد ما أراكم ماتحبون »: أى الفتح ، لاشك فيه ، وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم ، « منكم من يريد الدنيا » : أى الذين أرادوا النهب فى الدنيا وترك ما أمروا به من الطاعة التى عليها ثواب الآخرة « ومنكم من يريد الآخرة » : أى الذين جاهدوا فى الله ، ولم يخالفوا إلى مانهوا عنه ، لعرض من الدنيا ، رغبة فيها ، رجاء ماعند الله من حسن ثوابه فى الآخرة : أى الذين جاهدوا فى الدين ولم يخالفوا إلى مانُهوا عنه ، لعرض من الدنيا ، ليختبركم ، وذلك ببعض ذنوبكم ، ولقد عفا الله عن عظيم ذلك ، أن لايهلككم بما أتيتم من معصية نبيكم ، ولكنى عدت بفضلى عليكم ، وكذلك « من » الله على المؤمنين » أن عاقب ببعض الذنوب فى عاجل الدنيا أدبا وموعظة ، فإنه غير مستأصل لكل مافيهم من الحق له عليهم ، بما أصابوا من معصيته ، رحمة لهم ، وعائدة عليهم ، لما فيهم من الإيمان .

ثم أنبهم بالفرار عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ، وهم يُدعون لايعطفون عليه لدعائه إياهم ، فقال : « إذ تصعدون ولا تلوون على أحد ، والرسول يدعوكم فى أخراكم ، فأثابكم غما بغم ، لكيلا تحزنوا على مافاتكم ولا ما أصابكم » : أى كربا بعد كرب ، بقتل من قتل من إخوانكم ، وعلو عدوكم عليكم ، وبما وقع فى أنفسكم من قول من قال : قتل نبيكم ، فكان ذلك مما تتابع عليكم غما بغم ؛ لكيلا تحزنوا على مافاتكم ؛ من ظهوركم على عدوكم ، بعد أن رأيتموه بأعينكم ولا ما أصابكم من قتل إخوانكم ، حتى فرجت ذلك الكرب عنكم « والله خبير بما تعملون » . وكان الذى فرج الله به عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغم الذى أصابهم ، أن الله عز وجل رد عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيهم صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حياً بين أظهرهم ، هان عليهم ما فاتهم من القوم بعد الظهور عليهم ، والمصيبة التى أصابتهم فى إخوانهم ، حين صرف الله القتل عن نبيهم صلى الله عليه وسلم . « ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم ، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، يقولون هل لنا من الأمر من شىء ، قل إن الأمر كله لله ، يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك ، يقولون لو كان لنا من الأمر شىء ماقُتلنا هاهنا ، قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ، وليبتلى الله ما فى صدوركم ، وليمحص ما فى قلوبكم ، والله عليم بذات الصدور » ، فأنزل الله النعاس أمنة منه على أهل اليقين به ، فهم نيام لايخافون ، وأهل النفاق قد أهمتهم أنفسهم ، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، تخوف القتل ، وذلك أنهم لايرجون عاقبة ، فذكر الله عز وجل تلاومهم وحسرتهم على ما أصابهم . ثم قال الله سبحانه لنبيه صلى

الله عليه وسلم : « قل لو كنتم فى بيوتكم » لم تحضروا هذا الموطن الذى أظهر الله فيه منكم ماأظهر من سرائركم « لبرز » لأخرج « الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم » إلى موطن غيره يصرعون فيه ، حتى يبتلى به مافى صدورهم « وليمحص مافى قلوبكم ، والله عليم بذات الصدور » : أى لايخفى عليه مافى صدورهم مما استخفوا به منكم .

ثم قال : « ياأيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا فى الأرض أوكانوا غزًّى ، لوكانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا ، ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم ، والله يحى ويميت والله بما تعملون بصير » : أى لاتكونوا كالمنافقين الذين ينهون إخوانهم عن الجهاد فى سبيل الله ، والضرب فى الأرض فى طاعة الله عز وجل ، وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقولون إذا ماتوا أوقتلوا : لوأطاعونا ماماتوا وماقتلوا «ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم » لقلة اليقين بربهم ، «والله يحيى ويميت » : أى يعجل مايشاء ويؤخر مايشاء من ذلك من آجالهم بقدرته . قال تعالى : « ولئن قتلتم فى سبيل الله أومتم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون » : أى إن الموت لكائن لابد منه ، فموت فى سبيل الله ، أوقتل ، خير لوعلموا وأيقنوا مما يجمعون من الدنيا التى لها يتأخرون عن الجهاد ، تخوف الموت والقتل لما جمعوا من زهرة الدنيا زهادة فى الآخرة «ولئن متم أوقتلتم «أىّ ذلك كان «لإلى الله تحشرون» : أى أن إلى الله المرجع ، فلاتغرنكم الدنيا ، ولاتغتروا بها ، وليكن الجهاد ومارغبكم الله فيه من ثوابه آثر عندكم منها .

ثم قال تبارك وتعالى : « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولوكنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » : أى لتركوك « فاعف عنهم » : أى فتجاوز عنهم « واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين » فذكر لنبيه صلى الله عليه وسلم لينه لهم ، وصبره عليهم ، لضعفهم ، وقلة صبرهم على الغلظة لوكانت منه عليهم فى كل ماخالفوا عنه مما افترض عليهم من طاعة نبيهم صلى الله عليه وسلم . ثم قال تبارك وتعالى : « فاعف عنهم » : أى تجاوز عنهم ، « واستغفر لهم » ذنوبهم ، من قارف[1] من أهل الإيمان منهم « وشاورهم فى الأمر » : أى لتريهم أنك تسمع منهم ، وتستعين بهم ، وإن كنت غنيا عنهم ، تألفا لهم بذلك على دينهم « فإذا عزمت » : أى على أمر جاءك منى وأمر من دينك فى جهاد عدوك لايصلحك ولايصلحهم إلاذلك ، فامض على ماأمرت به ، على خلاف من خالفك ، وموافقة من وافقك ،

---

(١) قارف الذنب : دخل فيه .

« وتوكل على الله » ، أى ارض به من العباد ، « إن الله يحب المتوكلين . إن ينصركم الله فلا غالب لكم ، وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده » : أى لئلا تترك أمرى للناس ، وارفض أمر الناس إلى أمرى ، وعلى الله لا على الناس ، فليتوكل المؤمنون .

ثم قال : « وما كان لنبي أن يغل ، ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » : أى ما كان لنبي أن يكتم الناس ما بعثه الله به إليهم ، عن رهبة من الناس ولا رغبة ، ومن يفعل ذلك يأت يوم القيامة به ، ثم يجزى بكسبه ؛ غير مظلوم ولا معتدى عليه « أفمن اتبع رضوان الله » على ما أحب الناس أو سخطوا « كمن باء بسخط من الله » لرضا الناس أو لسخطهم . يقول : أفمن كان على طاعتى فثوابه الجنة ورضوان من الله كمن باء بسخط من الله راستوجب سخطه ، فكان « مأواه جهنم وبئس المصير » أسواء المثلان ! فاعرفوا . « هم درجات عند الله ، والله بصير بما يعملون » لكل درجات مما عملوا فى الجنة والنار : أى إن الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته .

ثم قال : « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » : أى لقد من الله عليكم يا أهل الإيمان ، إذ بعث فيكم رسولا من أنفسكم يتلو عليكم آياته فيما أحدثتم ، وفيما عملتم فيعلمكم الخير والشر ، لتعرفوا الخير فتعملوا به والشر فتتقوه ، ويخبركم برضاه عنكم إذا أطعتموه فتستكثروا من طاعته وتجتنبوا ماسخط منكم من معصيته ، ولتتخلصوا بذلك من نقمته ، وتدركوا بذلك ثوابه من جنته « وإن كنتم من قبل لفى ضلال مبين » : أى لفى عمياء من الجاهلية ، أى لا تعرفون حسنة ولا تستغفرون من سيئة صم عن الخير ، بكم عن الحق ، عمى عن الهدى .

ثم ذكر المصيبة التى أصابتهم ، فقال : « أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم : أنى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم ، إن الله على كل شىء قدير » : أى إن تلك أصابتكم مصيبة فى إخوانكم بذنوبكم فقد أصبتم مثليها قبل من عدوكم ، فى اليوم الذى كان قبله ببدر ، قتلا وأسرا ونسيتم معصيتكم وخلافكم عما أمركم به نبيكم صلى الله عليه وسلم ، أنتم أحللتم ذلك بأنفسكم « إن الله على كل شىء قدير » : أى إن الله على ما أراد بعباده من نقمة أو عفو قدير « وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله ، وليعلم المؤمنين » : أى ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوكم فبإذنى ، كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نصرى ، وصدقتكم وعدى ، ليميز بين المؤمنين والمنافقين « وليعلم الذين نافقوا » منكم : أى ليظهر ما فيهم . « وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا »

يعنى عبد الله بن أبىّ وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى عدوه من المشركين بأحد ، وقولهم : لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم ، ولدفعنا عنكم ، ولكنا لانظن أنه يكون قتال . فأظهر منهم ما كانوا يخفون فى أنفسهم . يقول الله عز وجل : « هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ، يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم ، أى يظهرون لك الإيمان وليس فى قلوبهم « والله أعلم بما يكتمون » : أى ما يخفون « الذين قالوا لإخوانهم » الذين أصيبوا معكم من عشائرهم وقومهم : « لو أطاعونا ما قتلوا ، قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين » : أى أنه لابد من الموت ، فإن استطعتم أن تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا وذلك أنهم إنما نافقوا وتركوا الجهاد فى سبيل الله ، حرصا على البقاء فى الدنيا . وفراراً من الموت .

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يرغب المؤمنين فى الجهاد ، ويهون عليهم القتل : « ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون » أى لاتظنن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا : أى قد أحييتهم ، فهم عندى يرزقون فى روح الجنة وفضلها ، مسرورين بما آتاهم الله من فضله على جهادهم عنه ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم : أى ويسرون بلحوق من لحقهم من إخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم ، ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذى أعطاهم ، قد أذهب الله عنهم الخوف والحزن . يقول الله تعالى : « يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين » لما عاينوا من وفاء الموعود ، وعظيم الثواب .

مصير قتلى أحد : قال ابن إسحاق : وحدثنى إسماعيل بن أمية ، عن أبى الزبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما أصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب ، فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم ، وحسن مقيلهم ، قالوا : ياليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا ، لئلا يزهدوا فى الجهاد ، ولا ينكلوا عن الحرب ، فقال الله تعالى : فأنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الآيات : ولا تحسبن ... » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى الحارث بن الفضيل ، عن محمود بن لبيد الأنصارى عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشهداء على بارق نهر بباب الجنة ، فى قبة خضراء ، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن مسعود أنه سئل عن هؤلاء الآيات :

« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون» فقال : أما إنا قد سألنا عنها فقيل لنا إنه لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ، ترد في أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش ، فيطلع الله عز وجل عليهم اطلاعة فيقول : ياعبادى ، ماتشتهون فأزيدكم ؟ قال : فيقولون ربنا لافوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا ! قال : ثم يطلع الله عليهم اطلاعة ، فيقول : ياعبادى، ماتشتهون ، فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لافوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا ! قال : ثم يطلع عليهم اطلاعة، فيقول : ياعبادى، ماتشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون: ربنا لافوق ماأعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا ! إلا أنا نحب أن ترد أرواحنا فى أجسادنا ، ثم نرد إلى الدنيا، فنقاتل فيك ، حتى نقتل مرة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، قال : سمعت جابر ابن عبد الله يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أبشرك يا جابر ؟ قال قلت :بلى يانبى الله ، قال : إن أباك حيث أصيب بأحد أحياه الله عز وجل ، ثم قال له : ماتحب يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك ؟ قال : أى رب ، أحب أن تردنى إلى الدنيا فأقاتل فيك ،فأقتل مرة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذى نفسى بيده ، مامن مؤمن يفارق الدنيا يحب أن يرجع إليها ساعة من نهار ، وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد، فإنه يحب أن يرد إلى الدنيا ، فيقاتل فى سبيل الله ، فيقتل مرة أخرى .

من خرجوا مع الرسول إلى حمراء الأسد : قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح » أى الجراح ، وهم المؤمنون الذين ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم أحد إلى حمراء الأسد على مابهم من ألم الجراح: « للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم. الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » ، والناس الذين قالوا لهم ما قالوا ، النفر من عبد القيس ، الذين قال لهم أبو سفيان ما قال ؟ قالوا إن أبا سفيان ومن معه راجعون إليكم . يقول الله عز وجل : « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم » لما صرف الله عنهم من لقاء عدوهم ، إنما ذلكم الشيطان ، أى لأولئك الرهط وما ألقى الشيطان على أفواههم « يخوف أولياءه » : أى يرهبكم بأوليائه ، « فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين . ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر » : أى المنافقون « إنهم لن يضروا الله شيئا، يريد الله ألا يجعل لهم حظاً فى الآخرة، ولهم عذاب عظيم . إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير

لأنفسهم ، إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين . ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب » : أى المنافقين « وما كان الله ليطلعكم على الغيب » : أى فيما يريد أن يبتليكم به ، لتحذروا ما يدخل عليكم فيه « ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء » أى يعلمه ذلك «فآمنوا بالله ورسله، وإن تؤمنوا وتتقوا » : أى ترجعوا وتتوبوا « فلكم أجر عظيم»

ذكر من استشهد بأحد من المهاجرين

قال ابن إسحاق: واستشهد من المسلمين يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش ، ثم من بنى هاشم بن عبد مناف : حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ، رضى الله عنه ، قتله وحشى ، غلام جبير بن مطعم .

ومن بنى أمية بن عبد شمس : عبد الله بن جحش ، حليف لهم من بنى أسد بن خزيمة .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : مصعب بن عمير ، قتله ابن قمئة الليثى .

ومن بنى مخزوم بن يقظة : شماس بن عثمان . أربعة نفر :

ذكر من استشهد بأحد من الأنصار : ومن الأنصار ، ثم من بنى عبد الأشهل : عمرو بن معاذ بن النعمان ، والحارث بن أنس ابن رافع ، وعمارة بن زياد بن السكن .

قال ابن هشام ؛ السكَن : ابن رافع بن امرىء القيس ، ويقال : السكْن .

قال ابن إسحاق : وسلمة بن ثابت بن وقش ، وعمرو بن ثابت بن وقش ، رجلان .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لى عاصم بن عمر بن قتادة : أن أباهما ثابتا قتل يومئذ . ورفاعة ابن وقش . وحسيل بن جابر ، أبو حذيفة وهو اليمان ، أصابه المسلمون فى المعركة ولايدرون، تصدق حذيفة بديته على من أصابه ، وصيفى بن قيظى . وحباب بن قيظى . وعباد بن سهل ، والحارث بن أوس بن معاذ . اثنا عشر رجلا

ومن أهل راتج : إياس بن أوس بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن عوراء بن جشم ابن عبد الأشهل ، وعبيد بن التيهان .

قال ابن هشام : ويقال : عتيك بن التيهان .

وحبيب بن يزيد بن تيم . ثلاثة نفر .

ومن بنى ظفر : يزيد بن حاطب بن أمية بن رافع . رجل .

ومن بنى عمرو بن عوف ، ثم من بنى ضبيعة بن زيد : أبو سفيان بن الحارث بن قيس

ابن زيد ، وحنظلة بن أبى عامر بن صيفى بن نعمان بن مالك بن أمة ، وهو غسيل الملائكة ، قتله شداد بن الأسود بن شعوب الليثى . رجلان .

قال ابن هشام : قيس : ابن زيد بن ضبيعة ، ومالك : ابن أمة بن ضبيعة .

قال ابن اسحاق : ومن بنى عبيد بن زيد : أنيس بن قتادة . رجل .

ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف : أبو حية ، وهو أخو سعد بن خيثمة لأمه .

قال ابن هشام : أبو حية : ابن عمرو بن ثابت .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن جبير بن النعمان ، وهو أمير الرماة . رجلان .

ومن بنى السلم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس : خيثمة أبو سعد بن خيثمة . رجل .

ومن حلفائهم من بنى العجلان : عبد الله بن سلمة . رجل .

ومن بنى معاوية بن مالك : سُبيع بن حاطب بن الحارث بن قيس بن هيشة . رجل

قال ابن هشام : ويقال : سويبق بن الحارث بن حاطب بن هيشة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى النجار : ثم من بنى سواد بن مالك بن غنم : عمرو بن قيس ، وابنه قيس بن عمرو .

قال ابن إسحاق : وثابت بن عمرو بن زيد ؛ وعامر بن مخلد . أربعة نفر .

ومن بنى مبذول : أبو هبيرة بن الحارث بن علقمة بن عمرو بن ثقف بن مالك بن مبذول ، وعمرو بن مطرف بن علقمة بن عمرو . رجلان .

ومن بنى عمرو بن مالك : أوس بن ثابت بن المنذر : رجل .

قال ابن هشام : أوس بن ثابت ، أخو حسان بن ثابت .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عدى بن النجار . أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام ابن جندب بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار . رجل

قال ابن هشام : أنس بن النضر ، عم أنس بن مالك : خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى مازن بن النجار : قيس بن مخلد ، وكيسان ، عبد لهم . رجلان

ومن بنى دينار بن النجار : سُليم بن الحارث ، ونعمان بن عبد عمرو رجلان .

ومن بنى الحارث بن الخزرج : خارجة بن زيد بن أبى زهير ، وسعد بن الربيع بن عمرو ابن أبى زهير ، دفنا فى قبر واحد ، وأوس بن الأرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك ابن ثعلبة بن كعب . ثلاثة نفر .

ومن بنى الأبجر ، وهم بنو خدرة : مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر . وهو أبو أبى سعيد الخدرى .

قال ابن هشام : اسم أبى سعيد الخدرى : سنان ؛ ويقال سعد .

قال ابن إسحاق : وسعيد بن سُويد بن قيس بن عامر بن عباد بن الأبجر ؛ وعتبة ، بن ربيع ، ابن رافع ؛ بن معاوية ، بن عبيد ، بن ثعلبة ، بن عبيد ، بن الأبجر ثلاثة نفر .

ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج : ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة ابن عمرو بن الخزرج بن ساعدة ؛ وثقف بن فروة بن البدى . رجلان .

ومن بنى طريف ، رهط سعد بن عبادة : عبد الله بن عمرو بن وهب بن ثعلبة بن وقش ابن ثعلبة بن طريف ؛ وضمرة ، حليف لهم من بنى جهينة . رجلان .

ومن بنى عوف بن الخزرج ، ثم من بنى سالم ، ثم من بنى مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم : نوفل بن عبد الله ؛ وعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان ؛ ونعمان بن مالك بن ثعلبة بن فهر بن غنم بن سالم ؛ والمجذر بن ذياد ، حليف لهم من بلى ؛ وعبادة بن الحساس . دفن النعمان بن مالك ، والمجذر ، وعبادة فى قبر واحد . خمسة نفر .

ومن بنى الحبلى : رفاعة بن عمرو . رجل .

ومن بنى سلمة ، ثم من بنى حرام : عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام ؛ وعمرو ابن الجموح بن زيد بن حرام ، دفنا فى قبر واحد ؛ وخلاد بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام ، وأبو أيمن ، مولى عمرو بن الجموح . أربعة نفر .

ومن بنى سواد بن غنم : سليم بن عمرو بن حديدة ، ومولاه عنترة ، وسهل بن قيس بن أبى كعب بن القين . ثلاثة نفر .

ومن بنى زريق بن عامر : ذكوان بن عبد قيس ، وعبيد بن المعلى بن لوذان . رجلان .

قال ابن هشام : عبيد بن المعلى ، من بنى حبيب .

قال ابن إسحاق : فجميع من استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار . خمسة وستون رجلا .

قال ابن هشام : وممن لم يذكر ابن إسحاق من السبعين الشهداء الذين ذكرنا ، من الأوس ، ثم من بنى معاوية بن مالك : مالك بن نميلة ، حليف لهم من مزينة .

ومن بنى خطمة — واسم خطمة : عبد الله بن جشم بن مالك بن الأوس — الحارث بن عدى بن خرشة بن أمية بن عامر بن خطمة .

ومن الخزرج ، ثم من بنى سواد بن مالك بن مالك : إياس .

ومن بنى عمرو بن مالك بن النجار : أياس بن عدى .

ومن بنى سالم بن عوف : عمرو بن إياس .

ذكر من قتل من المشركين يوم أحد

قال ابن إسحاق : وقتل من المشركين يوم أحد من قريش ، ثم من بنى عبد الدار بن قصى من أصحاب اللواء : طلحة بن أبى طلحة ، واسم أبى طلحة : عبدالله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، قتله على بن أبى طالب ، وأبو سعيد بن أبى طلحة ، قتله سعد بن أبى وقاص .

قال ابن هشام : ويقال : قتله على بن أبى طالب .

قال ابن إسحاق : وعثمان بن أبى طلحة ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، ومسافع بن طلحة ، والجلاس بن طلحة ، قتلهما عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح . وكلاب بن طلحة . والحارث بن طلحة ، قتلهما قزمان ، حليف لبنى ظفر .

قال ابن هشام : ويقال : قتل كلابا عبد الرحمن بن عوف .

قال ابن إسحاق : وأرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبدمناف بن عبد الدار قتله حمزة ابن عبد المطلب ، وأبو زيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله قزمان : وصؤاب غلام له حبشى قتله قزمان .

قال ابن هشام : ويقال : قتله على بن أبى طالب ، ويقال : سعد بن أبى وقاص ويقال أبو دجانة .

قال ابن إسحاق : والقاسط بن شُريح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله قزمان . أحد عشر رجلا .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد . قتله على بن أبى طالب . رجل .

ومن بنى زهرة بن كلاب : أبو الحكم بن الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى ، حليف لهم ، قتله على بن أبى طالب ، وسباع بن عبد العزى — واسم عبد العزى : عمرو بن نضلة بن غبشان بن سليم بن ملكان بن أفصى — حليف لهم من خزاعة ، قتله حمزة بن عبد المطلب . رجلان .

ومن بنى مخزوم بن يقظة ، هشام بن أبى أمية بن المغيرة ، قتله قزمان : والوليد بن العاص ابن هشام بن المغيرة ، قتله قزمان : وأبو أمية بن أبى حذيفة بن المغيرة ، قتله على بن أبى طالب ، وخالد بن الأعلم ، حليف لهم ، قتله قزمان . أربعة نفر .

ومن بنى جمح بن عمرو : عمرو بن عبد الله بن عمير بن وهب بن حذافة بن جمح ، وهو أبو عزة ، قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبراً ، وأبى بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده . رجلان .

ومن بنى عامر بن لؤى : عبيدة بن جابر ؛ وشيبة بن مالك بن المضرّب ، قتلهما قزمان . رجلان .

قال ابن هشام : ويقال : قتل عبيدة بن جابر عبد الله بن مسعود .

قال ابن إسحاق : فجميع من قتل الله تبارك وتعالى يوم أحد من المشركين ، اثنان وعشرون رجلا .

ذكر ما قيل من الشعر يوم أحد

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر فى يوم أحد ، قول هبيرة بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد عمران بن مخزوم — قال ابن هشام : عائذ : ابن عمران بن مخزوم .

ما بال همّ عميد بات يطرقنى ... بالوُد من هند إذ تعدو عواديها[1]
باتت تعاتبنى هند وتعذلنى ... والحرب قد شغلت عنى مواليها
مهلا فلا تعذلينى إن من خلقى ... ما قد علمت وما إن لست أخفيها
مساعف لبنى كعب بما كلفوا ... حمال عبء وأثقال أعانيها
وقد حملت سلاحى فوق مشترف ... ساط سبوح إذا تجرى يباريها[2]

---

(١) العميد : شديد الحزن . والعوادى : الشواغل .
(٢) مشترف : بفتح الراء اسم مفعول . أى فرس تنظر الناس إليه لحسنه .

كأنه إذ جرى عَــير بفدفدة ... مكدَّم لاحق بالعون يحميها[١]
من آل أعوج يرتاح النَّدىُّ له ... كجذع شعراء مستعل مراقيها[٢]
أعددته ورقاق الحــد منتحلا ... ومارنا لخطـوب قـد ألاقيها[٣]
هذا وبيضاء مثل النَّـهْى محكمة ... نيطت عليَّ فما تبدو مساويها[٤]
سقنا كنانة من أطراف ذى يمن ... عرض البلاد على ما كان يزجيها[٥]
قالت كنانة : أنَّى تذهبون بنا ؟ ... قلنا : النخيل ، فأموها ومن فيها[٦]
نحن الفوارس يوم الجر من أُحـد ... هابت معد فقلنـا نحن نأتيها[٧]
هابوا ضرابا وطعنا صادقا خذما ... مما يرون وقد ضُمت قواصيها[٨]
ثمتِ رحنا كأنا عارض برد ... وقام هام بنى النجار يبكيها[٩]
كأن هامهم عنـد الوغى فلق ... من قيْض رُبد نفته عن أداحيها[١٠]
أو حنظل ذعذعته الريح فى غصن ... بال تعاوره منها سوافيها[١١]
قد نبذل المال سحا لاحساب له ... ونطعن الخيل شزراً فى مآقيها[١٢]

---

(١) يشبه حصانه بحمار وحشى وهو العير . والفدفدة : الصحراء والمكدم : المعضوض والعون : القطيع من حمر الوحش .

(٢) الأعوج اسم فرس مشهور فى العرب ومنه الأعوجيات أى الخيل الجيدة . والندى المجلس من القوم والشعراء : نخلة كثيرة الأغصان .

(٣) رقاق الحد : السيوف والمنتحل : المتخير : والمارن هنا : الرمح اللين .

(٤) البيضاء : الدرع ، والنهى : الغدير . ونيطت علقت .

(٥) عرض البلاد : سعتها . ويزجيها : يسوقها .

(٦) يريد بالنخيل : المدينة المنورة . (٧) الجر : أصل الجبل .

(٨) الخذم : المذل .

(٩) العارض : السحاب والهام جمع هامة وهى ما تزعم العرب أنها طائر يخرج من رأس القتيل يصيح اسقونى حتى يؤخذ بثأر القتيل .

(١٠) الفلق : القطع . والقيض : قشر البيض والربض : النعام . والأداحى : أماكن تبيض فيها النعام .

(١١) تعاوره : تداوله . السوافى الرياح التى تحمل التراب والرمل .

(١٢) نبذل المال سحا : نجود كثيرا . والشزر : الطعن عن يمين وشمال .

وليلة يصطلى بالفرث جازرها يختص بالنقرى المثرين داعيها(١)
وليلة من جمادى ذات أندية جربا جمادية قد بت أسريها(٢)
لا ينبح الكلب فيها غير واحدة من القريس ولا تسرى أفاعيها(٣)
أوقدتُ فيها لذى الضراء جاحمة كالبرق ذاكية الأركان أحميها(٤)
أورثنى ذاكم عمرو ووالده من قبله كان بالمثنى يغاليها(٥)
كانوا يبارون أنواء النجوم فما دنت عن السوْرة العليا مساعيها(٦)

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت ، فقال :

سقتمْ كنانة جهلاً من سفاهتكم إلى الرسول لجند الله مخزيها
أوردتموها حياض الموت ضاحية فالنار موعدها ، والقتل لاقيها
جمعتموها أحابيشاً بلا حسب أئمة الكفر غرتكم طواغيها
ألا اعتبرتم بخيل الله إذ قتلت أهل القليب ومن ألقينه فيها
كم من أسير فككناه بلا ثمن وجز ناصية كنا مواليها

قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصارى لكعب بن مالك :

قال ابن هشام : وبيت هبيرة بن أبى وهب الذى يقول فيه :

وليلة يصطلى بالفرث جازرها يختص بالنقرى المثرين داعيها

يروى لجنوب ، أخت عمرو ذى الكلب الهذلى ، فى أبيات لها فى غير يوم أحد .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يجيب هبيرة بن أبى وهب أيضاً :

ألا هل أتى غسان عنا ودونهم من الأرض خرق سيره متنعنع(٧)
صحارٍ وأعلام كأن قتامها من البعد نقع هامد متقطع(٨)

---

(١) النقرى : دعوة قوم دون قوم وضدها الجفلى قال الشاعر :

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى لاترى الآدب فينا ينتقر

(٢) أندية : جمع ندى وهو المجلس . وجربا : شديدة البرودة وجمادية نسبة إلى جماد وقد سمى بهذا الاسم إذ صادف مجيئه وقت تجمد المياه .

(٣) القريس : البرد مع الصقيع . (٤) الجاحمة : الملتهبة .

(٥) المثنى : المرة بعد الأخرى . (٦) دنت : قصرت . السورة : المنزلة .

(٧) الخرق : الفلاة . والمتنعنع : المضطرب .

(٨) الأعلام : الجبال . والقتام : ما اسود من الأشياء . والنقع : الغبار .

تظل به البزل العراميس رزحا ... ويخلو به غيث السنين فيمرع[1]
به جيف الحسرى يلوح صليبها ... كما لاح كتان التجار الموضع[2]
به العين والآرام يمشين خلفة ... وبيض نعام قيضه يتقلع[3]
مجالدنا عن ديننا كل فخمة ... مدربة فيهــا القوانس تلمع[4]
وكل صموت فى الصوان كأنها ... إذا لبست نهى من الماء مترع[5]
ولكن ببدر سائلوا من لقيتم ... من الناس والأنباء بالغيب تنفع
وإنا بأرض الخوف لو كان أهلها ... سوانا لقد أجلوا بليل فأقشعوا[6]
إذا جاء منا راكب كان قوله ... أعدوا لما يزجى ابن حرب ويجمع[7]
فمهما يهم الناس مما يكيدنا ... فنحن له من سائر الناس أوسع
فلو غيرنا كانت جميعا تكيده الـ ... برية قد أعطوا يدا وتوزعوا[8]
نجالد لا تبقى علينا قبيلة ... من الناس إلا أن يهابوا ويفظعوا
ولما ابتنوا بالعرض قال سراتنا ... علام إذا لم نمنع العرض نزرع ؟[9]
وفينا رسول الله نتبع أمره ... إذا قال فينا القول لا نتظلع[10]
تدلى عليه الروح من عند ربه ... ينزل من جو السماء ويرفع
نشاوره فيما نريد وقصرنا ... إذا ما اشتهى أنا نطيع ونسمع[11]
وقال رسول الله لما بدوا لنا ... ذروا عنكم هول المنيات واطمعوا
وكونوا كمن يشرى الحياة تقربا ... إلى ملك يحيا لديه ويرجع
ولكن خذوا أسيافكم وتوكلوا ... على الله إن الأمر لله أجمع

---

(١) البزل : الإبل القوية . العراميس : الشديدة . ويمرع : يخصب .
(٢) الصليب هنا : دسم الشحم واللحم . والموضع : المحلى بالنقوش .
(٣) العين : بقر الوحش . والآرام : بيض البطون سمر الظهور . وخلفة . جماعة وراء جماعة . والقيض : قشر البيض . ويتقلع : يتشقق .
(٤) الفخمة : الكتيبة الضخمة . القوانس : رءوس بيض السلاح .
(٥) الصموت : الدرع التى أحكم صنعها . والصوان : مايصان فيه الشيء . والنهى : الغدير .
(٦) أقشعوا : فروا .
(٧) يزجى : يسوق .
(٨) توزعوا : تفرقوا .
(٩) ابتنوا : ضربوا أبنيتهم . والعرض : قرى المدينة .
(١٠) لا نتظلع : لا نميل .
(١١) قصرنا : غايتنا .

فسرنا إليهم جهرة فى رحالهم ... ضحيا علينا البيض لا نتخشع

بملمومة فيهــا السَّنَوَّر والقنا ... إذا ضربوا أقدامها لا تورع(١)

لجئنا إلى موج من البحر وسطه ... أحابيش منهم حاسر ومقنع

ثلاثة آلاف ونحن نصية ... ثلاث مئين إن كثرنا وأربع(٢)

نغاورهم تجــرى المنية بيننا ... نشارعهم حوض المنايا ونشرع(٣)

تهادى قسى النبـــع فينا وفيهم ... وما هو إلا اليثربى المقطع(٤)

ومنجوفة حرمية صاعدية ... يذر عليها السم ساعة تصنع(٥)

تصوب بأبدان الرجال وتارة ... تمر بأعراض البصار تقعقع(٦)

وخيل تراها بالفضاء كأنها ... جراد صبا فى قرة يتريع(٧)

فلما تلاقينا ودارت بنـــا الرحى ... وليس لأمر حمه الله مدفع

ضربناهم حتى تركنا سراتهم ... كأنهم بالقاع خشب مصرع

لدن غدوة حتى استفقنا عشية ... كأن ذكانا حر نار تلفع(٨)

وراحوا سراعا موجفين كأنهم ... جهام هراقت ماءه الريح مقلع(٩)

ورحنا وأخرانا بطاء كأننا ... أسود على لحم ببيشة ظلع(١٠)

فنلنا ونال القوم منا وربما ... فعلنا ولكن ما لدى الله أوسع

ودارت رحانا واستدارت رحاهم ... وقد جعلوا كل من الشر يشبع

ونحن أناس لا نرى القتل سبة ... على كل من يحمى الذمار ويمنع

جلاد على ريب الحوادث لا نرى ... على هالك عينا لنا الدهر تدمع

---

(١) الملمومة : الكتيبة المجتمعة ، والسنور : السلاح

(٢) النصية : خيار القوم . (٣) نغاورهم : نداولهم . نشارعهم : نشاربهم

(٤) النبع شجر تتخذ منه القسى . واليثربى : الأوتار .

(٥) المنجوفة : السهام . والحرمية : نسبة إلى الحرم . والصاعدية : منسوبة إلى صاعد . وهو رجل مشهور بصنعها . (٦) البصار : حجارة . تقعقع : تصوت .

(٧) القرة : البرد . والتريع : المجىء والذهاب . (٨) ذكانا : التهابنا . تلفع : يصيب حرها من قرب منها .

(٩) الجهام : سحاب رقيق ليس فيه ماء . (١٠) بيشة مكان تنسب إليه . الأسود وظلع : أى امتلأت بنا الأرض لكثرتنا .

بنو الحرب لا نعيا بشىء نقوله ... ولا نحن مما جرت الحرب نجزع
بنو الحرب إن نظفر فلسنا بفحش ... ولا نحن من أظفارها نتوجع
وكنا شهابا يتقى الناس حره ... ويفرج عنه من يليه ويسفع[1]
فخرت على ابن الزبعرى وقد سرى ... لكم طلب من آخر الليل متبع
فسل عنك فى عُليا معد وغيرها ... من الناس من أخزى مقاما وأشنع
ومن هو لم تترك له الحرب مفخراً ... ومن خده يوم الكريهة أضرع[2]
شددنا بحول الله والنصر شدة ... عليكم وأطراف الأسنة شُرَّع
تكر القنا فيكم كأن فروغها ... عزالى مزاد ماؤها يتهزع[3]
عمدنا إلى أهل اللواء ومن يطر ... بذكر اللواء فهو فى الحمد أسرع
فخانوا وقد أعطوا يدا وتخاذلوا ... أبى الله إلا أمره وهو أصنع

قال ابن هشام : وكان كعب بن مالك قد قال :

مجالدنا عن جذمنا كل فخمة[4]

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيصلح أن تقول : مجالدنا عن ديننا ؟ فقال كعب : نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهو أحسن ؛ فقال كعب مجالدنا عن ديننا .

قال ابن إسحاق وقال عبد الله بن الزبعرى فى يوم أحد :

يا غراب البين أسمعتَ فقل ... إنما تنطق شيئا قد فُعل
إن للخير وللشر مدًى ... وكلا ذلك وجه وقبل[5]
والعطيات خساس بينهم ... وسواء قبر مثر ومقل
كل عيش ونعيم زائل ... وبنات الدهر يلعبن بكل
أبلغن حسان عنى آية ... فقريض الشعر يشفى ذا الغلل
كم ترى بالجر من جمجمة ... وأكف قد أترت ورجل[6]
وسرابيل حسان سريت ... عن كماة أهلكوا فى المنتزل[7]

---

(١) يسفع : يحرق . (٢) الأضرع : الذليل .
(٣) الفروغ : جمع فرغ : الطعنة الواسعة التى يسيل دمها . والعزالى : جمع عزلاء وهى فم المزادة . ويتهزع : يسرع فى سيلانه . (٤) جذمها : أصلها .
(٥) القبل : ما يستقبل الإنسان من الأيام . (٦) الجر : أصل الجبل . أترت : قطعت
(٧) السرابيل : الدروع . سريت : جردت والمنتزل : موضع النزال .

كم قتلنا من كريم سـيد ... ماجد الجدين مقـدام بطل

صادق النجدة قـرم بارع ... غير ملتاث لدى وقع الأسل(١)

فسل المهراس مَن ساكنه؟ ... بين أقحاف وهام كالحَجَل(٢)

ليت أشياخى ببـدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل(٣)

حين حكّت بقبـاء بركها ... واستحر القتل فى عبد الأشل(٤)

ثم خفوا عند ذاكم رقصا ... رقص الحفّان يعلو فى الجبل(٥)

فقتلنا الضعف من أشرافهـم ... وعدلنـا ميل بدر فاعتدل

لا ألوم النفس إلا أننـا ... لو كررنا لفعلنا المفتعل

بسيوف الهنـد تعلو هامهم ... عللا تعلوهم بعد نهل(٦)

فأجابه حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه، قال:

ذهبت يابن الزبعرى وقعة ... كان منا الفضل فيها لو عدل

ولقد نلتم ونلنـا منكم ... وكذاك الحرب أحيانا دُوَل

نضع الأسياف فى أكتافكم ... حيث نهوى عَللا بعد نهل

نخرج الأصبح من أستاهكم ... كسُلاح النيب يأكلن العصل(٧)

إذ تولون على أعقابكم ... هربا فى الشعب أشباه الرُّسل(٨)

إذ شددنا شدة صادقة ... فأجأناكم إلى سفح الجبل(٩)

بخناطيل كأمذاق المـلا ... من يلاقوه من الناس يهل(١٠)

---

(١) القرم: الفحل. الملتاث: الضعيف. وقع الأسل: وقع الرماح.

(٢) الأقحاف: جمع قحف، ما انفصل من الجمجمة. الهام: الرءوس. الحجل: طائر أحمر المنقار والرجلين.

(٣) الأسل: الرماح.

(٤) البرك: الصدر. عبد الأشل يريد بنى عبد الأشهل. حذف الهاء لإقامة الوزن.

(٥) الرقص: ضرب من المشى السريع. الحفان: النعام الصغير.

(٦) العلل: الشرب الثانى والنهل الشرب الأول، يريد معاودة الضرب.

(٧) النيب: النوق المسنة. والعصل: نبات تأكله الإبل فيخرج أحمر مع فضلاتها.

(٨) الرسل: الإبل المرسلة.

(٩) أجأناكم: ألجأناكم.

(١٠) الخناطيل: الجماعات. والأمذاق: أخلاط الناس. والملا: ما اتسع من الأرض. ويهل: يفزع ويرتاع.

ضاق عنا الشّعب إذ نجزعه ... وملأنا الفرط منه والرَّجَل[1]
برجال لستم أمثالهم ... أيدوا جبريل نصراً فنزل[2]
وعلونا يوم بدر بالتقى ... طاعة الله وتصديق الرسل
وقتلنا كل رأس منهم ... وقتلنا كل جحجاح رفِل[3]
وتركنا فى قريش عورة ... يوم بدر وأحاديث المَثَل
ورسول الله حقا شاهد ... يوم بدر والتنابيل الهُبُل[4]
فى قريش من جموع جمعوا ... مثل ما يجمع فى الخصب الهمل[5]
نحن لا أمثالكم وُلد استها ... نحضر الناس إذا البأس نزل

قال ابن هشام : وأنشدنى أبو زيد الأنصارى : « وأحاديث المثل » والبيت الذى قبله . وقوله : « فى قريش من جموع جمعوا » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يبكى حمزة بن عبد المطلب وقتلى أحد من المسلمين :

نشجت وهل لك من منشج ... وكنت متى تذكر تلجج[6]
تذكرَ قوم أتانى لهم ... أحاديث فى الزمن الأعوج
فقلبك من ذكرهم خافق ... من الشوق والحزن المنضج
وقتلاهم فى جنان النعيم ... كرام المداخل والمخرج
بما صبروا تحت ظل اللواء ... لواء الرسول بذى الأضوج[7]
غداة أجابت بأسيافها ... جميعا بنو الأوس والخزرج
وأشياع أحمد إذ شايعوا ... على الحق ذى النور والمنهج[8]

(١) نجزع : نقطع عرضاً . الفرط . الأرض العالية . والرجل : ما اطمأن من الأرض .
(٢) أيدوا جبريل : أى أيدوا بجبريل حذف حرف الجار وعدى الفعل .
(٣) الجحجاح : السيد العظيم . والرفل : من يجر ثوبه خيلاء .
(٤) التنابيل : القصار . الهبل : ضخام الأجسام .
(٥) الهمل : الإبل المهملة المتروكة بلا راع .
(٦) تلجج : تتمادى .
(٧) الأضوج : اسم مكان . (٨) المنهج : الواضح .

فما برحوا يضربون الكماة ... ويمضون فى القسطل المرهج(١)
كذلك حتى دعاهم مليك ... إلى جنة دوحة المولج(٢)
فكلهم مات حر البلاء ... على ملة الله لم يحرج
كحمزة لما وفى صادقا ... بذى هبة صارم سلجج(٣)
فلاقاه عبد بنى نوفل ... يبربر كالجمل الأدعج(٤)
فأوجره حربة كالشهاب ... تلهب فى اللهب الموهج(٥)
ونعمان أوفى بميثاقه ... وحنظلة الخير لم يحنج(٦)
عن الحق حتى غدت روحه ... إلى منزل فاخر الزبرج(٧)
أولئك لا من ثوى منكم ... من النار فى الدرك المرتج

فأجابه ضرار بن الخطاب الفهرى ، فقال :

أيجزع كعب لأشياعه ... ويبكى من الزمن الأعوج
عجيج المذكى رأى إلفه ... تروح فى صادر محنج(٨)
فراح الروايا وغادرنه ... يعجعج قسرا ولم يحدج(٩)
فقولا لكعب يثنى البكا ... وللنىء من لحمه ينضج
لمصرع إخوانه فى مكر ... من الخيل ذى قسطل مرهج(١٠)
فياليت عمرا وأشياعه ... وعتبة فى جمعنا السورج(١١)

---

(١) القسطل : الغبار . المرهج : العالى فى الجو .
(٢) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة : المولج : المدخل .
(٣) بذى هبة : أى بسيف ذى هبة . والهبة : الوقوع فى العظم . سلجج : مرهف .
(٤) عبد بنى نوفل . هو وحشى . يبربر : يصيح والأدعج : الأسود .
(٥) أوجره : طعنه فى صدره (٦) لم يحنج : لم يمل عن وجهه .
(٧) الزبرج : الزينة من الوشى أو الجوهر .
(٨) العجيج : الصياح . ويريد بالمذكى هنا : المسن من الإبل : الصادر : الراجع عن الماء : محنج : مصروف عن وجهه .
(٩) لم يحدج : لم يجعل عليه الحدج وهو مركب النساء .
(١٠) القسطل : الغبار . المرهج : المرتفع (١١) السورج : المتقد .

فيشفوا النفوس بأوتارها ... بقتلى أصيبت من الخزرج

وقتلىً من الأوس فى معرك ... أصيبوا جميعاً بذى الأضوج

ومقتل حمزة تحت اللواء ... بمطرد، مارن ، مخلج(١)

وحيث انثنى مصعب ثاويا ... بضربة ذى هبة سلجج

بأحد وأسيافنا فيهم ... تلهب كاللهب الموهج

غداة لقينـاكم فى الحديد ... كأسد البراح فلم تعنج(٢)

بكل مجلحة كالعقاب ... وأجرد ذى مَيعة مُسرج(٣)

فدسناهم ثم حتى انثنوا ... سوى زاهق النفس أو محرج

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار . وقول كعب : « ذى النور والمنهج » عن أبى زيد الأنصارى .

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبعرى فى يوم أحد ، يبكى القتلى :

ألا ذرفت من مقلتيك دموع ... وقد بان من حبل الشباب قطوع

وشط بمن تهوى المزار وفرقت ... نوى الحى دار بالحبيب فجوع

وليس لما ولى على ذى حرارة ... وإن طال تذراف الدموع رجوع

فذر ذا ولكن هل أتى أم مالك ... أحاديث قومى والحديث يشيع

ومُجنبنا جرداً إلى أهـــل يثرب ... عناجيج منها مـــتلد ونزيع(٤)

عشية سرنا فى لُهام يقودنا ... ضرور الأعادى للصديق نفوع

تشد علينا كل زغف كأنهـــا ... غدير بضوْج الواديين نقيع(٥)

فلما رأونا خالطتهم مهابة ... وعاينهم أمر هناك فظيع

وودوا لو أن الأرض ينشق ظهرها ... بهم وصبور القوم ثَم جزوع

وقد عريت بيض كأن وميضها ... حريق ترقى فى الأباء سريع(٦)

---

(١) المطرد : الذى يهتز ، والمراد به هنا الرمح . المارن : اللين .

(٢) تعنج : تكف (٣) المجلحة : المتقدمة ويريد بها فرسا . والأجرد الفرس العتيق . والميعة : النشاط .

(٤) مجنبنا : سوقنا للخيل . العناجيج : الحسان . المتلد : ما ولد عندك . والنزيع : الغريب

(٥) الزغف : الدروع اللينة . والضوج : جانب الوادى . والنقيع : المملوء بالماء .

(٦) الأباء : الأجمة المشتكة الأغصان .

بأيماننا نعلو بها كل هامة ... ومنها سهام للعدو ذريع[1]
فغادرن قتلى الأوس غاصبة بهم ... ضباع وطير يعتفين وقوع
وجمع بنى النجار فى كل تلعة ... بأبدانهم من وقعهن نجيع[2]
ولولا علو الشّعب غادرن أحمداً ... ولكن علا والسمهرى شروع[3]
كما غادرت فى الكر حمزة ثاويا ... وفى صدره ماضى الشباة وقيع[4]
ونعمان قد غادرن تحت لوائه ... على لحمه طير يجفن وقوع[5]
بأحد وأرماح الكماة يُردنهم ... كما غال أشطان الدلاء نُزوع[6]

فأجابه حسان بن ثابت ، فقال :

أشاقك من أم الوليد ربوع ... بلاقع ما من أهلهن جميع
عفاهن صيفىّ الرياح وواكف ... من الدلو رّجاف السحاب هموع[7]
فلم يبق إلا موقد النار حوله ... رواكد أمثال الحمام كنوع[8]
فدع ذكر دار بددت بين أهلها ... نوى لمتينات الحبال قطوع
وقُل إن يكن يوم بأحد يعدّه ... سفيه فإن الحق سوف يشيع
فقد صابرت فيه بنو الأوس كلهم ... وكان لهم ذكر هناك رفيع
وحامى بنو النجار فيه وصابروا ... وما كان منهم فى اللقاء جزوع
أمام رسول الله لا يخذلونه ... لهم ناصر من ربهم وشفيع
وفوا إذ كفرتم يا سخين بربكم ... ولا يستوى عبد وفىّ ومضيع[9]
بأيديهم بيض إذا حمش الوغى ... فلا بد أن يردى لهن صريع
كما غادرت فى النقع عتبة ثاويا ... وسعداً صريعاً والوشيج شروع[10]

---

(١) ذريع : من يقتل سريعا . (٢) نجيع : دم .
(٣) الشعب : الطريق فى الجبل . السمهرى : الرماح . شروع مهيئة للطعن .
(٤) الشباة : الحد . وقيع : محدد . (٥) يجفن : يطلبن ما فى جوفه .
(٦) غال : أهلك . الأشطان : الحبال . والنزوع : جذب الدلو من البئر .
(٧) الواكف : المطر المنهمر . والدلو : برج فى السماء معروف . رجاف : مصوت . هموع : سائل . (٨) كنوع : لاصقة بالأرض .
(٩) ياسخين : أراد ياسخينة وهو لقب لقريش لأكلها إياها وهى طعام يصنع من الدقيق .
(١٠) الوشيج : الرماح .

وقد غادرت تحت العجاجة مسنداً ‍ أبياً وقد بل القميص نجيع(١)
بكف رسول الله حيث تنصبت ‍ على القوم مما قد يثرن نقوع
أولئك قوم سادة من فروعكم ‍ وفى كل قوم سادة وفروع
بهن نُعِز الله حتى يعزنا ‍ وإن كان أمر يا سخين نظيع
فلا تذكروا قتلى حمزة فيهم ‍ قتيل ثوى لله وهو مطيع
فإن جنان الخلد منزلة له ‍ وأمر الذى يقضى الأمور سريع
وقتلاكم فى النار أفضل رزقهم ‍ حميم معا فى جوفها وضريع(٢)

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان وابن الزبعرى ، وقوله : « ماضى الشباة ، وطير يحفن » عن غير ابن إسحاق .

وقال ابن إسحاق وقال عمرو بن العاصى فى يوم أحد :

خرجنا من الفيفا عليهم كأننا ‍ مع الصبح من رضوى الحبيك المنطق (٣)
تمنت بنو النجار جهلا لقاءنا ‍ لدى جَنب سلع والأمانى تصدق (٤)
فما راعهم بالشر إلا فجاءة ‍ كراديس خيل فى الأزقة تمرق
أرادوا لكيما يستبيحوا قبابنا ‍ ودون القباب اليوم ضرب محرق
وكانت قبابا أومنت قبل ما ترى ‍ إذ رامها قوم أبيحوا وأحنقوا
كأن رءوس الخزرجيين غدوة ‍ وأيمانهم بالمشرفية بَرْوَق (٥)

فأجابه كعب بن مالك ، فيما ذكر ابن هشام ، فقال :

ألا أبلغا فهراً على نأى دارها ‍ وعندهم من علمنا اليوم مصدق
بأنا غداة السفح من بطن يثرب ‍ صبرنا ورايات المنية تخفق
صبرنا لهم والصبر منا سجية ‍ إذا طارت الأبرام نسمو ونرتُق (٦)
على عادة تلكم جرينا بصبرنا ‍ وقدما لدى الغايات نجرى فنسبق
لنا حومة لا تُستطاع يقودها ‍ نبي أتى بالحق عف مصدق

---

(١) العجاجة : الغبرة . النجيع : الدم . (٢) الضريع : ما يطرحه البحر من النبات .
(٣) رضوى : اسم جبل . الحبيك : ما فيه طرائق . المنطق : الحزام .
(٤) سلع : اسم جبل خارج المدينة. (٥) بروق : نوع من النبات له رؤوس تشبه البصل
(٦) الأبرام : اللئام . نرتق : نسد ونصلح .

ألا هل أتى أفناء فهر بن مالك   مقطع أطراف وهام مفلق [١]

قال ابن إسحاق: وقال ضرار بن الخطاب:

إنى وجدك لولا مُقْدَمى فرسى   إذا جالت الخيل بين الجزع والقاع [٢]
مازال منكم بجنب الجزع من أحد   أصواب هام تزاقى أمرها شاعى [٣]
وفارس قد أصاب السيف مفرقه   أفلاق هامته كفروة الراعى
إنى وجدك لا أنفك منتطقا   بصارم مثل لون الملح قطاع [٤]
على رحالة ملواح مثابرة   نحو الصريخ إذا ما ثوّب الداعى [٥]
وما انتميت إلى خور ولا كشُف   ولا لئام غداة البأس أوراع [٦]
بل ضاربين حبيك البيض إذ لحقوا   شم العرانين عند الموت لذّاع [٧]
شم بهاليل مسترخ حمائلهم   يسعون للموت سعيا غير دعداع [٨]

وقال ضرار بن الخطاب أيضا:

لما أتت من بنى كعب مزينة   والخزرجية فيها البيض تأتلق
وجردوا مشرفيات مهندة   وراية كجناح النسر تختفق
فقلت يوم بأيام ومعركة   تنبى لما خلفها ماهزهز الوَرَق [٩]
قد عُودوا كل يوم أن تكون لهم   ريح القتال وأسلاب الذين لقوا
خيرت نفسى على ما كان من وجل   منها وأيقنت أن المجد مستبق

---

(١) الأفناء: المختلط. والهام: الرءوس.
(٢) الجزع: ما انعطف من الوادى. القاع: ما انخفض من الأرض.
(٣) الهام: جمع هامة وهى مايزعم العرب أن طائرا يخرج من رأس القتيل يصيح اسقونى اسقونى حتى يؤخذ بثأره. تزاقى: تصيح: شاعى: أراد شائع.
(٤) المنتطق: المحتزم.
(٥) الرحالة: السرج. الملواح: الفرس القوية: ثوب: كرر الدعاء.
(٦) كشف من لا أدراع لهم فى الحرب. الأوراع: الجبناء.
(٧) الحبيك: الطرائق. (٨) البهاليل: السادة. الدعداع: الضعيف.
(٩) هزهز: حرك.

أكرهت مهرى حتى خاض غمرتهم ... وبله من نجيع عانك علق[1]
فظل مهرى وسر بالى جسيدهما ... نفخ العروق رشاش الطعن والورق[2]
أيقنت أنى مقيم فى ديارهم ... حتى يفارق ما فى جوفه الحدق
لاتجزعوا يا بنى مخزوم إن لكم ... مثل المغيرة فيكم ما به زهق[3]
صبراً فدى لكم أمى وما ولدت ... تعاوروا الضرب حتى يدبر الشفق

وقال عمرو بن العاص :

لما رأيت الحرب ينـ ... ـزو سرها بالرضف نزوا[4]
وتناولت شهباء تلـ ... ـحو الناس بالضراء لحوا[5]
أيقنت أن الموت حق ... والحياة تكون لغوا
حملت أثوابى على ... عتد يبذ الخيل رهوا[6]
سلس إذا نكبن فى الـبيـ ... ـداء يعلو الطرف علوا
وإذا تنزل ماؤه من ... عطفه يزداد زهوا[7]
ربذ كيعفور الصريـ ... ـمة راعه الرامون دحوا[8]
شنج نساه ضابط ... للخيل إرخاء وعدوا[9]
ففدى لهم أمى غداً ... ة الروع إذ يمشون قطوا[10]
سيراً إلى كبش الكتيـ ... ـبة إذ جلته الشمس جلوا

---

(١) غمرتهم : جماعتهم . النجيع : الدم . عانك : أحمر . علق : اسم من أسماء الدم .

(٢) جسيدهما : صبغهما : نفخ العروق . ما ترى به من الدم . الورق : ما انقطع من الدم

(٣) الزهق : العيب . (٤) الرضف : الحجارة المحماة .

(٥) شهباء : يقصد الكتيبة الكثيرة السلاح . تلحو : تضعف .

(٦) العتد : الفرس الشديد . والرهو : الساكن .

(٧) ماؤه : عرقه .

(٨) الربذ : السريع . اليعفور : ولد الظبية : والصريمة الرمال المنقطعة . الدحو : الانبساط

(٩) شنج : منقبض . والنسا : عرق يمتد من الورك إلى الكعب ولا يقال عرق النسا لأن الشىء لا يضاف إلى نفسه . ضابط ممسك (١٠) القطو : ضرب من المشى فيه خيلاء

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لعمرو .

قال ابن إسحاق : فأجابهما كعب بن مالك ، فقال :

أبلغ قريشا وخير القول أصدقه ... والصدق عند ذوى الألباب مقبول
أن قد قتلنا بقتلانا سراتكم ... أهل اللواء ففيما يكثر القيل
ويوم بدر لقيناكم لنا مدد ... فيه مع النصر ميكال وجبريل
إن تقتلونا فدين الحق فطرتنا ... والقتل فى الحق عند الله تفضيل
وإن تروا أمرنا فى رأيكم سفها ... فرأى من خالف الإسلام تضليل
فلا تمنوا لقاح الحرب واقتعدوا ... إن أخا الحرب أصدى اللون مشغول
إن لكم عندنا ضربا تراح له ... عرج الضباع له خذم رعابيل (١)
إنا بنو الحرب نمريها وننتجها ... وعندنا لذوى الأضغان تنكيل (٢)
إن ينج منها ابن حرب بعدما بلغت ... منه التراقى وأمر الله مفعول (٣)
فقد أفادت له حلما وموعظة ... لمن يكون له لب ومعقول
ولو هبطتم ببطن السيل كافحكم ... ضرب بشاكلة البطحاء ترعيل (٤)
تلقاكم عصب حول النبى لهم ... مما يعدون للهيجا سرابيل
من جذم غسان مسترخ حمائلهم ... لاجبناء ولا ميل معازيل (٥)
يمشون تحت عمايات القتال كما ... تمشى المصاعبة الأدم المراسيل (٦)
أو مثل مشى أسود الظل ألثقها ... يوم رذاذ من الجوزاء مشمول
فى كل سابغة كالنهى محكمة ... قيامها فلج كالسيف بهلول (٧)
ترد حد قرام النبل خاسئة ... ويرجع السيف عنها وهو مفلول
ولو قذفتم بسلع عن ظهوركم ... وللحياة ودفع الموت تأجيل (٨)

---

(١) تراح : تهتز . خذم : قطع اللحم . الرعابيل : المتقطعة .
(٢) نمريها : نستدرها (٣) التراق : عظام الصدر .
(٤) شاكلة : طرف . الترعيل : الضرب السريع .
(٥) الجذم : الأصل . الميل : الذين لاتروس لهم . والمعازيل . الذين لارماح لهم
(٦) العمايات : الظلمات . المصاعبة : فحول الإبل .
(٧) سابغة : درع كاملة : النهى : غدير الماء . البهلول : الأبيض .
(٨) سلع : اسم جبل .

مازال فى القوم وتر منكم أبداً تعفو السلام عليه وهو مطلول [١]
عبد وحر كريم موثق قنصاً شطر المدينة مأسور ومقتول [٢]
كنا نؤمل أخراكم فأعجلكم منا فوارس لاعزل ولا ميل
إذا جنى فيهم الجانى فقد علموا حقا بأن الذى قد جر محمول
ما نحن لانحن من إثم مجاهرة ولا ملوم ولا فى الغُرم مخذول

وقال حسان بن ثابت ، يذكر عدة أصحاب اللواء يوم أحد :

— قال ابن هشام : هذه أحسن ما قيل —

منع النوم بالعشاء الهموم وخيال إذا تغور النجوم
من حبيب أضاف قلبك منه سقم فهو داخل مكتوم [٣]
يا لقومى هل يقتل المرء مثلى واهن البطش والعظام سؤوم
لو يدب الحولىّ من ولد الـذر عليها لأندبتها الكلوم [٤]
شأنها العطر والفراش ويعلو ها لجين ولؤلؤ منظوم
لم تفتها شمس النهار بشىء غير أن الشباب ليس يدوم
إن خالى خطيب جابية الجو لان عند النعمان حين يقوم [٥]
وأنا الصقر عند باب ابن سلمى يوم نعمان فى الكبول سقيم
وأبى وواقد أطلقا لى يوم راحا وكبلهم مخطوم [٦]
ورهنت اليدين عنهم جميعا كل كف جزء لها مقسوم
وسطت نسبتى الذوائب منهم كل دار فيها أب لى عظيم [٧]
وأبى فى سميحة القائل الفا صل يوم التقت عليه الخصوم [٨]
تلك أفعالنا وفعل الزبعرى خامل فى صديقه مذموم

(١) السلام : الحجارة . مطلول : غير مأخوذ بثأره .
(٢) القنص : الصيد (٣) أضاف : زار .
(٤) الحول : الصغير . أندبتها : أثرت فيها . الكلوم : الجروح .
(٥) الجابية : الحوض . والجولان : موضع بسوريا
(٦) مخطوم : مكسور .
(٧) السطة : الوسط ويكون الوسط غاية المدح إذا ذكر فى الأنساب . الذوائب : الأعالى .
(٨) أبى : ثابت بن المنذر وسميحة بئر فى المدينة احتكم إليه فيها الأوس والخزرج .

رب حلم أضاعه عدم الما ... ل وجهل غطى عليه النعيم
لاتسبنّنى فلست بسبى ... إن سبى من الرجال الكريم
ما أبالى أنبّ بالحزن تيس ... أم لحانى بظهر غيب لئيم
ولى البأس منكم إذ رحلتم ... أسرة من بنى قصى صميم
تسعة تحمل اللواء وطارت ... فى رعاع من القنا مخزوم
وأقاموا حتى أبيحوا جميعا ... فى مقام وكلهم مذموم
بدم عانك وكان حفاظا ... أن يقيموا إن الكريم كريم (١)
وأقاموا حتى أزيروا شعوبا ... والقنا فى نحورهم محطوم (٢)
وقريش تفر منا لواذاً ... أن يقيموا وخف منها الحلوم (٣)
لم تطق حمله العواتق منهم ... إنما يحمل اللواء النجوم (٤)

قال ابن هشام : قال حسان هذه القصيدة :

منع النوم بالعشاء الهموم

ليلا ، فدعا قومه ، فقال لهم : خشيت أن يدركنى أجلى قبل أن أصبح ، فلا ترووها عنى.

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عبيدة للحجاج بن علاط السلمى يمدح أبا الحسن أمير المؤمنين على بن أبى طالب، ويذكر قتله طلحة بن أبى طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، صاحب لواء المشركين يوم أحد :

لله أى مذبب عن حرمة ... أعنى ابن فاطمة المعم المخولا (٥)
سبقت يداك له بعاجل طعنة ... تركت طليحة للجبين مجدلا
وشددت شدة باسل فكشفتهم ... بالجر إذ يهوون أخول أخولا (٦)

---

(١) عانك : أحمر . (٢) الشعوب : اسم من أسماء الموت .

(٣) لواذا : مستترين .

(٤) العواتق : جمع عاتق ، مابين المنكب والعنق ، والنجوم : مشاهير الناس .

(٥) المذبب : الحامى . الحرمة : ما يجب على الإنسان أن يدافع عنه . ابن فاطمة : هو الإمام على كرم الله وجهه وفاطمة بنت أسد بن هاشم وهى أمه رضى الله عنه . والمعم المخول : كريم الأعمام والأخوال .

(٦) الجر : أصل الجبل . أخول أخولا : واحداً بعد واحد .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يبكى حمزة بن عبد المطلب ومن أصيب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد :

يا ميّ قومى فاندبن بسُحيرة شجو النوائح
كالحاملات الوقر بالـ ثقل الملحات الدوالح[1]
للمعولات الخامشا ت وجوه حرات صحائح[2]
وكأن سيل دموعها الـ أنصاب تخضب بالذبائح
ينقضن أشعاراً لهـن هناك بادية المسائح[3]
وكأنها أذناب خيـ ل بالضحى شُمس روامح[4]
من بين مشزور ومجـ زور يذعذع بالبوارح[5]
يبكين شجوا مسلبا ت كدحتهن الكوادح
ولقد أصاب قلوبها مجل له جلب قوارح[6]
إذ أقصد الحدثان من كنا نرجى إذ نشايح[7]
أصحاب أحـد غالهم دهر ألم له جوارح
من كان فارسنا وحا مينا إذا بعث المسالح[8]
ياحمز ، لا والله لا أنساك ماصر اللقائح[9]
لمناخ أيتام وأضيا ف وأرملة تلامح[10]

(١) الملحات : الثابتات . الدوالح : التى تحمل ثقلا .
(٢) الخامشات : الخادشات .
(٣) المسائح : ذوائب الشعر .
(٤) الشمس : النافرة (٥) يذعذع : يفرق . البوارح : الرياح الشديدة .
(٦) المجل : الجرح . جلب : قشور الجروح . القوارح : المؤلمة .
(٧) أقصد : أصاب . نشايح : نحذر .
(٨) المسالح : من يحملون السلاح .
(٩) صر : ربط . اللقائح : النوق التى لها لبن .
(١٠) المناخ : مكان النزول . تلامح : تنظر سريعا .

ولما ينوب الدهر في حرب لحرب وهي لاقح[1]
يا فارسا يا مدرها ياحمز قد كنت المصامح[2]
عنا شديدات الخطو ب إذا ينوب لهن فادح
ذكرتني أسد الرسو ل ، وذاك مدرهنا المنافح
عنا وكان يعد إذ عد الشريفون الجحاجح[3]
يعلو القماقم جهرة سبط اليدين أغر واضح[4]
لاطائش رعش ولا ذو علة بالحمل آنح[5]
بحر فليس يغب جا رًا منه سيب أو منادح[6]
أودى شباب أولى الحفـ ائظ الثقيلون المراجح[7]
المطعمون إذا المشا تي مايصففهن ناضح[8]
لحم الجلاد وفوقه من شحمه شطب شرائح[9]
ليدافعوا عن جارهم مارام ذو الضغن المكاشح
لهفي لشبان رزئناهم كأنهم المصابح
شم ، بطارقة ، غطا رفة ، خضارمة ، مسامح[10]
المشترون الحمد بالـ أموال إن الحمد رابح

---

(١) لاقح : زائد شرها .

(٢) المدرة : المدافع . المصامح : شديد الدفع .

(٣) الجحاجح : السادة . (٤) القماقم : السادة .

(٥) آنح : ثقيل في مشيه .

(٦) السيب : العطاء . المنادح : جمع مندحة ، وهي السعة .

(٧) المراجح : ذوو الحلم .

(٨) يصففهن : يحلبهن . الناضح : من شرب دون أن يرتوى .

(٩) الشطب : طرائق السيف .

(١٠) الشم : الأعزاء والبطارقة في الأصل الرؤساء الدينيون عند المسيحيين ، ويقصد بها هنا الرؤساء مطلقا . والغطارفة : السادة . والخضارمة : من يكثرون العطاء.

والجامزون بلُجمهم يوما إذا ما صاح صائح[1]
من كان يرمى بالنوا قر من زمان غير صالح
ما إن تزال ركابه يرسمن فى غبر صحاصح[2]
راحت تبارى وهو فى ركب صدورهمُ رواشح[3]
حتى تئوب له المعا لى ليس من فوز السفائح[4]
يا حمز قد أوحدتنى كالعود شذبه الكوافح[5]
أشكو إليك وفوقك التر ب المكور والصفائح
من جندل نلقيه فو قك إذ أجاد الضرح ضارح[6]
فى واسع يحشونه بالترب سوّته المماسح
فعزاؤنا أنا نقو ل وقولنا برح بوارح[7]
من كان أمسى وهو عمـا أوقع الحدثان جانح
فليـأتنا فلتبك عيـ ـناه لهلكانا النوافـح[8]
القـائلين الفاعلـين ذوى السماحة والممادح
من لايزال ندى يديـ ـه له طوال الدهر مائح[9]

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان ، وبيته : « المطعمون إذا المشاتى » وبيته : « الجامزون بلجمهم » وبيته : «من كان يرمى بالنواقر » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا يبكى حمزة بن عبد المطلب :

---

(١) الجامزون : الواثبون .
(٢) يرسمن : من الرسم ، وهو نوع من السير . الصحاصح : الأرض المستوية .
(٣) رواشح : ترشح العرق . (٤) السفائح : الجوالق .
(٥) الكوافح : القاطعون للعود .
(٦) الضرح : القبر . (٧) البرح : الشاق .
(٨) النوافح : من يعطون المعروف .
(٩) المائح : من ينزل إلى البئر ليستقى بالدلو .

أتعرف الدار عفا رسمها بعدك صوب المسبل الهاطل[١]
بين السراديح فأدمانة فمدفع الروحاء فى حائل[٢]
سألتها عن ذاك فاستعجمت لم تدر ما مرجوعة السائل[٣]
دع عنك داراً قد عفا رسمها وابك على حمزة ذى النائل
المالىء الشيزى إذا أعصفت غبراء فى ذى الشبم الماحل[٤]
والتارك القرن لدى لبدة يعثر فى ذى الخرص الذابل[٥]
واللابس الخيل إذا أجحمت كالليث فى غابته الباسل[٦]
أبيض فى الذروة من هاشم لم يمر دون الحق بالباطل[٧]
مال شهيداً بين أسيافكم شلت يداً وحشى من قاتل
أى امرىء غادر فى ألة مطرورة مارنة العامل[٨]
أظلمت الأرض لفقدانه واسود نور القمر الناصل[٩]
صلى عليه الله فى جنة عالية مكرمة الداخل
كنا نرى حمزة حرزاً لنا فى كل أمر نابنا نازل
وكان فى الإسلام ذا تدرأ يكفيك فقد القاعد الخاذل[١٠]

---

(١) الصوب : المطر . والمسبل : السائل

(٢) السراديح : الوديان . وأدمانة : مكان . والمدفع: حيث اندفاع الماء . والروحاء بلد . وحائل : وادى

(٣) المرجوعة : الرد .

(٤) الشيزى : جفان من خشب الأبنوس . الغبراء : الريح . والشبم فى الأصل الماء البارد ويقصد بها هنا أيام الزمهرير (٥) ذو الخرص : ذو السنان وهو الرمح : الذابل : الرقيق

(٦) أجحمت : أحجمت . (٧) لم يمر : لم يجادل .

(٨) الإلة : الحربة . مطرورة : محددة . مارنة : لينة . العامل : أعلى الرمح .

(٩) الناصل : الخارج من بين السحاب .

(١٠) ذا تدرأ : أى صاحب مدافعة ومناطحة .

لا تفرحي يا هند واستحلبي دمعا وأذري عبرة الثاكل
وابكي على عتبة إذ قطه بالسيف تحت الرهج الجائل[1]
إذ خر في مشيخة منكم من كل عات قلبه جاهل
أرداهم حمزة في أسرة يمشون تحت الحلق الفاضل
غداة جبريل وزير له نعم وزير الفارس الحامل

وقال كعب بن مالك يبكي حمزة بن عبد المطلب :

طرقت همومك فالرقاد مسهد وجزعت أن سلخ الشباب الأغيد
ودعت فؤادك للهوى ضمرية فهواك غوري وصحوك منجد[2]
فدع التمادي في والغواية سادراً قد كنت في طلب الغواية تفند
ولقد أنى لك أن تناهى طائعا أو تستفيق إذا نهاك المرشد
ولقد هددت لفقد حمزة هدة ظلت بنات الجوف منها ترعد[3]
ولو انه فجعت حراء بمثله لرأيت راسي صخرها يتبدد
قرم تمكن في ذؤابة هاشم حيث النبوة والندى والسودد
والعاقر الكوم الجلاد إذا غدت ريح يكاد الماء منها يجمد[4]
والتارك القرن الكمي مجدلا يوم الكريهة والقنا يتقصد
وتراه يرفل في الحديد كأنه ذو لبدة شثن البراثن أربد[5]
عم النبي محمد وصفيه ورد الحمام فطاب ذاك المورد
وأتى المنية معلما في أسرة نصروا النبي ومنهم المستشهد

---

(١) قط : قطع . الرهج : الغبار . الجائل : المتحرك .

(٢) ضمرية : منسوبة إلى قبيلة ضمرة . (٣) بنات الجوف : القلب وما اتصل به من الأحشاء .

(٤) الكوم : عظيمة السنام من الإبل .

(٥) ذو لبدة : الأسد . والشثن : الغليظ : البراثن : مخالب الأسد . الاربد : الأغبر .

ولقد إخال بذاك هنداً بُشرت … لتميت داخل غصة لا تبرد

مما صبحنا بالعقنقل قومها … يوما تغيب فيه عنها الأسعد[1]

وببئر بدر إذ يرد وجوههم … جبريل تحت لوائنا ومحمد

حتى رأيت لدى النبي سراتهم … قسمين : يقتل من نشاء ويطرد

فأقام بالعطن المعطن منهم … سبعون : عتبة منهم والأسود[2]

وابن المغيرة قد ضربنا ضربة … فوق الوريد لها رشاش مزبد

وأمية الجمحى قوم ميله … عضب بأيدى المؤمنين مهند

فأتاك فل المشركين كأنهم … والخيل تثفنهم نعام شُرد[3]

شتان من هو فى جهنم ثاويا … أبداً ومن هو فى الجنان مخلد

وقال كعب أيضاً يبكى حمزة :

صفية قومى ولا تعجزى … وبكى النساء على حمزة

ولا تسأمى أن تطيلى البكا … على أسد الله فى الهزة

فقد كان عزاً لأيتامنا … وليث الملاحم فى البزة[4]

يريد بذاك رضا أحمد … ورضوان ذى العرش والعزة

وقال كعب أيضا فى أحد :

إنك عمر أبيك الكريـ … ـم أن تسألى عنك من يجتدينا[5]

فإن تسألى ثم لا تُكذبى … يخبرك من قد سألت اليقينا

---

(١) العقنقل : كثيب الرمل . (٢) المعطن : مبرك الإبل .

(٣) تثفنهم : تطردهم . (٤) البزة : السلاح .

(٥) يجتدينا : يطلب معروفنا .

بأنا ليالىَ ذات العظا م كنا ثمالا لمن يعترينا[1]
تلوذ البجود بأذراتنا من الضر فى أزمات السنينا[2]
بجدوى فضول أولى وُجدنا وبالصبر والبذل فى المعدمينا
وأبقت لنا جلبات الحرو ب ممن نوازى لدن أن بُرينا[3]
معاطن تهوى إليها الحقو ق يحسبها من رآها الفتينا[4]
تخيَّس فيها عتاق الجما ل صحما دواجن حمراً وُجونا[5]
ودُفاع رَجل كموج الفرا ت يقدم جأواء جولا طحونا[6]
ترى لونها مثل لون النجو م رجراجة تبرق الناظرينا
فإن كنت عن شأننا جاهلا فسل عنه ذا العلم ممن يلينا
بنا كيف نفعل إن قلَّصت عوانا ضروساعضوضا حجونا[7]
ألسنا نشد عليها العصا ب حتى تدر وحتى تلينا
ويوم له وهج دائم شديد التهاول حامى الأرينا[8]

---

(١) ذات العظام : يقصد هنا بها ذات الجوع الشديد حتى إن العظام ليعاد طبخها . والثمال : الغياث . (٢) البجود : جماعات الناس . الأذراء : الأكناف .

(٣) جلبات : جمع جلبة وهو القطع . برينا : خلقنا .

(٤) المعاطن فى الأصل : أماكن برك الإبل ، ويريد بها هنا الإبل بعينها . والفتين الأرض بها الحجارة السوداء .

(٥) تخيس : تذلل . الصحم : السود . دواجن : مقيمة . الجون : يريد بها هنا البيض .

(٦) الدفاع : ما يندفع من السيل . رجل : رجال . الجأواء كتيبة سوداء لكثرة ما عليها من السلاح . الجول : الكتيبة العظيمة . والطحون : التى تطحن ما تمر به أى تهلكه لقوتها .

(٧) قلصت : ارتفعت . أى ارتفعت نيران الحرب . العوان : الحرب المستمرة . والضروس : القوية . العضوض : كثيرة العض . الحجون : التى لا يعرف لها نهاية

(٨) الأرين : جمع إرة : وهى مستوقد النار .

طويل شـديد أوار القنا ... ل تنفى قواحزه المقرفينا[1]
تخال الكماة بأعراضه ... ثمالا على لذة منزفينا[2]
تعاور أيمانهم بينهم ... كئوس المنايا بحد الظبينا
شهدنا فكنا أولى بأسه ... وتحت العماية والمعلمينا
بخرس الحسيس حسان رواء ... وبصرية قد أجمن الجفونا[3]
فما ينفللن وما ينحنين ... وما ينتهين إذا ما نهينا
كبرق الخريف بأيدى الكماة ... يفجعن بالظل هاما سكونا[4]
وعلمنا الضرب آباؤنا ... وسوف نعلم أيضا بنينا
جلاد الكماة، وبذل التلا ... د، عن جل أحسابنا مابقينا
إذا مر قرن كفى نسله ... وأورثه بعده آخرينا
تشب وتهلك آباؤنا ... وبينا نربى بنينا فنينا
سألت بك ابن الزبعرى فلم ... أنبأك فى القوم إلا هجينا
خبيثا تطيف بك المنديات ... مقيما على اللؤم حينا فحينا
تبجست تهجو رسول المليـ ... ـك قاتلك الله جلفا لعينا
تقول الخنا ثم ترمى به ... نقى الثياب تقيا أمينا

قال ابن هشام: أنشدنى بيته: «بنا كيف نفعل»، والبيت الذى يليه، والبيت الثالث منه، وصدر الرابع منه، وقوله «نشب وتهلك آباؤنا»، والبيت الذى يليه، والبيت الثالث منه، أبو زيد الأنصارى.

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك أيضا، فى يوم أحد:

سائل قريشا غداة السفح من أحد ... ماذا لقينا وما لاقوا من الهرب
كنا الأسود وكانوا النمر إذ زحفوا ... ما إن نراقب من آل ولا نسب

(١) القواحز: القلق. المقرفون. جمع مقرف. النذل الدنىء.
(٢) أعراضه: جوانبه. المنزف: من ذهبت الخمر بلبه.
(٣) خرس الحسيس: السيوف الصامتة. أجمن: مللن. الجفون: أغماد السيوف.
(٤) الظل: ظلال السيوف. الهام: الرءوس. السكون: الساكن.

فكم تركنا بها من سيد بطل ... حامى الذمار كريم الجد والحسب
فينا الرسول شهاب ثم يتبعه ... نور مضىء له فضل على الشهب
الحق منطقه والعدل سيرته ... فمن يجبه إليه ينجُ من تبب
نجد المقدم، ماضى الهم، معتزم ... حين القلوب على رجف من الرعب
يمضى ويذمرنا عن غير معصية ... كأنه البدر لم يُطبع على الكذب
بدا لنا فاتبعناه نصدقه ... وكذبوه فكنا أسعد العرب
جالوا وجلنا فما فاءوا وما رجعوا ... ونحن تثفنهم لم نأل فى الطلب
ليسا سواء وشتى بين أمرهما ... حزب الإله وأهل الشرك والنُّصب

قال ابن هشام: أنشدنى من قوله: «يمضى ويذمرنا» إلى آخرها، أبو زيد الأنصارى.

قال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن رواحة يبكى حمزة بن عبد المطلب: قال ابن هشام أنشدنيها أبو زيد الأنصارى لكعب بن مالك:

بكت عينى وحق لها بكاها ... وما يُغنى البكاء ولا العويل
على أسد الإله غداة قالوا ... أحمزة ذا كم الرجل القتيل
أصيب المسلمون به جميعا ... هناك وقد أصيب به الرسول
أبا يعلى لك الأركان هُدت ... وأنت الماجد البر الوصول
عليك سلام ربك فى جنان ... مخالطها نعيم لا يزول
ألا يا هاشم الأخيار صبرا ... فكل فعالكم حسن جميل
رسول الله مصطبر كريم ... بأمر الله ينطق إذ يقول
ألا من مبلغ عنى لؤيا ... فبعد اليوم دائلة تدول[1]
وقبل اليوم ماعرفوا وذاقوا ... وقائعنا بها يُشفَى الغليل
نسيتم ضربنا بقليب بدر ... غداة أتاكم الموت العجيل
غداة ثوى أبو جهل صريعا ... عليه الطير حائمة تجول
وعتبة وابنه خرا جميعا ... وشيبة عضه السيف الصقيل
ومتركُنا أمية مُجلعبّاً ... وفى حيزومه لدن نبيل[2]

---

(١) الدائلة: يقصد بها الحرب.

(٢) مجلعبا: متمددا على الأرض. الحيزوم: أسفل الصدر. اللدن النبيل: الرمح العظيم.

وهام بنى ربيعة سائلوها ففى أسيافنا منها فلول
ألا يا هند فابكى لا تملى فأنت الواله العبرى الهبول[1]
ألا يا هند لا تبهدى شماتا بحمزة إن عزكم ذليل

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك :

أبلغ قريشا على نأيها أتفخر منا بما لم تلى
فخرتم بقتلى أصابتهم فواضل من نعم المفضل
فحلوا جنانا وأبقوا لكم أسوداً تحامى عن الأشبل
تقاتل عن دينها ، وسطها نبي عن الحق لم ينكل
رمته معد بعور الكلام ونبل العداوة لا تأتلى[2]

قال ابن هشام : أنشدنى قوله : «لم تلى» ، وقوله : «من نعم المفضل» أبو زيد الأنصارى

قال ابن إسحاق : وقال ضرار بن الخطاب فى يوم أحد :

ما بال عينك قد أزرى بها السهد كأنما جال فى أجفانها الرمد
أمن فراق حبيب كنت تألفه قد حال من دونه الأعداء والبعد
أم ذاك من شغب قوم لاجداء بهم إذ الحروب تلظت نارها تقد
ما ينتهون عن الغى الذى ركبوا وما لهم من لؤى ويحهم عضد
وقد نشدناهم بالله قاطبة فما تردهم الأرحام والنشد[3]
حتى إذا ما أبوا إلا محاربة واستحصدت بيننا الأضغان والحقد
سرنا إليهم بجيش فى جوانبه قوانس البيض والمحبوكة السرد[4]
والجرد ترفل بالأبطال شازبة كأنها حدأ فى سيرها تؤد[5]
جيش يقودهم صخر ويرأسهم كأنه ليث غاب هاصر حرد[6]

---

(١) الهبول : الفاقدة .   (٢) لا تأتلى : لا تقصر .

(٣) النشد : الأيمان .   (٤) القوانس ماعلا بيض السلاح . المحبوكة : جيدة الصنع . والسرد . النسج ، ويريد بها هنا الدروع .

(٥) الجرد : عتاق الخيل . شازبة : ضامرة .   (٦) هاصر : كاسر . حرد : غاضب .

فأبرز الحيَّين قوما من منازلهم فكان منا ومنهم ملتقى أحد
فغودرت منهم قتلى مجدلة كالمعز أصرده بالصردح البرَد(١)
قتلى كرام بنو النجار وسطهم ومصعب من قنانا حوله قِصد(٢)
وحمزة القرم مصروع تطيف به ثكلى وقد حز منه الأنف والكبد(٣)
كأنه حين يكبو فى جديته تحت العجاج وفيه ثعلب جسد(٤)
حُوار نابٍ وقد ولى صحابته كما تولى النعام الهارب الشُّرد(٥)
مجلّحين ولا يلوون قد مُلئوا رعبا، فنجتهم العوصاء والكؤد(٦)
تبكى عليهم نساء لا يعول لها من كل سالبة أثوابها قدَد(٧)
وقد تركناهم للطير ملحمة وللضباع إلى أجسادهم تفد

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار:

قال ابن إسحاق: وقال أبو زعنة بن عبد الله بن عمرو بن عتبة، أخو بنى جشم بن الخزرج يوم أحد:

أنا أبو زعنة يعدو بى الهزم لم تمنع المخزاة إلا بالألم(٨)
يحمى الذمار خزرجى من جُشم

وقال ابن إسحاق: وقال على بن أبى طالب — قال ابن هشام: قالها رجل من المسلمين يوم أحد غير على، فيما ذكر لى بعض أهل العلم بالشعر، ولم أر أحدا منهم يعرفها لعلى:

---

(١) أصرده برده. الصردح: المكان الصلب. (٢) قصد: قطع.
(٣) القرم: السيد
(٤) الجدية: الدم السائل. الثعلب: الجزء الداخل من الرمح فى السنان. جسد: الدم الجامد.
(٥) الحوار: ولد الناقة. الناب: المسنة من الإبل.
(٦) مجلحين: مصممين. العوصاء: العقبة الشديدة الصعبة. الكؤد جمع كؤود: عقبة صعبة المرتقى أو صعبة المصعد.
(٧) السالبة: اللابسة للسلاب وهو لباس الحزن. قدد: قطع.
(٨) الهزم: اسم فرس.

لاهم إن الحارث بن الصمة … كان وفيا وبنا ذا ذمه
أقبـل فى مهـامهٍ مهمـهْ … كليلة ظلماء مدلهمه[1]
بين سيوف ورماح جمــه … يبغى رسول الله فيما ثمه

قال ابن هشام : قوله : « كليلة » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال عكرمة بن أبى جهل فى يوم أحد :

كلهم يزجـــره أرحبْ هلاَ … ولن يروه اليوم إلا مقبلا[2]
يحمل رمحا ورئيسا جحفلا

وقال الأعشى بن زرارة بن النباش التميمى — قال ابن هشام : ثم أحد بنى أسد بن عمرو بن تميم — يبكى قتلى بنى عبد الدار يوم أحد :

حُيِّىَ من حى على نأيهم … بنو أبى طلحة لا تصرف[3]
يمـر ساقيهم عليهم بهـا … وكل ساق لهم يعرف
لا جارهم يشكو ولا ضيفهم … من دونه باب لهم يصرف

وقال عبدالله بن الزبعرى يوم أحد:

قتلنا ابن جحش فاغتبطنا بقتله … وحمزة فى فرسانه وابن قوقل
وأفلتنا منهم رجال فأسرعوا … فليتهم عاجـوا ولم نتعجل
أقاموا لنـا حتى تعض سيوفنا … سراتهم وكلنا غير عزَّل
وحتى يكون القتل فينا وفيهم … ويلقوا صبوحا شره غير منجلى

قال ابن هشام : وقوله : « وكلنا » وقوله : « ويلقو صبوحا » : عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكى أخاها حمزة بن عبد المطلب :

أسائلة أصحاب أحْد مخافة … بنات أبى من أعجم وخبير
فقال الخبير إن حمزة قد ثوى … وزير رسول الله خير وزير
دعاه إله الحق ذوالعرش دعوة … إلى جنة يحيا بهـا وسرور
فذلك ما كنا نرجّى ونرتجى … لحمزة يوم الحشر خير مصير

---

(١) المهامة : القفار .
(٢) أرحب هلا : كلمة تزجر بها الخيل .
(٣) لا تصرف : لا ترد

فوالله لا أنساك ما هبت الصبا بكاءً وحزناً محضرى ومسيرى
على أسد الله الذى كان مدرها يذود عن الإسلام كل كفوز [1]
فياليت شلوى عند ذاك وأعظمى لدى أضبع تعتادنى ونسور [2]
أقول وقد أعلى النَّعى عشيرتى جزى الله خيراً من أخ ونصير

بكاء وحزنا محضرى ومسيرى

قال ابن إسحاق : وقالت نعم ، امرأة شماس بن عثمان ، تبكى شماسا ، وقد أصيب يوم أحد:

ياعين جودى بفيض غير إبساس على كريم من الفتيان إباس [3]
صعب البديهة ميمون نقيبته حمال ألوية ركاب أفراس
أقول لما أتى الناعى له جزعا أودى الجواد وأودى المطعم الكاسى
وقلت لما خلت منه مجالسه لا يبعد الله عنا قرب شماس

فأجابها أخوها ، وهو أبو الحكم بن سعيد بن يربوع ، يعزيها ، فقال :

إقنى حياءك فى ستر وفى كرم فإنما كان شماس من الناس
لاتقتلى النفس إذ حانت منيته فى طاعة الله يوم الروع والباس
قد كان حمزة ليث الله فاصطبرى فذاق يومئذ من كأس شماس

وقالت هند بنت عتبة ، حين انصرف المشركون عن أحد :

رجعت وفى نفسى بلابل جمة وقد فاتنى بعض الذى كان مطلبى [4]
من اصحاب بدر من قريش وغيرهم بنى هاشم منهم ومن أهل يثرب
ولكننى قد نلت شيئا ولم يكن كما كنت أرجو فى مسيرى ومركبى

قال ابن هشام : وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر قولها :

وقد فاتنى بعض الذى كان مطلبى

وبعضهم ينكرها لهند ، والله أعلم .

---

(١) المدرة : من يدافع عن القوم. (٢) الشلو : بقية الفريسة.
(٣) الإبساس فى الأصل : مسح درع الناقة والقول لها بس بس ليدر ، فالإبساس فيه تكلف .
وغير الإبساس : أى بغير تكلف . والإباس : الشديد .
(٤) البلابل : الأحزان

ذكر يوم الرجيع

فى سنة ثلاث

مقتل خبيب وأصحابه : قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى، قال : حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عضل والقارة .

قال ابن هشام : عضل والقارة، من الهَوْن بن خزيمة بن مدركة .

قال ابن هشام : ويقال : الهُون، بضم الهاء .

قال ابن إسحاق : فقالوا : يارسول الله، إن فينا إسلاما، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا فى الدين، ويقرئوننا القرآن، ويعلموننا شرائع الإسلام . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم نفرا ستة [1] من أصحابه، وهم مرثد بن أبى مرثد الغنوى، حليف حمزة بن عبدالمطلب وخالد بن البكير الليثى، حليف بنى عدى بن كعب، وعاصم بن ثابت بن أبى الأقلح، أخو بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس : وخُبيب بن عدى، أخو بنى جحجبى بن كلفة بن عمرو ابن عوف، وزيد بن الدثنة بن معاوية أخو بنى بياضة بن عمرو بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج ؛ وعبد الله بن طارق حليف بنى ظفر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس .

وأمّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم مرثد بن أبى مرثد الغنوى فخرج مع القوم . حتى إذا كانوا على الرجيع، ماء لهذيل بناحية الحجاز، على صدور الهدأة [2] غدروا بهم، فاستصرخوا عليهم هذيلا، فلم يرع القوم، وهم فى رحالهم، إلا الرجال بأيديهم السيوف، قد غشوهم ؛ فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم فقالوا لهم : إنا والله ما نريد قتلكم، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم .

فأما مرثد بن أبى مرثد . وخالد بن البكير، وعاصم بن ثابت فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهدا ولا عقدا أبدا ؛ فقال عاصم بن ثابت :

---

(١) ذكر البخارى أنهم كانوا عشرة . . . ستة من المهاجرين وأربعة من الأنصار .

(٢) الهدأة : موضع بين عسفان ومكة، كما ذكر البخارى فى صحيحه .

ما علتى وأنا جلد نابل والقوس فيها وتر عنابل[١]
تزل عن صفحتها المعابل الموت حق والحياة باطل[٢]
وكل ما حم الإله نازل بالمرء والمرء إليه آئل[٣]

إن لم أقاتلكم فأمى هابل

قال ابن هشام : هابل : ثاكل .

وقال عاصم بن ثابت أيضا :

أبو سليمان وريش المُقعد وضالة مثل الجحيم الموقد[٤]
إذا النواجى افترشت لم أرعد ومجنأ من جلد ثور أجرد[٥]

ومؤمن بما على محمد

وقال عاصم بن ثابت أيضا :

أبو سليمان ومثلى رامَى وكان قومى معشراً كراما

وكان عاصم بن ثابت يكنى : أبا سليمان . ثم قاتل القوم حتى قتل وقتل صاحباه .

فلما قتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه ، ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن شهيد ، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد : لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن فى قحفه الخمر ، فمنعه الدبر (٦) ، فلما حالت بينه وبينهم قالوا : دعوه يمسى فتذهب عنه ، فنأخذه . فبعث الله الوادى ، فاحتمل عاصما ، فذهب به . وقد كان عاصم قد أعطى الله عهدا أن لا يمسه مشرك ، ولا يمس مشركا أبدا ، تنجسا ؛ فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : حين بلغه أن الدبر منعته : يحفظ الله العبد المؤمن ، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك ، ولا يمس مشركا أبدا فى حياته ، فمنعه الله بعد وفاته ، كما امتنع منه فى حياته .

---

(١) النابل : صاحب النبل . والعنابل الشديد .
(٢) المعابل : الأنصال العريضة . (٣) آئل : صائر .
(٤) المقعد : رجل يريش النبل . الضالة : يريد بها القوس . وهى فى الأصل شجرة تصنع منها القسى . (٥) النواجى : الإبل السريعة . افترشت : عمرت . المجنأ : الترس لا حديد فيه
(٦) الدبر : الزنابير .

وأما زيد بن الدَّثِنَّة وخبيب بن عدى ، وعبدالله بن طارق ، فلانوا ورقوا ورغبوا فى الحياة فأعطوا بأيديهم ، فأسروهم ، ثم خرجوا إلى مكة ، ليبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بالظهران (١) ، انتزع عبد الله بن طارق يده من القران (٢) ، ثم أخذ سيفه ، واستأخر عنه القوم ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبره ، رحمه الله ، بالظهران ؛ وأما خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة فقدموا بهما مكة .

قال ابن هشام : فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة .

قال ابن إسحاق : فابتاع خبيبا حُجير بن أبى إهاب التميمى ، حليف بنى نوفل ، لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان أبو إهاب أخا الحارث بن عامر لأمه فقتله بأبيه .

قال ابن هشام : الحارث بن عامر ، خال أبى إهاب ، وأبو إهاب ، أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم ؛ ويقال : أحد بنى عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، من بنى تميم .

قال ابن إسحاق : وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه ، أمية بن خلف ، وبعث به صفوان بن أمية مع مولى له ، يقال له نسطاس ، إلى التنعيم (٣) ، وأخرجوه من الحرام ليقتلوه . واجتمع رهط من قريش ، فيهم أبو سفيان بن حرب ؛ فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك الله يازيد ، أتحب أن محمداً عندنا الآن فى مكانك نضرب عنقه ، وأنك فى أهلك ؟ قال : والله ما أحب أن محمداً الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه ، وأنى جالس فى أهلى . قال ؛ يقول أبو سفيان : ما رأيت فى الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً ؛ ثم قتله نسطاس ، يرحمه الله .

وأما خبيب بن عدى ، فحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، أنه حدث عن ماويَّة ، مولاة حُجير ابن أبى إهاب ، وكانت قد أسلمت ، قالت : كان خبيب عندى ، حبس فى بيتى ، فلقد اطلعت عليه يوما ، وإن فى يده لقطفا من عنب ، مثل رأس الرجل يأكل منه ، وما أعلم فى أرض الله عنبا يُؤكل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى نجيح جميعا أنها قالت : قال لى حين حضره القتل : ابعثى إلى بحديدة أتطهر بها للقتل ، قالت : فأعطيت غلاما من الحى

---

(١) الظهران : واد قريب من مكة . (٢) القران : الحبل الذى يربط به الأسير .

(٣) موضع خارج مكة فى الحل .

الموسى ؛ فقلت : ادخل بها على هذا الرجل البيت ، قالت : فوالله ما هو إلا أن ولى الغلام بها إليه ؛ فقلت : ماذا صنعت ؟ أصاب والله الرجل ثأره بقتل هذا الغلام ، فيكون رجلا برجل، فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال : لعمرك ، ماخافت أمك غدرى حين بعثتك بهذه الحديدة إلى ، ثم خلى سبيله .

قال ابن هشام : ويقال : إن الغلام ابنها .

قال ابن إسحاق : قال عاصم : ثم خرجوا بخبيب ، حتى إذا جاءوا به إلى التنعيم ليصلبوه ، قال لهم: إن رأيتم أن تدعونى حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركع .فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أنى إنما طولت جزعا من القتل لا ستكثرت من الصلاة . قال : فكان خبيب بن عدى أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين [١] . قال : ثم رفعوه على خشبة ، فلما أوثقوه ، قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً [٢] ، ولا تغادر منهم أحدا . ثم قتلوه رحمه الله .

فكان معاوية بن أبى سفيان يقول : حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبى سفيان ، فلقد رأيته يلقينى إلى الأرض فرقا من دعوة خبيب ، وكانوا يقولون : إن الرجل إذا دعى عليه ، فاضطجع لجنبه زالت عنه .

قال ابن إسحاق : حدثنى يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير، عن أبيه عباد، عن عقبة بن الحارث، قال سمعته يقول : ما أنا والله قتلت خبيبا ، لأنى كنت أصغر من ذلك ، ولكن أبا ميسرة ، أخا بنى عبد الدار ، أخذ الحربة فجعلها فى يدى ثم أخذ بيدى وبالحربة ، ثم طعنه بها حتى قتله .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا ، قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل سعيد بن عامر بن حذيم الجمحى على بعض الشام ، فكانت تصيبه غَشية ، وهو بين ظهرى القوم ، فذكر ذلك لعمر بن الخطاب ، وقيل : إن الرجل مصاب ، فسأله عمر فى قدمة قدمها عليه ، فقال : ياسعيد ، ما هذا الذى يصيبك ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين مابى من بأس ، ولكنى كنت فيمن حضر خبيب بن عدى حين قتل ، وسمعت دعوته ، فوالله ما خطرت على قلبى وأنا فى مجلس قط إلا غشى على ، فزادته عند عمر خيرا .

---

(١) وقد صار فعل خبيب سنة وإن كانت السنة إنما هى أقوال أو أفعال من النبى صلى الله عليه وسلم .وهى أيضا إقرار وقد حدثت فى حياته فلم ينكر .فالصلاة هى خير ما يختم بها العبد حياته .

(٢) بددا : متفرقين .

قال ابن هشام : أقام خبيب فى أيديهم حتى انقضت الأشهر الحرم ، ثم قتلوه .

ما نزل فى سرية الرجيع من القرآن : قال ابن إسحاق : وكان مما نزل من القرآن فى تلك السرية ، كما حدثنى مولى لآل زيد بن ثابت ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، أو عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس .

قال : قال ابن عباس : لما أصيبت السرية التى كان فيها مرثد وعاصم بالرجيع ، قال رجال من المنافقين : ياويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا لاهم قعدوا فى أهليهم ، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم ! فأنزل الله تعالى فى ذلك من قول المنافقين ، وما أصاب أولئك النفر من الخير بالذى أصابهم . فقال سبحانه ، « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا » : أى لما يظهر من الإسلام بلسانه ، « ويشهد الله على ما فى قلبه » ، وهو مخالف لما يقول بلسانه ، « وهو ألد الخصام » : أى ذو جدال إذا كلمك وراجعك .

قال ابن هشام : الألد : الذى يشغب ، فتشتد خصومته ، وجمعه : لُدّ ، وفى كتاب الله عز وجل : وتنذر به قوما لدا . وقال المهلهل بن ربيعة التغلبى ، واسمه امرؤ القيس ، ويقال : عدى[1] ابن ربيعة :

إن تحت الأحجار حداً ولينا ... وخصيما ألد ذا معلاق

ويروى « ذا مغلاق » فيما قال ابن هشام . وهذا البيت فى قصيدة له ، وهو الألندد .

قال الطرماح بن حكيم الطائى يصف الحرباء :

يوفى على جِذم الجذول كأنه ... خصم أبر على الخصوم ألندد[2]

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : قال تعالى : « وإذا تولى » : أى خرج من عندك « سعى فى الأرض ليفسد فيها ، ويهلك الحرث والنسل ، والله لايحب الفساد » أى لا يحب عمله ولا يرضاه . « وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد . ومن الناس من يشرى

---

(١) هو عدى حقيقة ، فقد صرح مهلهل باسمه فى القصيدة فقال :

ضربت صدرها إلىّ وقالت ... ياعديا لقد وقتك الأواقى

(٢) يوفى : يشرف . الجذم : القطعة . الجذول : الأصول .

نفسه ابتغاء مرضات الله ، والله رءوف بالعباد » : أى قد شروا أنفسهم من الله بالجهاد فى سبيله والقيام بحقه ، حتى هلكوا على ذلك ، يعنى تلك السرية .

قال ابن هشام : يشرى نفسه : يبيع نفسه ؛ وشروا : باعوا . قال يزيد بن ربيعة بن مفرّغ الحميرى :

وشريت برداً ليتنى من بعد برد كنت هامة

برد : غلام له باعه . وهذا البيت فى قصيدة له . وشرى أيضا : اشترى .

قال الشاعر :

فقلت لها لا تجزعى أم مالك على ابنيك إن عبدٌ لئيم شراهما

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل فى ذلك من الشعر ، قول خبيب بن عدى ، حين بلغه أن القوم قد اجتمعوا لصلبه .

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له .

لقد جمع الأحزاب حولى وألبوا قبائلهم واستجمعوا كل مُجمع
وكلهم مبدى العداوة جاهد علىّ لأنى فى وثاق بمضيع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم وقربت من جذع طويل ممنع
إلى الله أشكو غربتى ثم كربتى وما أرصد الأحزاب لى عند مصرعى
فذا العرش ، صبرنى على ما يراد بى فقد بضعوا لحمى وقد ياس مطمعى[1]
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع[2]
وقد خيرونى الكفر والموت دونه وقد هملت عيناى من غير مجزع
وما بى حذار الموت ، إنى لميت ولكن حذارى جحم نار ملفع[3]
فوالله ما أرجو إذا مت مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعى
فلست بمبد للعدو تخشعا ولا جزعا إنى إلى الله مرجعى

وقال حسان بن ثابت يبكى خبيبا :

ما بال عينك لا ترقا مدامعها سحا على الصدر مثل اللؤلؤ القلق[4]

---

(١) ياس : يأس . (٢) الشلو : بقية الشىء .
(٣) الملفع : المشتمل . (٤) القلق : المتحرك .

على خبيب فتى الفتيان قد علموا ... لا فشل حين تلقاه ولا نزق
فاذهب خبيب جزاك الله طيبة ... وجنة الخلد عند الحور فى الرفق[1]
ماذا تقولون إن قال النبى لكم ... حين الملائكة الأبرار فى الأفق
فيم قتلتم شهيد الله فى رجل ... طاغ قد اوعث فى البلدان والرُّفق[2]

قال ابن هشام : ويروى : الطرق . وتركنا ما بقى منها ، لأنه أقذع فيها .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا يبكى خبيبا :

ياعين جودى بدمع منك منسكب ... وابكى خبيبا مع الفتيان لم يؤب
صقراً توسط فى الأنصار منصبه ... سمح السجية محضا غير مؤتشب[3]
قد هاج عينى على علات عبرتها ... إذ قيل نُصّ إلى جذع من الخشب[4]
يأيها الراكب الغادى لطيته ... أبلغ لديك وعيداً ليس بالكذب[5]
بنى كهيبة أن الحرب قد لقحت ... محلوبها الصاب إذ تمرى لمحتلب[6]
فيها أسُود بنى النجار تقدمهم ... شهب الأسنة فى معصوصب لجب[7]

قال ابن هشام : وهذه القصيدة مثل التى قبلها ، وبعض أهل العلم بالشعر ينكرهما لحسان ، وقد تركنا أشياء قالها حسان فى أمر خبيب لما ذكرتُ .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا :

---

(١) الرفق : جمع رفيق (٢) أوعث : أفسد . (٣) المحض : الخالص . وغير مؤتشب : غير مختلط (٤) نص : رفع . (٥) الطية : ما تنطوى عليه النية .

(٦) جعل كهيبة كأنه اسم علم لأمهم ، وهذا كما يقال : بنى ضوطرى وبنى الغبراء وبنى درزة قال الشاعر :

أولاد درزة أسلموك وطاروا

وهذا كله اسم لمن يُسب ، وعبارة عن السفلة من الناس ، وكهيبة من الكهبة وهى الغبرة ، وهذا كما قالوا : بنى الغبراء ، وأكثر أشعار حسان فى هذه القصة ، قال فيها : من هذيل ، لأنهم إخوة القارة ، والمشاركون لهم فى الغدر بخبيب وأصحابه ، وهذيل وخزيمة أبناء مدركة ابن الياس وعضل والقارة من بنى خزيمة .. عن الروض .

ولقحت : زاد شرها . الصاب : العلقم . تمرى : تمسح .

(٧) المعصوصب : الجيش الكبير .

لو كان فى الدار قَرم ما جد بطل ألوى من القوم صقر خاله أنس(١)
إذن وجدت خبيبا مجلسا فسحا ولم يشد عليك السجن والحرس
ولم تسقك إلى التنعيم زعنفة من القبائل منهم من نفت عدس(٢)
دلوك غدرا وهم فيها أولو خُلف وأنت ضيم لها فى الدار محتبس(٣)

قال ابن هشام: أنس: الأصم السلمى: خال مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف. وقوله: «من نفت عدس» يعنى حجير بن أبى إهاب: ويقال الأعشى بن زرارة بن النباش الأسدى وكان حليفا لبنى نوفل بن عبد مناف.

قال ابن إسحاق: وكان الذين أجلبوا على خبيب فى قتله حين قتل من قريش: عكرمة بن أبى جهل، وسعيد بن عبد الله بن أبى قيس بن عبد ود، والأخنس بن شريق الثقفى، حليف بنى زهرة، وعبيدة بن حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمى، حليف بنى أمية بن عبد شمس، وأمية بن أبى عتبة، وبنو الحضرمى.

وقال حسان أيضا يهجو هذيلا فيما صنعوا بخبيب بن عدى:

أبلغ بنى عمرو بأن أخاهم شراه امرؤ قد كان للغدر لازما(٤)
شراه زهير بن الأغر وجامع وكانا جميعا يركبان المحارما
أجرتم فلما أن أجرتم غدرتم وكنتم بأكتاف الرجيع لهاذما(٥)
فليت خبيبا لم تخنه أمانة وليت خبيبا كان بالقوم عالما

قال ابن هشام: زهير بن الأغر وجامع: الهذليان اللذان باعا خبيبا.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضا:

إن سَرك الغدر صرفا لا مزاج له فأت الرجيع فسل عن دار لحيان
قوم تواصوا بأكل الجار بينهم فالكلب والقرد والإنسان مثلان
لو ينطق التيس يوما قام يخطبهم وكان ذا شرف فيهم وذا شان

قال ابن هشام: وأنشدنى أبو زيد الأنصارى قوله:

لو ينطق التيس يوما قال يخطبهم وكان ذا شرف فيهم وذا شان

---

(١) ألوى: شديد الخصومة.

(٢) الزعنفة: الذين ليسوا خلصا فى القبائل بل المنتمين إليها. وعدس: اسم قبيلة.

(٣) دلوك: غروك. (٤) شراه: باعه. (٥) اللهاذم: السيوف القاطعة.

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا يهجو هذيلا :

سالت هذيل رسول الله فاحشة ... ضلت هذيل بما سالت ولم تصب[1]
سالوا رسولهم ما ليس معطيهم ... حتى الممات ، وكانوا سُبَّة العرب
ولن ترى لهذيل داعيا أبداً ... يدعو لمكرمة عن منزل الحرب
لقد أرادوا خلال الفحش ويحهم ... وأن يُحلوا حراما كان فى الكتب

وقال حسان بن ثابت أيضا يهجو هذيلا :

لعمرى لقد شانت هذيل بن مدرك ... أحاديث كانت فى خبيب وعاصم
أحاديث لحيان صلوا بقبيحها ... ولحيان جرامون شر الجرائم[2]
أناس هم من قومهم فى صميمهم ... بمنزلة الزمعان دبر القوادم[3]
همُ غدروا يوم الرَّجيع وأسلمت ... أمانتهم ذا عفة ومكارم
رسولَ رسول الله غدراً ولم تكن ... هذيل توقَّى منكرات المحارم
فسوف يرون النصر يوما عليهم ... بقتل الذى تحميه دون الحرائم[4]
أبابيل دَبْر شُمَّس دون لحمه ... حمت لحم شهَّاد عظام الملاحم
لعل هذيلا أن يروا بمصابه ... مصارع قتل أو مقاما لمأتم[5]
ونوقع فيهم وقعة ذات صولة ... يوافى بها الركبان أهل المواسم
بأمر رسول الله إن رسوله ... رأى رأى ذى حزم بلحيان عالم
قُبَيِّلة ليس الوفاء يهمهم ... وإن ظُلموا لم يدفعوا كف ظالم
إذا الناس حلوا بالقضاء رأيتهم ... بمجرى مسيل الماء بين المخارم[6]
محلهم دار البوار ورأيهم ... إذا نابهم أمر كرأى البهائم

وقال حسان بن ثابت يهجو هذيلا :

لحى الله لحيانا فليست دماؤهم ... لنا من قتيلَى غدرة بوفاء

---

(١) سالت : لغة فى سألت .
(٢) صلوا بقبيحها : أصابهم شرها . جرامون . كسابون .
(٣) الزمعان . جمع زمعة : شعرة مدلاة فى مؤخر رجل الشاة أو غيرها . والدبر : الخلف .
(٤) يريد عاصم بن الأقلح فقد حمته الزنابير .
(٥) يريد : لمأتم
(٦) المخارم : مسايل الماء .

همو قتلوا يوم الرجيع ابن حرة أخا ثقة فى وده وصفاء
فلو قتلوا يوم الرجيع بأسرهم بذى الدبر ما كانوا له بكفاء[١]
قتيل حمته الدبر بين بيوتهم لدى أهل كفر ظاهر وجفاء
فقد قتلت لحيان أكرم منهم وباعوا خبيبا ويلهم بلفاء[٢]
فأف للحيان على كل حالة على ذكرهم فى الذكر كل عفاء[٣]
قبيلة باللؤم والغدر تغترى فلم تمس يخفى لؤمها بخفاء[٤]
فلو قتلوا لم توف منه دماؤهم بلى إن قتل القاتليه شفائى
فإلا أمت أذعر هذيلا بغارة كغادى الجهام المغتدى بإفاء[٥]
بأمر رسول الله والأمر أمره يبيت للحيان الخنا بفناء
يصبح قوما بالرجيع كأنهم جداء شتاء بتن غير دفاء[٦]

وقال حسان بن ثابت أيضا يهجو هذيلا :

فلا والله ما تدرى هذيل أصاف ماء زمزم أم مشوب
ولا لهم إذا اعتمروا وحجوا من الحجرين والمسعى نصيب
ولكن الرجيع لهم محل به اللؤم المبين والعيوب
كأنهم لدى الكنان أصلا تيوس بالحجاز لها نبيب[٧]
هم غروا بذمتهم خبيبا فبئس العهد عهدهم الكذوب

قال ابن هشام : آخرها بيتا عن أبى زيد الأنصارى .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يبكى خبيبا وأصحابه :

صلى الإله على الذين تتابعوا يوم الرجيع فأكرموا وأثيبوا
رأس السرية مرثد وأميرهم وابن البكير إمامهم وخبيب

---

(١) ذو الدبر : هو عاصم بن الأقلح .

(٢) اللفاء : الشىء الحقير. (٣) العفاء : التغير.

(٤) تغترى : يغرى بعضها بعضا .

(٥) الغادى : المبكر . الجهام : السحاب القليل . والإفاء : الغنمية .

(٦) جداء : جمع جدى . (٧) الكنان : جمع كنة . الأصل : جمع أصيل ، وهو العشى . النبيب : الصوت .

وابن لطارق وابن دثنة منهم ... وافاه ثم حمامه المكتوب
والعاصم المقتول عند رجيعهم ... كسب المعالى إنه لكسوب
منع المقادة أن ينالوا ظهره ... حتى يجالد إنه لنجيب

قال ابن هشام: ويروى: حتى يجدل إنه لنجيب.
قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان.

حديث بئر معونة

فى صفر سنة أربع

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة — وولى تلك الحجة المشركون والمحرم — ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب بئر معونة فى صفر، على رأس أربعة أشهر من أحد.

وكان من حديثهم، كما حدثنى أبى إسحاق بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وغيره من أهل العلم، قالوا: قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة[1] على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام، ودعاه إليه، فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام، وقال: يا محمد، لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد، فدعوهم إلى أمرك، رجوت أن يستجيبوا لك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنى أخشى عليهم أهل نجد، قال أبو براء: أنا لهم جار، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك.

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو، أخا بنى ساعدة، المعنق ليموت[2]

---

(١) وهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن صعصعة، سمى ملاعب الأسنة فى يوم سوبان، وهو يوم كانت فيه وقيعة فى أيام جبلة، وهى أيام حرب كانت بين قيس وتميم، وجبلة اسم لهضبة عالية. وكان سبب تسميته فى يوم سوبان ملاعب الأسنة أن أخاه الذى يقال له فارس قرزل، وهو طفيل بن مالك، كان أسلمه فى ذلك اليوم، وفر فقال عمر:

فررت وأسلمت ابن أمك عامرا ... يلاعب أطراف الوشيج المزعزع

(٢) لقب لقب به لأنه أسرع إلى الموت.

فى أربعين رجلا[١] من أصحابه ، من خيار المسلمين ، منهم : الحارث بن الصمة ، وحرام بن ملحان أخو بنى عدى بن النجار ، وعروة بن أسماء بن الصلت السلمى ، ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعى ؛ وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر الصديق ، فى رجال مسمين من خيار المسلمين . فساروا حتى نزلوا ببئر معونة ، وهى بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم،كلا البلدين منها قريب، وهى إلى حرة بنى سليم أقرب .

فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدو الله عامر ا بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر فى كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر ، فأبوا أن يجيبوه إلى مادعاهم إليه ، وقالوا : لن نخفر[٢] أبا براء ، وقد عقد لهم عقداً وجوازاً، فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم من عُصية و رعل وذكوان ، فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غشوا القوم ، فأحاطوا بهم فى رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ، ثم قاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم ، يرحمهم الله ، إلا كعب بن زيد ، أخا بنى دينار بن النجار ، فإنهم تركوه وبه رمق ، فارتث[٣] من بين القتلى ، فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيداً ، رحمه الله .

وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضمرى ، ورجل من الأنصار ، أحد بنى عمرو ابن عوف .

قال ابن هشام : هو المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح.

قال ابن إسحاق : فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لشأنا ، فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم فى دمائهم ، وإذا الخيل التى أصابتهم واقفة . فقال الأنصارى لعمرو بن أمية : ما ترى ؟ قال : أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنخبره الخبر ، فقال الأنصارى : لكنى ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ، وما كنت لتخبرنى عنه الرجال ، ثم قاتل القوم حتى قتل ؛ وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مضر ، أطلقه عامر بن الطفيل ، وجز ناصيته ، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه .

---

(١) الصحيح أنهم كانوا سبعين كما وقع فى البخارى ومسلم .
(٢) الإخفار : نقض العهد .
(٣) أى رفع من بين القتلى وفيه رمق .

فخرج عمرو بن أمية ، حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة[١] ، أقبل رجلان من بنى عامر .

قال ابن هشام : ثم من بنى كلاب ، وذكر أبو عمرو المدنى أنهما من بنى سليم .

قال ابن إسحاق : حتى نزلا معه فى ظل هو فيه . وكان مع العامريين عقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار ، لم يعلم به عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا ، ممن أنتما ؟ فقالا : من بنى عامر ، فأمهلهما ، حتى إذا ناما ، عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثؤرة من بنى عامر ، فيما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد قتلت قتيلين ، لأدِيَنّهما !

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا عمل أبى براء ، قد كنت لهذا كارهاً متخوفا . فبلغ ذلك أبا براء ، فشق عليه إخفار عامر إياه ، وما أصاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره ، وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة .

قال ابن إسحاق : فحدثنى هشام بن عروة ، عن أبيه : أن عامر بن الطفيل كان يقول : من رجل منهم لما قتل رأيته رفع بين السماء والأرض ، حتى رأيت السماء من دونه ؟ قالوا : هو عامر بن فهيرة[٢] .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعض بنى جبار بن سلمى بن مالك بن جعفر ، قال — وكان جبار فيمن حضرها يومئذ مع عامر ثم أسلم — قال فكان يقول : إن مما دعانى إلى الإسلام أنى طعنت رجلا منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه ، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره ، فسمعته يقول : فزت والله ! فقلت فى نفسى : ما فاز ! ألست قد قتلت الرجل ؟! قال : حتى سألت بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : للشهادة ، فقلت : فاز لعمرو الله .

---

(١) مكان قريب من المدينة .

(٢) هذه رواية البكائى عن ابن إسحاق ، وروى يونس بن بكير عنه بهذا الإسناد أن عامر بن الطفيل قدم المدينة بعد ذلك ، وقال للنبى عليه السلام : من رجل يا محمد لما طعنته رفع إلى السماء ؟ فقال : هو عامر بن فهيرة ، وروى عبد الرزاق وابن المبارك أن عامر بن فهيرة التمس فى القتلى ، ففقد ، فيرون أن الملائكة رفعته أو دفنته .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يحرض بنى براء على عامر بن الطفيل :

بنى أم البنين ألم يرعكم ... وأنتم من ذوائب أهل نجد[1]

تهكم عامر بأبى براء ... ليخفره وما خطأ كعمد

ألا أبلغ ربيعة ذا المساعى ... فما أحدثت فى الحدثان بعدى

أبوك أبو الحروب أبو براء ... وخالك ماجد حكم بن سعد

قال ابن هشام : حكم بن سعد : من القين بن جسر ، وأم البنين : بنت عمرو بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وهى أم أبى براء .

قال ابن إسحاق : فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل ؛ فطعنه بالرمح ، فوقع

---

(١) أم البنين : هى ليلى بنت عامر التى يذكرها لبيد فى قوله :

نحن بنى أم البنين الاربعـــة

ولم يكونوا أربعـة بل كانوا إخوة خمسة : طفيل فارس قرزل ، وعامر ملاعب الأسنة ، وربيعة المقترين وهو والد لبيد ، وعبيدة الوضاح ، ومعاوية معوذ الحكماء وهو الذى يقول :

إذا سقط السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضابا

وفى هذا الشعر يقول :

يعوذ مثلها الحكماء بعدى ... إذا ما الأمر فى الحدثان نابا

وبهذا البيت سمى معوذ الحكماء .

وإياهم عنى لبيد حين قال بين يدى النعمان بن المنذر :

نحن بنى أم البنين الأربعة ... المطعمون الجفنة المدعدعه

والضاربون الهام تحت الخيضعة ... يارب هيجا هى خير من دعة

وإنما قال : الأربعة ، وهم خمسة ، لأن أباه ربيعة قد كان مات قبل ذلك ، لا كما قال بعض النحويين أنه قال إنما قال أربعة ، ولم يقل خمسة من أجل القوافى ، فيقال له : لا يجوز للشاعر أن يلحن لإقامة وزن الشعر ، فكيف بأن يكذب لإقامة الوزن ، وأعجب من هذا أنه استشهد به على تأويل فاسد تأوله فى قوله سبحانه : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » وقال : أراد جنة واحدة ، وجاء بلفظ التثنية ، لتتفق رءوس الآى .

فى فخذه ، فأشواه ، ووقع عن فرسه ، فقال : هذا عمل أبى براء ، إن أمت فدمى لعمى ، فلا يتبعن به ، وإن أعش فسأرى رأيى فيما أتى إلىّ .

وقال أنس بن عباس السلمى ، وكان خال طعيمة بن عدى بن نوفل ، وقتل يومئذ نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعى :

تركت ابن ورقاء الخزاعى ثاويا ... بمعترك تسفى عليه الأعاصر
ذكرت أبا الريان لما رأيته ... وأيقنت أنى عند ذلك ثائر

وأبو الريان : طعيمة بن عدى .

وقال عبد الله بن رواحة يبكى نافع بن بديل بن ورقاء :

رحم الله نافع بن بديل ... رحمة المبتغى ثواب الجهاد
صابر صادق وفىّ إذا ما ... أكثر القوم قال قول السداد

وقال حسان بن ثابت يبكى قتلى بئر معونة ، ويخص المنذر بن عمرو :

على قتلى معونة فاستهلى ... بدمع العين سحا غير نزر
على خيل الرسول غداة لاقوا ... مناياهم ولاقتهم بقدر
أصابهم الفناء بعقد قوم ... تخون عقد حبلهم بغدر
فيا لهفى لمنذر إذ تولى ... وأعنق فى منيته بصبر[1]
وكائن قد أصيب غداة ذاكم ... من ابيض ماجد من سر عمرو[2]

قال ابن هشام : أنشدنى آخرها بيتا أبو زيد الأنصارى .

وأنشدنى لكعب بن مالك فى يوم بئر معونة ، يعير بنى جعفر بن كلاب :

تركتم جاركم لبنى سُليم ... مخافة حربهم عجزاً وهُونا

---

(١) أعنق : أسرع .
(٢) السر : الخالص .

فلو حبلا تناول من عقيل   لمد بحبلها حبلا متينا[1]
أو القرطاء ما إن أسلموه   وقدما ما وفوا إذ لاتفونا

قال ابن هشام : القرطاء : قبيلة من هوازن ، ويروى « من نفيل » مكان « من عقيل » ، وهو الصحيح : لأن القرطاء من نفيل قريب .

أمر إجلاء بنى النضير

فى سنة أربع

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى النضير يستعينهم فى دية ذينك القتيلين من بنى عامر ، اللذين قتل عمرو بن أمية الضمرى ، للجوار الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهما ، كما حدثنى يزيد بن رومان ، وكان بين بنى النضير وبين بنى عامر عقد وحلف . فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم فى دية ذينك القتيلين ، قالوا نعم ، يا أبا القاسم ، نعينك على ما أحببت ، مما استعنت بنا عليه . ثم خلا بعضهم ببعض ، فقالوا إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه — ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد — فمن رجل يعلو على هذا البيت ، فيلقى عليه صخرة ، فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب ، أحدهم ، فقال : أنا لذلك ، فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه ، فيهم أبو بكر وعمر وعلى ، رضوان الله عليهم .

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعا إلى المدينة . فلما استلبث النبيَّ صلى الله عليه وسلم أصحابُه ، قاموا فى طلبه ، فلقوا رجلا مقبلا من المدينة ، فسألوه عنه : فقال : رأيته داخلا المدينة . فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى انتهوا إليه صلى الله عليه وسلم ، فأخبرهم الخبر ، بما كانت اليهود أرادت من الغدر به ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم ، والسير إليهم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

---

(١) يريد بالحبل : العهد .

قال ابن إسحاق : ثم سار بالناس حتى نزل بهم .

قال ابن هشام : وذلك فى شهر ربيع الأول ، لحاصرهم ست ليال ، ونزل تحريم الخمر .

قال ابن إسحاق : فتحصنوا منه فى الحصون ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخيل والتحريق فيها ، فنادوه : أنْ يامحمد ، قد كنت تنهى عن الفساد ، وتعيبه على من صنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقها(١) ؟

وقد كان رهط من بنى عوف بن الخزرج ، منهم عدو الله عبد الله بن أبى بن سلول ووديعة ومالك بن أبى قوقل ، وسويد وداعس ، قد بعثوا إلى بنى النضير : أن اثبتوا وتمنعوا ، فإنا لن نسلمكم ، إن قُوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم ، فتربصوا ذلك من نصرهم ، فلم يفعلوا ، وقذف الله فى قلوبهم الرعب ، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم ويكف عن دمائهم ، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة(٢) ، ففعل . فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف(٣) بابه ، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به . فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام .

فكان أشرافهم من سار منهم إلى خيبر : سلام بن أبى الحقيق ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، وحيى بن أخطب . فلما نزلوها دان لهم أهلها .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث : أنهم استقلوا بالنساء والأموال ، معهم الدفوف والمزامير ، والقيان يعزفن خلفهم ، وإن فيهم لأم عمرو صاحبة عروة بن الورد العبسى ، التى ابتاعوا منه ، وكانت احدى نساء بنى غفار(٤) ، بزهاء وفخر ما رئى مثله من حى من الناس فى زمانهم .

---

(١) قال أهل التأويل : وقع فى نفوس المسلمين من هذا الكلام شيء ، حتى أنزل الله تعالى : « ماقطعتم من لينة ، أو تركتموها قائمة على أصولها » . واللينة ألوان التمر ما عدا العجوة والبرنى فنى هذه الآية أن النبي — صلى الله عليه وسلم — لم يحرق من نخلهم إلا ماليس بقوت للناس وكانوا يقتاتون العجوة .

(٢) الحلقة : السلاح .

(٣) النجاف : عتبة الباب العليا .

(٤) لم يذكر اسمها فى رواية البكائى عنه ، وذكره فى غيرها ، وهى سلمى قال الأصمعى : =

وخلوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، يضعها حيث يشاء ، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الأولين دون الأنصار . إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجانة سماك بن خرشة ذكرا فقرا ، فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولم يسلم من بنى النضير إلا رجلان : يامين بن عمير ، أبو كعب بن عمرو بن جحاش ، وأبو سعد بن وهب ، أسلما على أموالهما فأحرزاها .

قال ابن إسحاق — وقد حدثنى بعض آل يامين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليامين : ألم تر مالقيت من ابن عمك ، وما هم به من شأنى ؟ فجعل يامين بن عمير لرجل جُعلا على أن يقتل له عمرو بن جحاش ، فقتله فيما يزعمون .

مانزل فى بنى النضير من القرآن : ونزل فى بنى النضير سورة الحشر بأسرها ، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نقمته . وما سلط عليهم به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما عمل به فيهم ، فقال تعالى : « هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر(١) ماظننتم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ،

=اسمها . ليلى بنت شعواء ، وقال أبو الفرج : هى سلمى أم وهب امرأة من كنانة ، كانت ناكحاً فى مزينة ، فأغار عليهم عروة بن الورد ، فسباها ، وذكر الحديث ، وقول أبى الفرج إنها من كنانة لايدفع قول ابن إسحاق إنها من غفار ، لأن غفار من كنانة . غفار بن مليل بن ضمرة بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .

(١) روى موسى بن عقبة أنهم قالوا له : إلى أين نخرج يا محمد ؟ قال : إلى الحشر ، يعنى : أرض المحشر ، وهى الشام ، وقيل : إنهم كانوا من بسط لم يصبهم جلاء قبلها ، فلذلك قال : لأول الحشر ، والحشر : الجلاء ، وقيل إن الحشر الثانى ، هو حشر النار التى تخرج من قعر عدن ، فتحشر الناس إلى الموقف ، تبيت معهم ، حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا ، وتأكل من تخلف ، والآية متضمنة لهذه الأقوال كلها ، ولزائد عليها ، فإن قوله : لأول الحشر يؤذن أن ثم حشراً آخر ، فكان هذا الحشر والجلاء إلى خيبر ، ثم أجلاهم عمر من خيبر إلى تيماء وأريحا ، وذلك حين بلغه التثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لايبقين دينان بأرض العرب .

وقذف فى قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين » ، وذلك لهدمهم بيوتهم عن نجف أبوابهم إذا احتملوها . « فاعتبروا يا أولى الأبصار ، ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء » وكان لهم من الله نقمة ، « لعذبهم فى الدنيا » : أى بالسيف ، « ولهم فى الآخرة عذاب النار » مع ذلك . « ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها » . واللينة : ما خالف العجوة من النخل « فبإذن الله » : أى فبأمر الله قطعت ، لم يكن فساداً ، ولكن كان نقمة من الله « وليخزى الفاسقين » .

قال ابن هشام : اللينة : من الألوان ، وهى ما لم تكن برنية ولا عجوة من النخل ، فيما حدثنا أبو عبيدة . قال ذو الرمة :

كأن قتودى فوقها عش طائر على لينة سوقاء تهفو جنوبها[1]

وهذا البيت فى قصيدة له .

« وما أفاء الله على رسوله منهم » — قال ابن إسحاق : يعنى من بنى النضير — « فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ، ولكن الله يسلط رسله على من يشاء ، والله على كل شىء قدير » : أى له خاصة .

قال ابن هشام : أوجفتم : حركتم وأتعبتم فى السير . قال تميم بن أبىّ بن مقبل أحد بنى عامر ابن صعصعة :

مذاويد بالبيض الحديث صقالها عن الركب أحيانا إذا الركب أوجفوا[2]

وهذا البيت فى قصيدة له ، وهو الوجيف . وقال أبو زبيد الطائى ، واسمه حرملة ابن المنذر :

مسنفات كأنهن قنا الهند لطول الوجيف جدب المرود[3]

وهذا البيت فى قصيدة له :

قال ابن هشام : السناف : البطان . والوجيف : وجيف القلب والكبد ، وهو الضربان .

---

(١) القتود : الرحل مع أدواته . السوقاء : عظيمة الساق . الجنوب : النواحى .

(٢) المذاويد : المدافعون عن قومهم . والبيض : السيوف .

(٣) مسنفات : مشدودات بالأحزمة . والمرود : الموضع الذى يطلب فيه المرعى .

قال قيس بن الخطيم الظفرى :

إنا وإن قدّموا التى علموا   أكبادنا من ورائهم تجف

وهذا البيت فى قصيدة له .

« ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول » — قال ابن إسحاق : ما يوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب ، وفتح بالحرب عنوة فلله وللرسول — « ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم ، وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » .. يقول : هذا قسم آخر فيما أصيب بالحرب بين المسلمين ، على ماوضعه الله عليه .

ثم قال تعالى : « ألم تر إلى الذين نافقوا » يعنى عبد الله بن أبى وأصحابه ، ومن كان على مثل أمرهم « يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب » : يعنى بنى النضير ، إلى قوله « كمثل الذين من قبلهم قريباً ذاقوا وبال أمرهم ، ولهم عذاب أليم » : يعنى بنى قينقاع . ثم القصة . . إلى قوله : « كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر ، فلما كفر قال إنى برىء منك ، إنى أخاف الله رب العالمين ، فكان عاقبتهما أنهما فى النـــار خالدينَ فيها ، وذلك جزاء الظالمين » .

ما قيل فى بنى النضير من الشعر : وكان مما قيل فى بنى النضير من الشعر قول ابن لقيم العبسى ، ويقال : قاله قيس بن بحر بن طريف . قال ابن هشام : قيس بن بحر الأشجعى — فقال :

أهلى فداء لامرىء غير هالك   أحل اليهود بالحسىّ المزنم(١)

---

(١) يريد : أحلهم بأرض غربة ، وفى غير عشائرهم ، والزنيم : الرجل يكون فى القوم ، وليس منهم ، أى أنزلهم بمنزلة الحسى ، أى المبعد الطريد ، وإنما جعل الطريد الذليل حسياً لأنه عرضة للآكل ، والحسى والحسو مايحسى من الطعام حسواً ، أى أنه لايمتنع على آكل ، ويجوز أن يريد بالحسى معنى الغذى من الغنم ، وهو الصغير الضعيف الذى لايستطيع الرعى ، يقول : بدلوا بالمال الدثر والإبل الكوم ، رذال المال وغذاء الغنم ، والمزنم منه ، فهذا وجه يحتمل ، وقد أكثرت البحث عن الحسى فى مظانه من اللغة فلم أجد نصاً شافياً أكثر من قول أبى على :

يَقيلون فى جمر الغضاة وبُدلوا   أهيضب غودى بالودى المكمم[1]

فإن يك ظنى صادقا بمحمد   تروا خيله بين الصلا ويرمرم

يؤم بها عمرو بن بُهثة إنهم   عدو وما حى صديق كجرم

عليهن أبطال مساعير فى الوغى   يهزون أطراف الوشيج المقوم[2]

وكل رقيق الشفرتين مهند   تُوورِث من أزمان عاد وجرهم

فمن مبلغ عنى قريشا رسالة   فهل بعدهم فى المجد من متكرم

بأن أخاكم فاعلمن محمداً   تليد الندى بين الحجون وزمزم[3]

فدينوا له بالحق تجسم أموركم   وتسموا من الدنيا إلى كل معظم

نبي تلاقته من الله رحمة   ولا تسألوه أمر غيب مرجّم[4]

لقد كان فى بدر لعمرى عبرة   لكم يا قريشا والقليب الململم

غداة أتى فى الخزرجية عامداً   إليكم مطيعا للعظيم المكرم

مُعانا بروح القدس ينكى عدوه   رسولا من الرحمن حقا بمعلم[5]

رسولا من الرحمن يتلو كتابه   فلما أنار الحق لم يتلعثم

أرى أمره يزداد فى كل موطن   علواً لأمر حمه الله محكم[6]

قال ابن هشام : عمرو بن بهثة ، من غطفان . وقوله « بالحسى المزنم » ، عن غير ابن إسحاق.

= الحسية ، والحسى ما يحسى من الطعام ، وإذا قد وجدنا الغذى واحد غذاء الغنم ، فالحسى فى معناه غير ممتنع أن يقال ، والله أعلم . والمزنم أيضاً : صغار الإبل - عن الروض الأنف.

(١) الغضاة : الشجر . الأهيضب : المكان المرتفع. غودى : اسم مكان . الودى المكمم: صغار النخل الذى خرج طلعه .

(٢) الوشيج : الرماح .   (٣) الحجون : موضع فى مكة .

(٤) المرجم : غير المتيقن.   (٥) المعلم : الموضع العالى.

(٦) حمه : قدره .

قال ابن إسحاق : وقال على بن أبى طالب : يذكر إجلاء بنى النضير ، وقتل كعب ابن الأشرف .

قال ابن هشام : قالها رجل من المسلمين غير على بن أبى طالب ، فيما ذكر لى بعض أهل العلم بالشعر ، ولم أر أحداً منهم يعرفها لعلى :

عرفت ومن يعتدل يعرف وأيقنت حقا ولم أصدف[1]
عن الكلم المحكم الآى من لدى الله ذى الرأفة الأرأف
رسائل تدرس فى المؤمنين بهن اصطفى أحمد المصطفى
فأصبح أحمد فينا عزيزاً عزيز المقامة والموقف
فيأيها الموعدوه سفاها ولم يأت جوراً ولم يعنف
ألستم تخافون أدنى العذاب وما آمن الله كالأخوف
وأن تصرعوا تحت أسيافه كمصرع كعب أبى الأشرف
غداة رأى الله طغيانه وأعرض كالجمل الأجنف[2]
فأنزل جبريل فى قتله بوحى إلى عبده ملطف
فدس الرسول رسولا له بأبيض ذى هبة مرهف[3]
فباتت عيون له معولات متى ينع كعب لها تذرف
وقلن لأحمد ذرنا قليلا فإنا من النوح لم نشتف
فخلاهم ثم قال اظعنوا دحورا على رغم الآنف[4]
وأجلى النضير إلى غربة وكانوا بدار ذوى زخرف
إلى أذرعات ردافى وهم على كل ذى دبر أعجف[5]

---

(١) أصدف : أعرض . (٢) الأجنف : المائل إلى جهة .

(٣) الأبيض : السيف . والهبة : الاهتزاز .

(٤) رغم الآنف : أى رغم أنفكم ، أى على هوان ومذلة .

(٥) يريد على جمل جريح هزيل .

فأجابه سماك اليهودي ، فقال :

إن تفخروا فهو فخر لكم بمقتل كعب أبي الأشرف
غداة غدوتم على حتفه ولم يأت غدراً ولم يُخلف
فعلَّ الليالي وصرف الدهور يدين من العادل المنصف[1]
بقتل النضير وأحلافها وعقر النخيل ولم تُقطف
فإن لا أمت نأتكم بالقنا وكل حسام معا مرهف
بكف كمي به يحتمي متى يلق قرنا له يتلف
مع القوم صخر وأشياعه إذا غاور القوم لم يضعف
كليث بترج حمى غيله أخي غابة هاصر أجوف[2]

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بني النضير وقتل كعب بن الأشرف :

لقد خزيت بغدرتها الحبور كذاك الدهر ذو صرف يدور[3]
وذلك أنهم كفروا برب عزيز أمره أمر كبير
وقد أوتوا معا فهما وعلما وجاءهم من الله النذير
نذير صادق أدى كتابا وآيات مبينة تُنير
فقالوا ما أتيت بأمر صدق وأنت بمنكر منا جدير
فقال بلى لقد أديت حقا يصدقني به الفهم الخبير
فمن يتبعه يُهد لكل رشد ومن يكفر به يُجز الكفور

---

(١) يريد بالعادل المنصف محمداً صلى الله عليه وسلم وقد أراد الملعون التهكم عليه صلى الله عليه وسلم أو يكون كما قال أبو ذر في شرح السيرة أن يكون اللفظ للمدح والمعنى للذم كما قال سبحانه وتعالى « ذق إنك أنت العزيز الكريم » .

(٢) ترج : جبل بالحجاز . وغيله : جمع غيلة وهي أجمة الأسد . والأجوف : عظيم الجوف .

(٣) الحبور : العلماء .

فلما أشربوا غدراً وكفراً ... وحاد بهم عن الحق النفور
أرى اللهُ النبي برأى صدق ... وكان الله يحكم لا يجور
فأيده وسلطه عليهم ... وكان نصيره نعم النصير
فغودر منهمُ كعب صريعا ... فذلت بعد مصرعه النضير
على الكفين ثَمّ وقد علته ... بأيدينا مشهرة ذكور[1]
بأمر محمد إذ دس ليلا ... إلى كعب أخا كعب يسير
فماكره فأنزله بمكر ... ومحمود أخو ثقة جسور
فتلك بنو النضير بدار سوء ... أبارهم بما اجترموا المبير[2]
غداة أتاهم فى الزحف رهوا ... رسول الله وهو بهم بصير[3]
وغسان الحماة موازروه ... على الأعداء وهو لهم وزير
فقال السَّلم ويحكم فصدوا ... وحالف أمرهم كذب وزور[4]
فذاقوا غب أمرهم وبالا ... لكل ثلاثة منهم بعير
وأجلوا عامدين لقينقاع ... وغودر منهم نخل ودور

فأجابه سماك اليهودى، فقال:

أرقت وضافنى هم كبير ... بليل غيرُه ليل قصير[5]
أرى الأحبار تنكره جميعا ... وكلهم له علم خبير
وكانوا الدارسين لكل علم ... به التوراة تنطق والزبور
قتلتم سيد الأحبار كعبا ... وقدما كان يأمن من يجير
تدلى نحو محمودٍ أخيه ... ومحمودٌ سريرته الفجور
فغادره كأن دما نجيعا ... يسيل على مدارعه عبير[6]
فقد وأبيكم وأبى جميعا ... أصيبت إذ أصيب به النضير
فإن نَسلم لكم نترك رجالا ... بكعب حولهم طير تدور

---

(١) مشهرة : مسلولة . ذكور : قوية . (٢) أبارهم : أهلكم .
(٣) الرهو : المشى فى تؤدة . (٤) حالف : صاحب .
(٥) ضافنى : نزل بى . (٦) الدم النجيع : الطرى . المدارع : ملابس من صوف . والعبير : الأخلاط من الطيب .

كأنهم عتائر يوم عيد ... تذبح وهى ليس لها نكير(١)
ببيض لا تليق لهن عظما ... صوافى الحد أكثرها ذكور(٢)
كما لاقيتمُ من بأس صخر ... بأُحد حيث ليس لكم نصير(٣)

وقال عباس بن مرداس أخو بنى سليم يمتدح رجال بنى النضير :

لو أن أهل الدار لم يتصدعوا ... رأيت خلال الدار ملهًى وملعبا
فإنك عَمرى هل أريك ظعائنا ... سلكن على ركن الشطاة فتيأبا(٤)
عليهن عين من ظباء تبالة ... أوانس يصبين الحليم المجربا(٥)
إذا جاء باغى الخير قلن فُجاءة ... له بوجوه كالدنانير مرحبا
وأهلا فلا ممنوع خير طلبته ... ولا أنت تخشى عندنا أن تؤنبا
فلا تحسبنّى كنت مولى ابن مشكم ... سلام ولا مولى حيي بن أخطبا

فأجابه خوات بن جبير ، أخو بنى عمرو بن عوف ، فقال :

تبكى على قتلى يهود وقد ترى ... من الشجو لو تبكى أحبّ وأقربا
فهلاّ على قتلى ببطن أرينق ... بكيت ولم تعول من الشجو مسهبا(٦)
إذا السّلم دارت فى صديق رددتها ... وفى الدين صُداداً وفى الحرب ثعلبا
عمدت إلى قدر لقومك تبتغى ... لهم شبها كيما تَعز وتغلبا
فإنك لما أن كَلفت تمدحا ... لمن كان عيبا مدحه وتكذبا
رحلت بأمر كنت أهلا لمثله ... ولم تلف فيهم قائلا لك مرحبا
فهلاّ إلى قوم ملوك مدحتهم ... تبنوا من العز المؤثل منصبا(٧)
إلى معشر صاروا ملوكا وكُرّموا ... ولم يلف فيهم طالب العرف مجدبا

---

(١) العتائر : الذبائح . (٢) لا تليق : لا تبقى ولا تذر .

(٣) صخر : يقصد به أبا سفيان بن حرب .

(٤) الظعائن : النساء فى الهوادج . الشطاة وتيأب : موضعان .

(٥) العين : واسعات الأعين . تبالة : موضع باليمن يشتهر بالظباء . ويصبين : يذهبن العقل .

(٦) المسهب : المتغير الوجه . (٧) المؤثل : القديم .

أولئك أحرى من يهود بمدحة ... تراهم وفيهم عزة المجد تُرتُبا(١)

فأجابه عباس بن مرداس السلمى ، فقال :

هجوت صريح الكاهنين وفيكم ... لهم نعم كانت من الدهر ترتبا(٢)

أولئك أحرى لو بكيت عليهم ... وقومك لو أدوا من الحق موجبا

من الشكر إن الشكر خير مغبة ... وأوفق فعلا للذى كان أصوبا(٣)

فكنت كمن أمسى يقطع رأسه ... ليبلغ عزا كان فيه مركبا

فبك بنى هارون واذكر فعالهم ... وقتلهم للجوع إذ كنت مجدبا

أخوات أذر الدمع بالدمع وابكهم ... وأعرض عن المكروه منهم ونكبا(٤)

فإنك لو لاقيتهم فى ديارهم ... لألفيت عما قد تقول مُنكبا

سراع إلى العليا كرام لدى الوغى ... يقال لباغى الخير أهلا ومرحبا

فأجابه كعب بن مالك ، أو عبد الله بن رواحة فيما قال ابن هشام ، فقال :

لعمرى لقد حكت رحى الحرب بعدما ... أطارت لؤيا قبلُ شرقا ومغربا

بقية آل الكاهنين وعزها ... فعاد ذليلا بعد ما كان أغلبا

فطاح سلام وابن سعية عنوة ... وقيد ذليلا للمنايا ابن أخطبا

وأجلب يبغى العز والذل يبتغى ... خلاف يديه ما جنى حين أجلبا

كتارك سهل الأرض والحزن همه ... وقد كان ذا فى الناس أكدى وأصعبا(٥)

وشأس وعزال وقد صليا بها ... وما غُيبا عن ذاك فيمن تغيبا

وعوف بن سلمى وابن عوف كلاهما ... وكعب رئيس القوم حان وخُيبا(٦)

فبعدا وسحقا للنضير ومثلها ... إن اعقب فتح أو إن الله أعتبا

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنى : ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بنى النضير بنى المصطلق . وسأذكر حديثهم إن شاء الله فى الموضع الذى ذكره ابن إسحاق فيه .

---

(١) الترتب : الثابت .

(٢) الكاهنان : قريظة والنضير ، وفى الحديث : يخرج فى الكاهنين رجل يدرس القرآن درساً لم يدرسه أحد قبله ، ولا يدرسه أحد بعده ، فكانوا يرونه محمدا بن كعب القرظى وهو محمد بن كعب بن عطية ، والكاهن فى اللغة بمعنى الكاهل ، وهو الذى يقوم بحاجة أهله ، إذا خلف عليهم ، يقال : وهو كاهن أبيه وكاهله ، قاله الهروى ، فيحتمل أن يكون سمى الكاهنان بهذا .

(٣) المغبة : العاقبة . (٤) نكب : ابعد

(٥) الحزن : الأرض العالية. الأكدى : الذى لم يبلغ حاجته . (٦) حان : هلك .

غزوة ذات الرقاع

فى سنة أربع

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بنى النضير شهر ربيع الآخر وبعض جمادى ، ثم غزا نجداً يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان ، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى ؛ ويقال : عثمان بن عفان ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : حتى نزل نخلا [1] ، وهى غزوة ذات الرقاع .

قال ابن هشام : وإنما قيل لها غزوة ذات الرقاع ، لأنهم رقعوا فيها راياتهم ، ويقال : ذات الرقاع : شجرة بذلك الموضع ، يقال لها : ذات الرقاع [2] .

قال ابن إسحاق : فلقى بها جمعا عظيما من غطفان ، فتقارب الناس ، ولم يكن بينهم حرب ، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً ، حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف ، ثم انصرف بالناس .

صلاة الخوف : قال ابن هشام : حدثنا عبد الوارث بن سعيد التنورى — وكان يكنى : أبا عُبيدة — قال : حدثنا يونس بن عُبيد ، عن الحسن بن أبى الحسن ، عن جابر بن عبد الله فى صلاة الخوف ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطائفة ركعتين ثم سلم ، وطائفة مقبلون على العدو قال : فجاءوا فصلى بهم ركعتين أخريين ، ثم سلم .

---

(١) نخل : موضع بنجد.

(٢) وذكر غيره أنها أرض فيها بقع سود ، وبقع بيض ، كأنها مرقعة برقاع مختلفة ، فسميت ذات الرقاع لذلك ، وكانوا قد نزلوا فيها فى تلك الغزاة ، وأصح من هذه الأقوال كلها مارواه البخارى من طريق أبى موسى الأشعرى : قال : « خرجنا مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى غزاة ، ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه ، فنقبت أقدامنا ، ونقبت قدماى ، وسقطت أظفارى ، فكنا نلف على أرجلنا الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع ، لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا ، فحدث أبو موسى بهذا ، ثم كره ذلك ، فقال : ما كنت أصنع بأن أذكره : كأنه كره أن يكون شيئاً من عمله أفشاه .

قال ابن هشام : وحدثنا عبد الوارث ، قال : حدثنا أيوب ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : صفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صفين ، فركع بنا جميعا ، ثم سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسجد الصف الأول ، فلما رفعوا سجد الذين يلونهم بأنفسهم . ثم تأخر الصف الأول ، وتقدم الصف الآخر حتى قاموا مقامهم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعا ، ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم وسجد الذين يلونه معه ؛ فلما رفعوا رءوسهم سجد الآخرون بأنفسهم . فركع النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعا ، وسجد كل واحد منهما بأنفسهم سجدتين .

قال ابن هشام : حدثنا عبد الوارث بن سعيد التنورى ، قال : حدثنا أيوب عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : يقوم الإمام وتقوم معه طائفة ، وطائفة مما يلي عدوهم ، فيركع بهم الإمام ويسجد بهم ، ثم يتأخرون فيكونون مما يلي العدو ، يتقدم الآخرون فيركع بهم الإمام ركعة ، ويسجد بهم ، ثم تصلي كل طائفة بأنفسهم ركعة ، فكانت لهم مع الإمام ركعة ركعة ، وصلوا بأنفسهم ركعة ركعة .

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله : أن رجلا من بني محارب ، يقال له : غَوْرَث ، قال لقومه من غطفان ومحارب: ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا: بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أفتك به . قال : فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره ، فقال : يا محمد ، أنظر إلى سيفك هذا ؟ قال : نعم — وكان محلى بفضة ، فيما قال ابن هشام — قال : فأخذه فاستله ، ثم جعل يهزه ، ويهم فيكبته الله ؟ ؛ ثم قال : يا محمد ، أما تخافني ؟ قال : لا ، وما أخاف منك ؟ قال : أما تخافني وفي يدي السيف ؟ قال : لا ، يمنعني الله منك ، ثم عمد إلى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرده عليه . قال : فأنزل الله : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ همَّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديَهم ، فكف أيديهم عنكم ، واتقوا الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون » .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن رومان : أنها إنما أنزلت في عمرو بن جحاش ، أخي بني النضير وما همّ به ، فالله أعلم أي ذلك كان .

قال ابن إسحاق : وحدثني وهب بن كيسان ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة ذات الرقاع من نخل ، على جمل لي ضعيف ؛ فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال جعلت الرفاق تمضي ، وجعلت أتخلف ، حتى أدركني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال . مالك يا جابر ؟ قال : قلت : يارسول الله ، أبطأ بي جملي هذا ، قال أنخه . قال : فأنخته ؛ وأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أعطني هذه العصا

من يدك ، أو اقطع لى عصا من شجرة ، قال : ففعلت . قال : فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخسه بها نخسات ، ثم قال : اركب ، فركبت ، فخرج ، والذى بعثه بالحق ، يواهق[١] ناقته مواهقة .

قال : وتحدثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لى : أتبيعنى جملك هذا ياجابر ؟ قال : قلت :يارسول الله ، بل أهبه لك ، قال : لا ، ولكن بعنيه ، قال : قلت: فسمنيه يارسول الله ، قال : قد أخذته بدرهم ؛ قال: قلت : لا ، إذن ، تغبنى يارسول الله ! قال : فبدرهمين ؛ قال : قلت : لا . قال : فلم يزل يرفع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثمنه حتى بلغ الأوقية . قال : فقلت أفقدرضيت يارسول الله ؟ قال: نعم ؛قلت : فهو لك ؛ قال : قدأخذته قال : ثم قال : يا جابر، هل تزوجت بعد؟ قال : قلت:نعم يارسول الله ، قال : أثيبا أم بكرآ؟ قال : قلت : لا ، بل ثيبا ، قال : أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك ! قال . قلت : يارسول الله ، إن أبى أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعا ، فنكحت امرأة جامعة ، تجمع رءوسهن ، وتقوم عليهن ؛ قال أصبت إن شاء الله ، أما إنالوقد جئنا صرارا[٢] أمرنا بجزور فنحرت ، وأقمنا عليها يومنا ذاك ، وسمعت بنا ، فنفضت نمارقها [٣] . قال : قلت : والله يارسول الله مالنا من نمارق ؛ قال : إنها ستكون ، فإذا أنت قدمت فاعمل عملا كيسا . قال : فلما جئنا صرارا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجزور فنحرت ، وأقمنا عليها ذلك اليوم ؛ فلما مسى رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ودخلنا ؛ قال : فحدثت المرأة الحديث ، وماقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قالت : فدونك ، فسمع وطاعة ـ قال : فلما أصبحت أخذت برأس الجمل ، فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : ثم جلست فى المسجد قريبا منه؛ قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأى الجمل ؛ فقال : ماهذا ؛ قالوا : يارسول الله هذا جمل جاء به جابر ؛ قال : فأين جابر ؟ قال : فدعيت له ؛ قال ؛ فقال : يابن أخى خذ برأس جملك ، فهو لك ، ودعا بلالا ، فقال له : اذهب بجابر ، فأعطه أوقية . قال : فذهبت معه فأعطانى أوقية ، وزادنى شيئاً يسيرا . قال : فوالله مازال ينمى عندى ، ويرى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا يعنى يوم الحرة [٤] .

---

(١) يواهق : يسابق .

(٢) صرار : موضع قريب من المدينة . (٣) النمارق كل مايجلس عليه من الحشايا وغيرها .

(٤) يعنى : وقعة الحرة التى كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية على يدى مسلم بن عقبة المرى الذى يسميه أهل المدينة مسرف بن عقبة ، وكان سببها أن أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية =

قال ابن إسحاق : وحدثنى عمى صدقة[١] بن يسار ، عن عقيل بن جابر ، عن جابر بن عبدالله الانصارى ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ذات الرقاع من نخل ، فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين ؛ فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا ، أتى زوجها وكان غائبا ، فلما أخبر الخبر حلف لاينتهى حتى يهريق فى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ،فخرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا ، فقال : من رجل يكلؤنا ليلتنا هذه ؟ قال : فانتدب رجل من المهاجرين ، ورجل آخر من الأنصار ، فقالا : نحن يارسول الله ، قال : فكونا بفم الشعب . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من الوادى ، وهما عمار بن ياسر وعباد بن بشر فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب ، قال الأنصارى للمهاجرى أى الليل تحب أن أكفيكه : أوله أم آخره ؟ قال : بل اكفنى أوله ، قال : فاضطجع المهاجرى فنام ،

= وأخرجوا مروان بن الحكم وبنى أمية ، وأمروا عليهم عبدالله بن حنظلة الغسيل الذى غسلت أباه الملائكة يوم أحد ، ولم يوافق على الخلع أحد من أكابر الصحابة الذين كانوا فيهم ، روى البخارى أن عبدالله بن عمر لما أرجف أهل المدينة بيزيد دعا بنيه ومواليه ، وقال لهم : إنا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله وبيعة رسوله ، وإنه والله لايبلغنى عن أحد منكم أنه خلع يداً من طاعته إلا كانت الفيصل بينى وبينه ، ثم لزم بيته ، ولزم أبوسعيد الخدرى بيته ، فدخل عليه فى تلك الأيام التى انتهت المدينة فيها ، فقيل له : من أنت أيها الشيخ ؟ فقال : أنا أبوسعيد الخدرى صاحب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا له : سمعنا خبرك ، ولنعم مافعلت حين كففت يدك ، ولزمت بيتك ، ولكن هات المال ، فقال قد أخذه الذين دخلوا قبلكم على ، وماعندى شىء ، فقالوا كذبت ونتفوا لحيته ، وأخذوا ماوجدوا حتى صوف الفرش ، وحتى أخذوا زوجين من حمام كان صبيانه يلعبون بهما . وأما جابر بن عبدالله الذى كنا بمساق حديثه فخرج فى ذلك اليوم يطوف فى أزقة المدينة والبيوت تنتهب ، وهو أعمى ، وهو يعثر فى القتلى ، ويقول تعس من أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فقال له قائل : ومن أخاف رسول الله فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أخاف المدينة ، فقد أخاف ما بين جنبى . فحملوا عليه ليقتلوه ، فأجاره منهم مروان ، وأدخله بيته ، وقتل فى ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والأنصار ألف وسبعمائة ، وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف .

(١) ليس عمه : وإنما هو لقب لقبه به احتراما له .

وقام الأنصارى يصلى ، قال : وأتى الرجل ، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة[1] القوم. قال : فرمى بسهم ، فوضعه فيه ، قال : فنزعه ووضعه ، فثبت قائما ، قال : ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه . قال : فنزعه فوضعه ، وثبت قائماً ، ثم عاد له بالثالث ، فوضعه فيه ، قال : فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ، ثم أهب صاحبه فقال : اجلس فقد أثبت[2] ، قال : فوثب فلما رآهما الرجل عرف أن قد نذرا به ، فهرب . قال : ولما رأى المهاجرى ما بالأنصارى من الدماء ، قال : سبحان الله ! أفلا أهببتنى أول ما رماك ؟ قال : كنت فى سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفدها[3] ، فلما تابع على الرمى ركعت فأذنتك ، وايم الله ، لولا أن أضيع ثغرا أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها أو أنفدها .

قال ابن هشام : ويقال : أنفذها .

قال ابن إسحاق : ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة الرقاع ، أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجبا .

غزوة بدر الآخرة

فى شعبان سنة أربع

قال ابن إسحاق : ثم خرج فى شعبان إلى بدر ، لميعاد أبى سفيان ، حتى نزله .

قال ابن هشام واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول الأنصارى .

قال ابن إسحاق : فأقام عليه ثمانى ليال ينتظر أبا سفيان ، وخرج أبو سفيان فى أهل مكة حتى نزل مجنة ، من ناحية الظهران ، وبعض الناس يقول : قد بلغ عسفان ، ثم بدا له فى الرجوع ، فقال : يامعشر قريش ، إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن ، وإن عامكم هذا عام جدب ، وإنى راجع ، فارجعوا ، فرجع الناس . فسماهم أهل مكة جيش السويق ، يقولون إنما خرجتم تشربون السويق .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده ، فأتاه مخشى بن عمرو الضمرى ، وهو الذى كان وادعه على بنى ضمرة فى غزوة ودان ، فقال : يا محمد ، أجئت للقاء

---

(١) الربيئة : من يحرس القوم . (٢) أثبت : جرحت جراحة بالغه .
(٣) أنفدها : أتم قراءتها .

قريش على هذا الماء ؟ قال : نعم ، ياأخا بنى ضمرة ، وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك ، ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك ، قال : لاوالله يامحمد ، مالنا بذلك منك من حاجة .

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر أبا سفيان فمر به معبد بن أبى معبد الخزاعى ، فقال ، وقد رأى مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وناقته تهوى به [١] :

قد نفرت من رفقتى محمد ... وعجوة من يثرب كالعنجد (٢)
تهوى على دين أبيها الأتلد ... قد جعلت ماء قديد موعدى (٣)
وماء ضجنان لها ضحى الغد (٤)

وقال عبد الله بن رواحة فى ذلك — قال ابن هشام ؛ أنشدنيها أبو زيد الأنصارى لكعب ابن مالك :

وعدنا أبا سفيان بدراً فلم نجد ... لميعاده صدقا وما كان وافيا
فأقسم لو وافيتنا فلقيتنا ... لأبت ذميا وافتقدت المواليا
تركنا به أوصال عتبة وابنه ... وعمراً أبا جهل تركناه ثاويا
عصيتم رسول الله أف لدينكم ... وأمركم السيء الذى كان غاويا
فإنى وإن عنفتمونى لقائل ... فدى لرسول الله أهلى وماليا
أطعناه لم نعدله فينا بغيره ... شهابا لنا فى ظلمة الليل هاديا

وقال حسان بن ثابت فى ذلك :

دعوا فلجات الشأم قد حال دونها ... جلاد كأفواه المخاض الأوارك (٥)

---

(١) تهوى به : تسرع به . (٢) العنجد : الزبيب .
(٣) الدين هنا : العادة ، الأتلد : القديم . ماء قديد : ماء قريب من مكة .
(٤) ضجنان ؛ مكان قريب من مكة .
(٥) فلجات : جمع فلج ، وهذا الماء الجارى ، سمى فلجا ؛ لأنه قد حد فى الأرض ، وفرق بين جانبيه مأخوذ من فلج الأسنان ، أو من الفلج وهو القسم ، والفالج مكيال يقسم به ، والفالج والفيلج بعير ذو سنامين ، وهو من هذا الأصل ، ورواه أبو حنيفة الدينورى بالحاء وقال : الفلجة المزرعة . والمخاض : الإبل الحوامل . والأوارك : التى ترعى الأراك وهو شجر تؤخذ منه المساويك .

بأيدى رجال هاجروا نحو ربهم — وأنصاره حقا وأيدى الملائك
إذا سلكت للغور من بطن عالج — فقولا لها ليس الطريق هنالك[١]
أقمنا على الرس النزوع ثمانيا — بأرعن جرار عريض المبارك[٢]
بكل كميت جوزه نصف خلقه — وقب طوال مشرفات الحوارك[٣]
ترى العرفج العامى تذرى أصوله — مناسم أخفاف المطى الرواتك[٤]
فإن نلق فى تطوافنا والتماسنا — فرات بن حيان يكن رهن هالك
وإن تلق قيس بن امرىء القيس بعده — يزد فى سواد لونه لون حالك
فأبلغ أبا سفيان عنى رسالة — فإنك من غر الرجال الصعالك

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب . فقال :

أحسان إنا يابن آكلة الفغا — وجدك نغتال الخروق كذلك[٥]
خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا — ولو وألت منا بشد مدارك[٦]
إذا ما انبعثنا من مناخ حسبته — مدمن أهل الموسم المتعارك[٧]
أقمت على الرس النزوع تريدنا — وتتركنا فى النخل عند المدارك[٨]
على الزرع تمشى خيلنا وركابنا — فما وطئت ألصقته بالدكادك[٩]

---

(١) الغور : ما انخفض من الأرض . وعالج : مكان كثير الرمل .

(٢) الرس : البئر . النزوع : سهلة الماء . الأرعن : الجيش الجرار .

(٣) الكميت الفرس : لونها بين الأحمر والأسود يطلق على المذكر والمؤنث . وجوزه : وسطه : قب : جمع أقب وهو الضامر . والحوارك أعالى الفرس من ناحية الكتفين .

(٤) العرفج : نبات . والعامى : الذى بلغ العام : المناسم أخفاف البعير . الرواتك . المسرعة .

(٥) الفغا . التمر . نغتال : نقطع : الخروق : الصحراوات الواسعة .

(٦) اليعافير : أولاد الظباء . وألت . اعتصمت . الشد المدارك : الجرى المتتابع : والمعنى أنهم ملئوا السهل والجبل لكثرتهم فليس هناك مكان تهرب إليه اليعافير .

(٧) المدمن : ما تركه الركب وتركوا فيه آثارهم . والموسم . المكان الذى تجتمع فيه العرب : المتعارك . الذى يزدحم فيه القوم .

(٨) الرس النزوع : البئر السهلة الماء . المدارك : الأماكن القريبة .

(٩) الدكادك . الرمال اللينة .

أقمنا ثلاثا بين سلع وفارع ... بجرد الجياد والمطى الرواتك [1]
حسبتم جلاد القوم عند قبابهم ... كمأخذكم بالعين أرطال آنك [2]
فلا تبعث الخيل الجياد وقل لها ... على نحو قول المعصم المتماسك [3]
سعدتم بها وغيركم كان أهلها ... فوارس من أبناء فهر بن مالك
فإنك لا فى هجرة إن ذكرتها ... ولا حرمات الدين أنت بناسك

قال ابن هشام : بقيت منها أبيات تركناها ، لقبح اختلاف قوافيها . وأنشدنى أبو زيد الأنصارى هذا البيت :

خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا

والبيت الذى بعده لحسان بن ثابت فى قوله :

دعوا فلجات الشأم قد حال دونها

وأنشدنى له فيها بيته « فأبلغ أبا سفيان » .

غزوة دومة الجندل [4]

فى شهر ربيع الأول سنة خمس

قال ابن إسحاق : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فأقام من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها أشهرا حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهى سنة أربع ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دومة الجندل .

قال ابن هشام : فى شهر ربيع الأول ، واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى .

قال ابن إسحاق : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يصل إليها ، ولم يلق كيدا ، فأقام بالمدينة بقية سنته .

---

(١) سلع وفارع : جبلان . الرواتك : المسرعة .
(٢) العين : الدر . الآنك : القزدير . (٣) المعصم : المتماسك .
(٤) دومة الجندل بينها وبين المدينة خمس عشر ليلة وسميت بدومى بن إسماعيل عليه السلام لأنه نزلها .

غزوة الخندق [1]

فى شوال سنة خمس

حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى ، عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال : ثم كانت غزوة الخندق فى شوال سنة خمس .

اليهود تحزب الأحزاب : فحدثنى يزيد بن رومان مولى آل الزبير بن عروة بن الزبير ، ومن لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، ومحمد بن كعب القرظى ، والزهرى ، وعاصم ابن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبى بكر ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد اجتمع حديثه فى الحديث عن الخندق ، وبعضهم يحدث ما لا يحدث به بعض قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود ، منهم : سلام بن أبى الحقيق النضرى [2] ، وحيى بن أخطب النضرى ، وكنانة بن أبى الحقيق النضرى ، وهوذة بن قيس الوائلى ، وأبو عمار الوائلى ، فى نفر من بنى النضير ، ونفر من بنى وائل ، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجوا حتى قدموا على قريش مكة ، فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه ، حتى نستأصله — فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفدِيننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم : « ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت [3] ، ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ،

---

(١) وحفر الخندق لم يكن من عادة العرب ، ولكنه من مكايد الفرس وحروبها ، ولذلك أشار به سلمان الفارسى ، وأول من خندق الخنادق من ملوك الفرس فيما ذكر الطبرى منو شهر ابن أيرج بن أفريدون وقد قيل فى أفريدون : إنه ابن إسحاق عليه السلام ، وأكثرهم يقول فيه : هو ابن أثقيان ، وهو أول من اتخذ آله الرمى ، وإلى رأس ستين من ملكه بعث موسى عليه السلام ، والكمائن فى الحروب ، أول من فعلها بختنصر فى قول الطبرى .

(٢) ونسب ابن أبى الحقيق وما بعده إلى بنى النضير نقال فيهم النضرى ، وقياسه : النضيرى إلا أن يكون من باب قولهم ثقفى وقرشى ، وهو خارج عن القياس ، وإنما يقال : فعلى فى النسب إلى فعيلة .

(٣) الجبت : الصنم المعبود . الطاغوت : الساحر . الكاهن . الشيطان . أو كل ما عبد من دون الله .

أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً » . . . إلى قوله تعالى : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » : أى النبوة ، « فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما ، فنهم من آمن به ، ومنهم من صد عنه ، وكفى بجهنم سعيراً » .

قال : فلما قالوا ذلك لقريش ، سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه ، من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له . ثم خرج أولئك النفر من يهود ، حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان ، فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريش قد تابعوهم على ذلك ، فاجتمعوا معهم فيه .

خروج الأحزاب : قال ابن إسحاق : فخرجت قريش ، وقائدها أبو سفيان بن حرب ؛ وخرجت غطفان ، وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر[1] ، فى بنى فزارة ؛ والحارث ابن عوف بن حارثة المرى ، فى بنى مرة ؛ ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف بن سحمة ابن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان ، فيمن تابعه من قومه من أشجع .

حفر الخندق : فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أجمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على المدينة ، فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيبا للمسلمين فى الأجر ، وعمل معه المسلمون فيه ، فدأب فيه ودأبوا . وأبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين فى عملهم ذلك رجال من المنافقين ، وجعلوا يورون بالضعيف من العمل ويتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا إذن . وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة ، من الحاجة التى لابد له منها ، يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستأذنه فى اللحوق بحاجته ، فيأذن له ، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله ، رغبة فى الخير ، واحتسابا له .

ما نزل من القرآن فى حق العاملين فى الخندق : فأنزل الله تعالى فى أولئك من المؤمنين: « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى

---

(١) واسم عيينة حذيفة ، وسمى : عيينة لشتر كان بعينه وهو الذى قال فيه عليه السلام الأحمق المطاع ، لأنه كان من الجرارين ، تتبعه عشرة آلاف قناة ، وهو الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم : إن شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره ، وفى رواية أخرى : أنه قال : إنى أداريه ، لأنى أخشى أن يفسد على خلقاً كثيراً ، وفى هذا بيان معنى الشر الذى اتقى منه ، وكان دخل على النبى صلى الله عليه وسلم بغير إذن فلما قال له : أين الإذن ؟ قال : ما استأذنت على مضرى قبلك .

يستأذنوه ، إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم ، واستغفر لهم الله ، إن الله غفور رحيم » فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة فى الخير ، والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال تعالى ، يعنى المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ، ويذهبون بغير إذن من النبى صلى الله عليه وسلم : «لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ، قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ، أو يصيبهم عذاب أليم ».

قال ابن هشام : اللواذ : الاستتار بالشىء عند الهرب ، قال حسان بن ثابت :

وقريش تفر منا لواذاً ... أن يقيموا وخفت منها الحلوم

وهذا البيت فى قصيدة له ، قد ذكرتها فى أشعار يوم أحد .

« ألا إن لله ما فى السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه » .

قال ابن إسحاق : من صدق أو كذب .

« ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا ، والله بكل شىء عليم » .

المسلمون يرتجزون وهم يعملون : قال ابن إسحاق : وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين ، يقال له جُعيل ، سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمراً ، فقالوا :

سماه من بعد جعيل عمرا ... وكان للبائس يوما ظهراً

فإذا مروا بـ « عمرا » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمراً ، وإذا مروا بـ « ظهراً » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ظهرا[1] .

معجزات ظهرت فى حفر الخندق : قال ابن إسحاق : وكان فى حفر الخندق أحاديث بلغتنى ، فيها من الله تعالى عبرة فى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحقيق نبوته ، عاين ذلك المسلمون .

فكان مما بلغنى أن جابر بن عبد الله كان يحدث : أنه اشتدت عليهم فى بعض الخندق كدية ، فشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا بإناء من ماء ، فتفل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية ؛ فيقول من حضرها : فوالذى بعثه بالحق نبيا ، لانهالت حتى عادت كالكثيب لا ترد فأسا ولا مسحاة .

---

(١) أى يقول معهم آخر صدر البيت وآخر عجزه فقط فإنه صلى الله عليه وسلم لم يقل شعرا مطلقا وإن كان يسمعه ويستجيده يقول الله تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن مينا أنه حُدث : أن ابنة لبشير بن سعد ، أخت النعمان ابن بشير ، قالت : دعتني أمي عمرة بنت رواحة ، فأعطتني حفنة من تمر في ثوبي ، ثم قالت : أي بنية ، اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما ، قالت : فأخذتها ، فانطلقت بها، فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس أبي وخالي ؛ فقال : تعالى يا بنية ، ما هذا معك ؟ قالت : فقلت : يارسول الله ، هذا تمر ، بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد ، وخالي عبد الله بن رواحة يتغديانه ؛ قال : هاتيه ؛ قالت : فصببته في كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما ملأتهما ، ثم أمر بثوب فبسط له ثم دحا بالتمر عليه ، فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : اصرخ في أهل الخندق : أن هلم إلى الغداء . فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه ، وجعل يزيد ، حتى صدر أهل الخندق عنه ، وإنه ليسقط من أطراف الثوب .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن مينا ، عن جابر بن عبد الله ، قال : عملنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق ، فكانت عندي شويهة ، غير جد سمينة . قال فقلت: والله لو صنعناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : فأمرت امرأتي ، فطحنت لنا شيئا من شعير ، فصنعت لنا منه خبزاً ، وذبحت تلك الشاة ، فشويناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فلما أمسينا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف عن الخندق — قال : وكنا نعمل فيه نهارنا ، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا — قال : قلت : يا رسول الله ، إني قد صنعت لك شويهة كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئا من خبز هذا الشعير ، فأحب أن تنصرف معي إلى منزلي ، وإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده . قال : فلما أن قلت له ذلك ؛ قال : نعم ، ثم أمر صارخا فصرخ : أن انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر بن عبدالله ؛ قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! قال : فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل الناس معه ؛ قال فجلس وأخرجناها إليه . قال : فبرك وسمى الله ، ثم أكل ، وتواردها الناس ، كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس ، حتى صدر أهل الخندق عنها ،

قال ابن إسحاق : وحُدثت عن سلمان الفارسي ، أنه قال : ضربت في ناحية من الخندق ، فغلظت عليّ صخرة ؛ ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب مني ؛ فلما رآني أضرب ورأى شدة المكان عليّ ، نزل فأخذ المعول من يدي ، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ؛ قال : ثم ضرب به ضربة أخرى ، فلمعت تحته برقة أخرى . قال : ثم ضرب به الثالثة ، فلمعت تحته برقة أخرى . قال : قلت بأبي أنت وأمي يارسول الله ! ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال: أوقد رأيت ذلك ياسلمان ؟ قال : قلت نعم ؛ قال : أما الأولى فإن الله فتح علي بها اليمن ؛ وأما الثانية فإن الله فتح علي بها الشام والمغرب ؛ وأما الثالثة فإن الله فتح علي بها المشرق .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن أبى هريرة أنه كان يقول – حين فتحت هذه الأمصار فى زمان عمر وزمان عثمان وما بعده – افتتحوا ما بدا لكم ، فوالذى نفس أبى هريرة بيده ، ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله سبحانه محمداً صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك .

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة ، بين الجرف وزغابة[1] فى عشرة آلاف من أحابيشهم ، ومن تبعهم من بنى كنانة وأهل تهامة ، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بذنب نقمى ، إلى جانب أحد . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع[2] ، فى ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عسكره ، والخندق بينه وبين القوم .

قال : ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : وأمر بالذرارى والنساء فجعلوا فى الآطام[3] .

حيى بن أخطب يحرض كعب بن أسد : قال وخرج عدو الله حيى بن أخطب النضرى ، حتى أتى كعب بن أسد القرظى ، صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم ، وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه ، وعاقده على ذلك وعاهده ؛ فلما سمع كعب بحى بن أخطب أغلق دونه باب حصنه ، فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتح له ، فناداه حيى : ويحك يا كعب افتح لى : قال: ويحك يا حيى ، إنك امرؤ مشئوم ، وإنى قد عاهدت محمداً ، فلست بناقض ما بينى وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقا : قال ويحك افتح لى أكلمك : قال : ما أنا بفاعل ، قال : والله إن

---

(١) زغابة اسم موضع بالغين المنقوطة والزاى المفتوحة ، وذكره البكرى بهذا اللفظ بعد أن قدم القول بأنه زعابة بضم الزاى والعين المهملة ، وحكى عن الطبرى أنه قال فى هذا الحديث بين الجرف والغابة ، واختار هذه الرواية وقال : لأن زغابة لا تعرف قال: السهيلى فى الروض الأنف والأعرف عندى فى هذه الرواية رواية من قال : زغابة بالغين المنقوطة ، لأن فى الحديث المسند عنه عليه السلام ، قال فى ناقة أهداها إليه أعرابى ، فكافأه بست بكرات ، فلم يرض ، فقال عليه السلام: ألا تعجبون لهذا الأعرابى ! أهدى إلى ناقة أعرفها بعينها ، كما أعرف بعض أهلى ذهبت منى يوم زغابة ، وقد كافأته بست فسخط . الحديث .

(٢) سلع : جبل بالمدينة . (٣) الآطام : الحصون .

أغلقت دونى إلا عن جشيشتك (١) أن آكل معك منها ؛ فأحفظ (٢) الرجل ، ففتح له ؛ فقال : ويحك يا كعب ، جئتك بعز الدهر وببحر طام ، جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى إلى جانب أحد ، قد عاهدونى على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه . قال : فقال له كعب : جئتنى والله بذل الدهر ، وبجهام (٣) قد هراق ماءه ، فهو يرعد ويبرق ، ليس فيه شىء ، ويحك يا حيي : فدعنى وما أنا عليه ، فإنى لم أر من محمد إلا صدقا ووفاء . فلم يزل حيى بكعب يفتله فى الذروة والغارب (٤) حتى سمح له ، على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقا : لئن رجعت قريش وغطفان ، ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك فى حصنك حتى يصيبنى ما أصابك . فنقض كعب بن أسد عهده ، وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر وإلى المسلمين ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ بن النعمان، وهو يومئذ سيد الأوس ، وسعد بن عبادة بن دليم ، أحد بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة ، أخو بنى الحارث بن الخزرج ، وخوات بن جبير ، أخو بنى عمرو بن عوف ، فقال : انطلقوا حتى تنظروا ، أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقا فالحنوا لى لحنا أعرفه ، ولا تفتوا فى أعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس . قال : فخرجوا حتى أتوهم ، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، فيما نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد . فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه ، وكان رجلا فيه حدة ؛ فقال له سعد بن عبادة : دع عنك مشاتمتهم ، فما بيننا وبينهم أربى من

---

(١) الجشيشة : طعام يصنع من البر المطحون خشنا .

(٢) أحفظ : أغضب . (٣) الجهام : السحاب لاماء فيه .

(٤) هذا مثل ، وأصله فى البعير ، يستصعب على سائقه فيأخذ القراد من ذروته وغارب سنامه ، ويفتل هناك ، فيجد البعير لذة فيأنس عند ذلك ، فضرب هذا الكلام مثلا فى المراوضة والمخاتلة ، قال الحطيئة :

لعمرك ما قراد بنى بغيض إذا نزع القراد بمستطاع

يريد : أنهم لا يخدعون ولا يستذلون .

المشاتمة . ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلموا عليه ، ثم قالوا : عضل والقارة ، أى كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع ، خبيب وأصحابه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، أبشروا يا معشر المسلمين .

قال وعظم عند ذلك البلاء ، واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ، حتى ظن المؤمنون كل ظن ، ونجم النفاق من بعض المنافقين ، حتى قال معتب بن قشير ، أخو بنى عمرو بن عوف : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط .

لم يكن معتب منافقا : قال ابن هشام : وأخبرنى من أثق به من أهل العلم : أن معتب بن قشير لم يكن من المنافقين ، واحتج بأنه كان من أهل بدر .

قال ابن إسحاق : وحتى قال أوس بن قيظى ، أحد بنى حارثة بن الحارث : يارسول الله ، إن بيوتنا عورة من العدو ، وذلك عن ملأ من رجال قومه ، فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا ، فإنها خارج من المدينة . فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام عليه المشركون بضعا وعشرين ليلة ، قريبا من شهر ، لم تكن بينهم حرب إلا الرِّمِّيا بالنبل والحصار .

قال ابن هشام ويقال الرمِّيا .

محاولة الصلح مع غطفان : فلما اشتد على الناس البلاء ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم ، عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى ، إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، وإلى الحارث بن عوف بن أبى حارثة المرى ، وهما قائدا غطفان ، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه . فجرى بينه وبينهما الصلح ، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح ، إلا المراوضة فى ذلك . فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل ، بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ، فذكر لهما ، واستشارهما فيه ؛ فقالا له : يارسول الله ، أمرا تحبه فنصنعه ، أم شيئا أمرك الله به ، لا بد لنا من العمل به ، أم شيئا تصنعه لنا ؟ قال : بل شىء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأننى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم [1] من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما ؛ فقال له سعد بن معاذ : يارسول الله ، قد كنا

---

(١) كالبوكم : غالبوكم .

نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قِرى أو بيعا ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه ، نعطيهم أموالنا ! والله مالنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأنت وذاك . فتناول سعد بن معاذ الصحيفة ، فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، وعدوهم محاصروهم ، ولم يكن بينهم قتال ، إلا أن فوارس من قريش ، منهم عمرو بن عبد ود بن أبي قيس ، أخو بني عامر بن لؤي .

— قال ابن هشام : ويقال : عمرو بن عبد بن أبي قيس —

قال ابن إسحاق : وعكرمة بن أبي جهل ، وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان . وضرار بن الخطاب الشاعر ابن مرداس ، أخو بني محارب بن فهر ، تلبسوا للقتال ، ثم خرجوا على خيلهم ، حتى مروا بمنازل بني كنانة ، فقالوا : تهيئوا يا بني كنانة للحرب ، فستعلمون من الفرسان اليوم . ثم أقبلوا تعنق [1] بهم خيلهم ، حتى وقفوا على الخندق ، فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها .

سلمان يشير إلى حفر الخندق : قال ابن هشام : يقال : إن سلمان الفارسي أشار به على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحدثني بعض أهل العلم : أن المهاجرين يوم الخندق قالوا : سلمان منا ؛ وقالت الأنصار : سلمان منا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلمان منا أهل البيت .

علي يقتل عمرو بن عبد ود : قال ابن إسحاق : ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق ، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه ، فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع ، وخرج علي بن أبي طالب عليه السلام في نفر معه من المسلمين ، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم ، وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة ، فلم يشهد يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق خرج معلما [2] ليُرى مكانه . فلما وقف هو وخيله ، قال : من يبارز ؟ فبرز له علي بن أبي طالب فقال له : يا عمرو ، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من

---

(١) تعنق : تسرع .

(٢) معلما : له علامة يعرف بها .

قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه ، قال له : أجل ؛ قال له على : فإنى أدعوك إلى الله وإلى رسوله ، وإلى الإسلام ؛ قال : لا حاجة لى بذلك ؛ قال فإنى أدعوك إلى النزال ؛ فقال له : لم يابن أخى ؟ فوالله ما أحب أن أقتلك ، قال له على : لكنى والله أحب أن أقتلك ؛ فحمى عمرو عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه ، فعقره ، وضرب وجهه ، ثم أقبل على علىّ ، فتنازلا وتجاولا ، فقتله على رضى الله عنه وخرجت خيلهم منهزمة ، حتى اقتحمت من الخندق هاربة .

قال ابن إسحاق : وقال على بن أبى طالب رضوان الله عليه فى ذلك :

نصر الحجارة من سفاهة رأيه	ونصرت رب محمد بصوابى [1]
فصددت حين تركته متجدلا	كالجذع بين دكادك وروابى [2]
وعففت عن أثوابه ولو اننى	كنت المقطر بزّنى أثوابى [3]
لا تحسبن الله خاذل دينه	ونبيه يا معشر الأحزاب

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلى بن أبى طالب .

هجاء حسان لعكرمة : قال ابن إسحاق : وألقى عكرمة بن أبى جهل رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو ؛ فقال حسان بن ثابت فى ذلك :

فر وألقى لنا رمحه	لعلك عكرم لم تفعل
ووليت تعدو كعدو الظليم	ما إن تجور عن المعدل [4]
ولم تلق ظهرك مستأنسا	كأن قفاك قفا فُرعل

قال ابن هشام : الفرعل : صغير الضباع ، وهذه الأبيات له .

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وبنى قريظة : حم لا يُنصرون .

استشهاد سعد بن معاذ : قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن ابن سهل الأنصارى ، أخو بنى حارثة : أن عائشة أم المؤمنين كانت فى حصن بنى حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة . قال : وكانت أم سعد بن معاذ معها فى الحصن ؛ فقالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب : فمر سعد وعليه درع له مقلصة [5] ، قد

---

(١) الحجارة : الأنصاب التى كانت تعبدها قريش . (٢) الدكادك : الرمال اللينة .
(٣) المقطر : الذى وقع على قطره وهو جنبه . وبزنى : سلبنى .
(٤) الظليم : ولد النعام . (٥) مقلصة : قصيرة قد ارتفعت عن حدها .

خرجت منها ذراعه كلها ، وفى يده حربته يرفل بها ويقول :

لبث قليلا يشهد الهيجا جمل	لا بأس بالموت إذا حان الأجل[١]

قال فقالت له أمه : الحق : أى ابنى ، فقد والله أخرت ؛ قالت عائشة : فقلت لها : يا أم سعد ، والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هى ؛ قالت : وخفت عليه حيث أصاب السهم منه ، فرُمى سعد بن معاذ بسهم ، فقطع منه الأكحل[٢] ، رماه كما حدثنى عاصم بن عمر ابن قتادة ، حبان بن قيس بن العَرِقة ، أحد بنى عامر بن لؤى ، فلما أصابه ، قال : خذها منى وأنا ابن العرقة ؛ فقال له سعد : عرق الله وجهك فى النار ، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقنى لها ، فإنه لاقوم أحب إلى أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه ، اللهم وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لى شهادة ، ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول : ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبو أسامة الجشمى ، حليف بنى مخزوم .

وقد قال أبو أسامة فى ذلك شعرا لعكرمة بن أبى جهل :

أعكرم هلا لمتنى إذ تقول لى	فداك بآطام المدينة خالد[٣]
ألست الذى ألزمت سعداً مُرِشة	لها بين أثناء المرافق عاند[٤]
قضى نحبه منها سُعيد فأعولت	عليه الشمط والعذارى النواهد
وأنت الذى دافعت عنه وقد دعا	عبيدة جمعا منهم إذ يكابد
على حين ماهُم جائر عن طريقه	وآخر مرعوب عن القصد قاصد

قال ابن هشام : ويقال : إن الذى رمى سعداً خفاجة بن عاصم بن حبان .

حديث حسان فى وقعة الخندق : قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير ، عن أبيه عباد قال : كانت صفية بنت عبد المطلب فى فارع ، حصن حسان بن ثابت

(١) جمل : اسم رجل . (٢) الأكحل : عرق فى وسط الذراع .
(٣) الآطام : الحصون .
(٤) مرشة : يريد طعنة مرشة ؛ أى تجرت منه رشاش الدم . والعاند : العرق الذى لا ينقطع دمه .

قالت : وكان حسان بن ثابت معنا فيه ، مع النساء والصبيان . قالت صفية : فمر بنا رجل من يهود ، فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة ، وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فى نحور عدوهم ، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت . قالت : فقلت : يا حسان ، إن هذا اليهودى كما ترى يطيف بالحصن ، وإنى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فانزل إليه فاقتله ؛ قال : يغفر الله لك يا بنة عبد المطلب ، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا : قالت : فلما قال لى ذلك ، ولم أر عنده شيئا ، احتجزت⁽¹⁾ ثم أخذت عمودا ، ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته . قالت : فلما فرغت منه ، رجعت إلى الحصن ، فقلت : يا حسان ، انزل إليه فاسلبه ، فإنه لم يمنعنى من سلبه إلا أنه رجل ، قال : مالى بسلبه من حاجة يا بنة عبد المطلب[2] .

خداع نعيم للمشركين : قال ابن إسحاق : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيما وصف الله من الخوف والشدة ، لتظاهر عدوهم عليهم ، وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم .

قال : ثم إن نعيم بن مسعود عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث ابن غطفان ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، إنى قد أسلمت ، وإن قومى لم يعلموا بإسلامى ، فمرنى بما شئت ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذّل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خدعة . فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة ، وكان لهم نديما فى الجاهلية ، فقال : يابنى قريظة ، قد عرفتم ودى إياكم ، وخاصة ما بينى وبينكم ، قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم ؛ فقال لهم إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم ، والبلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لا تقدرون على أن تحوّلوا منه إلى غيره ، وإن قريشا

---

(١) احتجزت : شدت وسطها .

(٢) حمل هذا الحديث عند الناس على أن حسانا كان جبانا شديد الجبن ، وقد دفع هذا بعض العلماء ، وأنكره ، وذلك أنه حديث منقطع الإسناد ، ولو صح هذا لهجى به حسان ، فإنه كان يهاجى الشعراء كضرار وابن الزبعرى ، وغيرهما ، وكانوا يناقضونه ويردون عليه ، فما عيره أحد منهم بجبن ، ولا وسمه به ، فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق ، وإن صح فربما كان حسان معتلا فى ذلك اليوم بعلة منعته من شهود القتال ، وهذا أولى ما تأول .

وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نهزة [١] أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم ، يكونوا بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه ، فقالوا : لقد أشرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قريشا ، فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمدا ، وإنه قد بلغنى أمر قد رأيت على حقاً أن أبلغكموه ، نصحا لكم فاكتموا عنى ، فقالوا : نفعل : قال : تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم ، فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل إليهم : أن نعم . فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحداً .

ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال : يامعشر غطفان ، إنكم أصلى وعشيرتى ، وأحب الناس إلى ، ولا أراكم تتهمونى ؛ قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم : قال : فاكتموا عنى ؛ قالوا : نفعل ، فما أمرك ؟ ، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ماحذرهم .

ما أنزل الله بالمشركين : فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، وكان من صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورءوس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة ابن أبى جهل ، فى نفر من قريش وغطفان ، فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام ، قد هلك الخف والحافر [٢] ، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ، ونفرغ مما بيننا وبينه ؛ فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا نفعل فيه شيئا ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا ، فأصابه مالم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم ، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا ، فإنا نخشى إن ضرستكم [٣] الحرب ، واشتد عليكم القتال أن تنشمروا [٤] إلى بلادكم وتتركونا ، والرجل فى بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه . فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة ، قالت قريش وغطفان : والله إن الذى حدثكم نعيم بن مسعود لحق ، فأرسلوا

---

(١) النهزة : الفرصة .
(٢) الخف : الإبل . والحافر : الخيل .
(٣) ضرستكم : نالت منكم .
(٤) تنشمرون : ترجعون .

إلى بنى قريظة: إنا والله لاندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ، فقالت بنو قريظة ، حين انتهت الرسل إليهم بهذا : إن الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا ، فإن رأوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم . وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم ، فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله لانقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم ، وخذل الله بينهم ، وبعث الله عليهم الريح فى ليال شاتية باردة شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورهم ، وتطرح أبنيتهم .

استخبار ما حل بالمشركين : قال فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم ، وما فرق الله من جماعتهم ، دعا حذيفة بن اليمان ، فبعثه إليهم ، لينظر ما فعل القوم ليلا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظى ، قال : قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ، أرأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه؟ قال : نعم ، يابن أخى ؛ قال : فكيف كنتم تصنعون؟ قال : والله لقد كنا نجهد ؛ قال : فقال : والله لو أدركناه ماتركناه يمشى على الأرض ولحملناه على أعناقنا . قال : فقال حذيفة : يابن أخى والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هُوِيًّا (١) من الليل، ثم التفت إلينا فقال : من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع — يشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة — أسأل الله تعالى أن يكون رفيقى فى الجنة ؟ فما قام رجل من القوم ، من شدة الخوف ، وشدة الجوع ، وشدة البرد ؛ فلما لم يقم أحد ، دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن لى بد من القيام حين دعانى ؛ فقال ياحذيفة اذهب فادخل مع القوم ، فانظر ماذا يصنعون ، ولا تُحْدِثَنَّ شيئا حتى تأتينا . قال : فذهبت فدخلت فى القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء . فقام أبو سفيان . فقال : يامعشر قريش : لينظر امرؤ مَن جليسه ؟ قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذى كان إلى جنبى ، فقلت : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان .

أبو سفيان ينادى بالرحيل : ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف(٢) ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، ما تطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ،

---

(١) هويا من الليل : جزءا منه .

(٢) الكراع : الخيل الخف : الإبل :

فارتحلوا فإنى مرتحل ؛ ثم قام إلى جمله وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه ، فوثب به على ثلاث ، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىّ « أن لاتحدث شيئا حتى تأتينى » ، ثم شئت ، لقتلته بسهم .

قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى فى مرط[1] لبعض نسائه ، مراجل .

قال ابن هشام : المراجل : ضرب من وشى اليمن .

فلما رآنى أدخلنى إلى رجليه ، وطرح على طرف المرط ، ثم ركع وسجد ، وإنى لفيه ، فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم .

الرجوع من الخندق : قال ابن إسحاق : ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعا إلى المدينة والمسلمين ، ووضعوا السلاح .

غزوة بنى قريظة فى سنة خمس

جبريل يأنى بحرب بنى قريظة : فلما كانت الظهر ، أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى الزهرى ، معتجرا[2] بعمامة من إستبرق[3] ، على بغلة عليها رحالة[4] ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أوقد وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم ؛ فقال جبريل : فما وضعت الملائكة السلاح بعد ، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بنى قريظة ، فإنى عامد إليهم فمزلزل بهم .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا ، فأذن فى الناس ، من كان سامعا مطيعا ، فلا يصلين العصر إلا ببنى قريظة .

واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام .

---

(١) المرط : الكساء . (٢) الاعتجار : التعمم على الرأس فقط دون جوانب الوجه أو اللحية . (٣) الإستبرق : الديباج الغليظ الصفيق الحسن .

(٤) الرحالة : السرج .

على يبلغ الرسول ما سمعه من بنى قريظة : قال ابن إسحاق : وقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب برايته إلى بنى قريظة ، وابتدرها الناس . فسار على بن أبى طالب ، حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع حتى لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق ، فقال : يارسول الله ، لاعليك أن لاتدنو من هؤلاء الأخابث ؛ قال : لم ؟ أظنك سمعت منهم لى أذى ؟ قال : نعم يا رسول الله ؛ قال : لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيئا . فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم . قال : يا إخوان القردة ، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟ قالوا : ياأبا القاسم ، ماكنت جهولا .

جبريل فى صورة دحية الكلبى : ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفر من أصحابه بالصَّوْرين[1] قبل أن يصل إلى بنى قريظة ، فقال : هل مر بكم أحد ؟ قالوا : يا رسول الله ، قد مر بنا دحية بن خليفة الكلبى ، على بغلة بيضاء عليها رحالة ، عليها قطيفة ديباج . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك جبريل ، بُعث إلى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم ، ويقذف الرعب فى قلوبهم .

ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى قريظة : نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم ، يقال لها بئر أنا .

قال ابن هشام : بئر أنىّ .

قال ابن إسحاق : وتلاحق به الناس ، فأتى رجال منهم من بعد العشاء الآخرة ، ولم يصلوا العصر ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لايصلين أحد العصر إلا ببنى قريظة ، فشغلهم مالم يكن منه بد فى حربهم ، وأبوا أن يصلوا ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : حتى تأتوا بنى قريظة . فصلوا العصر بها ، بعد العشاء الآخرة ، فما عابهم الله بذلك فى كتابه ، ولا عنفهم به[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم . حدثنى بهذا الحديث أبى إسحاق بن يسار ، عن معبد بن كعب بن مالك الأنصارى .

---

(١) الصورين : موقع قريب من المدينة .

(٢) وفى هذا من الفقه أنه لا يعاب على من أخذ بظاهر حديث أو آية ، فقد صلت منهم طائفة قبل أن تغرب الشمس ، وقالوا : لم يرد النبى — صلى الله عليه وسلم — إخراج الصلاة =

الحصار : قال : وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة ، حتى جهدهم الحصار ، وقذف الله فى قلوبهم الرعب .

وقد كان حيي بن أخطب دخل مع بنى قريظة فى حصنهم ، حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه .

كعب بن أسد ينصح قومه : فلما أيقنوا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم ، قال كعب بن أسد لهم : يا معشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإنى عارض عليكم خلالا ثلاثا ، فخذوا أيها شئتم ؛ قالوا : وما هى ؟ قال : نتابع هذا الرجل

= عن وقتها ، وإنما أراد الحث والإعجال فما عنف أحداً من الفريقين ، وفى هذا دليل على أن كل مختلفين فى الفروع من المجتهدين مصيب ، وفى حكم داود وسليمان فى الحرث أصل لهذا الأصل أيضاً ، فإنه قال سبحانه : « ففهمناها سليمان ، وكلا آتينا حكماً وعلماً » ولا يستحيل أن يكون الشىء صواباً فى حق إنسان وخطأ فى حق غيره ، فيكون من اجتهد فى مسألة فأداه اجتهاده إلا التحليل مصيباً فى استحلاله ؛ وآخر اجتهد فأداه اجتهاده ونظره إلى تحريمها ، مصيباً فى تحريمها ، وإنما المحال أن يحكم فى النازلة بحكمين متضادين فى حق شخص واحد ، وإنما عسر فهم هذا الأصل على طائفتين : الظاهرية والمعتزلة أما الظاهرية فإنهم علقوا الأحكام بالنصوص ، فاستحال عندهم أن يكون النص يأتى بحظر ، وإباحة معاً إلا على وجه النسخ . وأما المعتزلة ، فإنهم علقوا الأحكام بتقبيح العقل وتحسينه ؛ فصار حسن الفعل عندهم أو قبحه صفة عين ، فاستحال عندهم أن يتصف فعل بالحسن فى حق زيد والقبح فى حق عمرو ، كما يستحيل ذلك فى الألوان والأكوان وغيرهما من الصفات القائمة بالذوات ، وأما ما عدا هاتين الطائفتين من أرباب الحقائق ، فليس الحظر والإباحة عندهم بصفات أعيان ، وإنما هى صفات أحكام ، والحكم من الله تعالى يحكم بالحظر فى النازلة على من أداه نظره واجتهاده إلى الحظر ، وكذلك الإباحة والندب والإيجاب والكراهة ، كلها صفات أحكام . فكل مجتهد وافق اجتهاده وجهاً من التأويل ، وكان عنده من أدوات الاجتهاد ما يترفع به عن حضيض التقليد إلى هضبة النظر ، فهو مصيب فى اجتهاده مصيب فى الحكم الذى تعبد به ، وإن تعبد غيره فى تلك النازلة بعينها بخلاف ما تبعد هو به ؛ فلا يعد فى ذلك إلا على من يعرف الحقائق أو عدل به الهوى عن أوضح الطرائق عن السهيلى من كتابه الروض الأنف .

وتصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل ، وأنه للذي تجدونه في كتابكم ، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم ؛ قالوا : لانفارق حكم التوراة أبدا ، ولانستبدل به غيره ؛ قال : فإذا أبيتم على هذه ، فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف ، لم نترك وراءنا ثقلا ، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ، ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه ، وإن نظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء ؛ قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ! فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فإن أبيتم على هذه ، فإن الليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة ؛ قالوا : نفسد سبتنا علينا ، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت ، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ ! قال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما .

قصة أبي لبابة : قال : ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ابعث إلينا أبا لبابة[1] بن عبد المنذر ، أخا بني عمرو بن عوف ، وكانوا حلفاء الأوس ، لنستشيره في أمرنا ، فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ؛ فلما رأوه قام إليه الرجال ، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه ، فرقّ لهم ، وقالوا له : يا أبا لبابة ! أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقه ، إنه الذبح . قال أبو لبابة : فوالله مازالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده ، وقال : لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله على مما صنعت ، وعاهد الله : أن لا أطأ بني قريظة أبدا ، ولا أرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبدا .

قال ابن هشام : وأنزل الله تعالى في أبي لبابة ، فيما قال سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل

---

(١) هو رفاعة بن عبد المنذر بن زبير وقيل : اسمه مبشر ، وتاب وربط نفسه حتى تاب الله عليه ، وذكر فيه أنه أقسم ألا يحله إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه : أنزل الله تعالى : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا » ، غير أن المفسرين اختلفوا في ذنبه ما كان ؛ فقال ابن إسحاق ماذكره في السيرة من إشارته على بني قريظة ، وقال آخرون : كان من المخلفين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فنزلت توبة الله عليه في هذه الآية .

ابن أبى خالد ، عن عبد الله بن أبى قتادة : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » .

قال ابن إسحاق : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره ، وكان قد استبطأه ، قال : أما إنه لو جاءنى لاستغفرت له ، فأما إذ قد فعل ما فعل ، فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن عبد الله بن قُسيط : أن توبة أبى لبابة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر ، وهو فى بيت أم سلمة . فقالت أم سلمة : فسمعت رسول الله صلى الله عليه من السحر وهو يضحك . قالت : فقلت : مم تضحك يا رسول الله ؟ أضحك الله سنك ؛ قال : تِيب على أبى لبابة ؛ قالت : قلت : أفلا أبشره يا رسول الله ! قال : بلى ، إن شئت . قال : فقامت على باب حجرتها ، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب ، فقالت : يا أبا لبابة ، أبشر فقد تاب الله عليك . قالت : فثار الناس إليه ليطلقوه فقال : لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنى بيده ؛ فلما مر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه .

قال ابن هشام : أقام أبو لبابة مرتبطا بالجذع ست ليال ، تأتيه امرأته فى كل وقت صلاة ، فتحله للصلاة ، ثم يعود فيرتبط بالجذع ، فيما حدثنى بعض أهل العلم ، والآية التى نزلت فى توبته قول الله عز وجل : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم » .

إسلام بعض بنى هدل : قال ابن إسحاق : ثم إن ثعلبة بن سَعية ، وأسيد بن سعية ، وأسد ابن عبيد ، وهم نفر من بنى هَدْل ، ليسوا من بنى قريظة ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك ، هم بنو عم القوم ، أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قصة عمرو بن سعدى : وخرج فى تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظى ، فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه محمد بن مسلمة تلك الليلة ؛ فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سعدى — وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة فى غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : لا أغدر بمحمد أبداً — فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمنى إقالة عثرات الكرام ، ثم خلى سبيله . فخرج على وجهه حتى أتى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب فلم يدر أين توجه من الأرض إلى يومه هذا ، فذكر

لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه ؛ فقال : ذاك رجل نجاه الله بوفائه . وبعض الناس يزعم أنه كان أُوثق برمة(١) فيمن أوثق من بنى قريظة ، حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت رمته ملقاة ، ولا يُدرى أين ذهب ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه تلك المقالة ، والله أعلم أى ذلك كان .

تحكيم سعد فى أمر بنى قريظة : قال فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواثبت الأوس ، فقالوا : يارسول الله ، إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت فى موالى إخواننا بالأمس ما قد علمت — وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بنى قريظة قد حاصر بنى قينقاع ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عبد الله بن أبى ابن سلول ، فوهبهم له — فلما كلمته الأوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترضون يامعشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فذاك إلى سعد بن معاذ . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ فى خيمة لامرأة من أسلم ، يقال لها رفيدة(٢) ، فى مسجده ، كانت تداوى الجرحى ، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق : اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب . فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى قريظة ، أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة من أدم ، وكان رجلا جسيما جميلا ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن فى مواليك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم ؛ فلما أكثروا عليه قال : لقد أنَى لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم . فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بنى عبد الأشهل ، فنعى لهم رجال بنى قريظة ، قبل أن يصل إليهم سعد ، عن كلمته التى سمع منه . فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى سيدكم — فأما المهاجرون من قريش ، فيقولون : إنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ؛ وأما الأنصار ، فيقولون : قد عم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم — فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك

---

(١) الرمة : الحبل البالى .

(٢) وقيل إنها أنصارية من أسلم .

أمر مواليك لتحكم فيهم ؛ فقال سعد بن معاذ : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، أن الحكم فيهم لما حكمت؟ قالوا : نعم : وعلى من هاهنا ؟ فى الناحية التى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مُعرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ؛ قال سعد : فإنى أحكم فيهم أن تقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبى الذرارى والنساء .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن علقمة بن وقاص الليثى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة[١] .

قال ابن هشام : حدثنى بعض من أثق به من أهل العلم : أن على بن أبى طالب صاح وهم محاصرو بنى قريظة : يا كتيبة الإيمان ، وتقدم هو والزبير بن العوام ، وقال : والله لأذوقن ماذاق حمزة أو لأفتحن حصنهم ؛ فقالوا : يا محمد ، ننزل على حكم سعد بن معاذ .

قال ابن إسحاق : ثم استنزلوا ، فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فى دار بنت الحارث[٢] ، امرأة من بنى النجار ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة ، التى هى سوقها اليوم ، فخندق بها خنادق ، ثم بعث إليهم ، فضرب أعناقهم فى تلك الخنادق ، يخرج بهم إليه أرسالا[٣] ، وفيهم عدو الله حيى بن أخطب ، وكعب بن أسد ، رأس القوم ، وهم ستمائة أو سبعمائة ، والمكثر لهم يقول : كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة . وقد قالوا لكعب ابن أسد ، وهم يذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا : يا كعب ، ماتراه يصنع بنا ؟ قال : أفى كل موطن لاتعقلون ؟ ألا ترون الداعى لا ينزع ، وأنه من ذهب به منكم لايرجع ؟ هو والله القتل ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأتى بحيى بن أخطب عدو الله ، وعليه حلة له فقاحية[٤] — قال ابن هشام : فقاحية :

---

(١) الأرقعة : السموات .

(٢) واسمها : كيسة بنت الحارث بن كريز بن حبيب بن عبد شمس ، وكانت تحت مسيلمة الكذاب ، ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز .

(٣) أرسالا : طائفة وراء أخرى .

(٤) فقاحية : تضرب إلى لون الحمرة .

ضرب من الوشي — قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة لئلا يُسلبها ، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل . فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ، ولكنه من يَخذل الله يُخذل ، ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل ، ثم جلس فضربت عنقه .

فقال جبل بن جوال الثعلبي :

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ... ولكنه من يخذل الله يخذل
لجاهد حتى أبلغ النفس عذرها ... وقلقل يبغي العز كل مقلقل[1]

قال ابن إسحاق : وقد حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة . قالت : والله إنها لعندي تحدث معي ، وتضحك ظهراً وبطنا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها في السوق ، إذ هتف هاتف باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت : قلت لها : ويلك ؛ مالك ؟ قالت : أقتل ؛ قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته ؛ قالت : فانطلق بها ، فضرب عنقها . فكانت عائشة تقول فوالله ما أنسى عجبا منها ، طيبَ نفسها ، وكثرة ضحكها ، وقد عرفتْ أنها تقتل .

قال ابن هشام : وهي التي طرحت الرحا على خلاد بن سويد ، فقتلته .

قصة الزبير بن باطا : قال ابن إسحاق : وقد كان ثابت بن قيس بن الشماس ، كما ذكر لي ابن شهاب الزهري ، أتى الزَّبير[2] بن باطا القرظي ، وكان يكنى أبا عبد الرحمن — وكان الزبير قد منّ على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية ذكر لي بعض ولد الزبير أنه كان منّ عليه يوم بعاث ، أخذه فجز ناصيته ، ثم خلى سبيله — فجاءه ثابت وهو شيخ كبير ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، هل تعرفني ؟ قال : وهل يجهل مثلي مثلك ؛ قال : إني قد أردت أن أجزيك بيدك عندي ؛قال : إن الكريم يجزي الكريم : ثم أتى ثابتُ بن قيس رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) قلقل : تحرك .

(٢) هو الزبير بفتح الزاي وكسر الباء جد الزبير بن عبد الرحمن المذكور في الموطأ في كتاب النكاح ، واختلف في الزبير بن عبد الرحمن ، فقيل : الزبير بفتح الزاي وكسر الباء كاسم جده وقيل الزُّبير ، وهو قول البخاري في التاريخ .

فقال : يارسول الله إنه قد كانت للزبير على منة ، وقد أحببت أن أجزيه بها ، فهب لى دمه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو لك ؛ فأتاه فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لى دمك ، فهو لك ؛ قال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟ قال : فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، هب لى امرأته وولده ؛ قال : هم لك . قال : فأتاه فقال : قد وهب لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلك وولدك ، فهم لك . قال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، ماله ؛ قال : هو لك . فأتاه ثابت فقال : قد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك ، فهو لك ؛ قال : أى ثابت ، مافعل الذى كأن وجهه مرآة صينية يتراءى فيها عذارى الحى ، كعب بن أسد ؟ قال : قُتل ؛ قال : فما فعل سيد الحاضر والبادى حيى بن أخطب ؟ قال : قتل ؛ قال ؛ فما فعل مقدمتنا إذا شددنا ، وحاميتنا إذا فررنا ، عزّال بن سموأل ؟ قال : قُتل ؛ قال : فما فعل المجلسان ؟ يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة ؛ قال : ذهبوا قُتلوا ؟ قال : فإنى أسألك يا ثابت بيدى عندك إلا ألحقتنى بالقوم ، فو الله مافى العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله فتلة دلو ناضح [1] حتى ألقى الأحبة . فقدمه ثابت ، فضرب عنقه .

فلما بلغ أبابكر الصديق قوله « ألقى الأحبة » . قال : يلقاهم والله فى نار جهنم خالدا فيها مخلداً .

قال ابن هشام : قبلة دلو ناضح . قال زهير بن أبى سلمى فى « قبلة » :

وقابل يتغنى كلما قدرت على العراقى يداه قائما دفقا

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن هشام : ويروى : وقابل يتلقى ، يعنى قابل الدلو يتناول .

عطية القرظى ورفاعة بن سموأل : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل كل من أنبت منهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى شعبة بن الحجاج ، عن عبد الملك بن عمير ، عن عطية القرظى ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يقتل من بنى قريظة كل من أنبت منهم ، وكنت غلاما ، فوجدونى لم أنبت ، فخلوا سبيلى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى صعصعة أخو بنى عدى ابن النجار : أن سلمى بنت قيس ، أم المنذر ، أخت سليط ابن أخت سليط بن قيس — وكانت

---

(١) الناضح : الجمل . والمعنى مقدرا ما يأخذ الرجل الدلو ليصبها فى الحوض .

إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد صلت معه القبلتين ، وبايعته بيعة النساء — سألته رفاعة بن سموأل القرظى ، وكان رجلا قد بلغ ، فلاذ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك ، فقالت يا نبي الله ، بأبى أنت وأمى ، هب لى رفاعة ، فإنه قد زعم أنه سيصلى ويأكل لحم الجمل ؛ قال : فوهبه لها ، فاستحيته .

تقسيم الفىء : قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين ، وأعلم فى ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال ، وأخرج منها الخمس ، فكان للفارس ثلاثة أسهم ، للفرس سهمان ولفارسه سهم ، وللراجل من ليس له فرس ، سهم . وكانت الخيل يوم بنى قريظة ستة وثلاثين فرسا ، وكان أول فىء وقعت فيه السهمان ، وأخرج منها الخمس ، فعلى سنتها وما مضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وقعت المقاسم ، ومضت السنة فى المغازى .

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الأنصارى أخا بنى عبد الأشهل بسبايا من سبايا بنى قريظة إلى نجد ، فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا .

إسلام ريحانة : قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خُنافة ، إحدى نساء بنى عمرو بن قريظة ، فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفى عنها وهى فى ملكه ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض عليها أن يتزوجها ، ويضرب عليها الحجاب ؛ فقالت : يارسول الله ، بل تتركنى فى ملكك ، فهو أخف على وعليك ، فتركها . وقد كانت حين سباها قد تعصت بالإسلام ، وأبت إلا اليهودية ، فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووجد فى نفسه لذلك من أمرها . فبينا هو مع أصحابه ، إذ سمع وقع نعلين خلفه ؛ فقال : إن هذا لثعلبة بن سعية يبشرنى بإسلام ريحانة ؛ فجاءه فقال يارسول الله ، قد أسلمت ريحانة ، فسره ذلك من أمرها .

ما نزل من القرآن فى الخندق وبنى قريظة : قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى فى أمر الخندق ، وأمر بنى قريظة من القرآن ، القصة فى الأحزاب ، يذكر فيها ما نزل من البلاء ، ونعمته عليهم ، وكفايته إياهم حين فرج ذلك عنهم ، بعد مقالة من قال من أهل النفاق : « ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنوداً لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيراً » . والجنود قريش وغطفان وبنو قريظة ، وكانت الجنود التى أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة . يقول الله تعالى : « إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا » . فالذين جاءوهم من فوقهم

بنو قريظة ، والذين جاءوهم من أسفل منهم قريش وغطفان . يقول الله تبارك وتعالى : « هنا لك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً ، وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً » لقول معتب بن قشير إذ يقول ما قال . « وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مُقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبى يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة إن يريدون إلا فراراً » لقول أوس بن قيظى ومن كان على رأيه من قومه « ولو دُخلت عليهم من أقطارها » : أى المدينة .

قال ابن هشام : الأقطار : الجوانب ؛ وواحدها : قطر ، وهى الأقتار ، وواحدها : قتر. قال الفرزدق :

كم من غنًى فتح الإله لهم به　　　والخيل مقعية على الأقطار[1]

ويروى : « على الأقتار » . وهذا البيت فى قصيدة له .

« ثم سئلوا الفتنة » : أى الرجوع إلى الشرك « لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيراً . ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار ، وكان عهد الله مسئولا » ، فهم بنو حارثة ، وهم الذين هموا أن يفشلوا يوم أحد مع بنى سلمة حين همتا بالفشل يوم أحد ، ثم عاهدوا الله أن لايعودوا لمثلها أبدا ، فذكر لهم الذى أعطوا من أنفسهم ، ثم قال تعالى : « قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل ، وإذاً لا تمتعون إلا قليلا . قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن راد بكم سوءاً ، أو أراد بكم رحمة ، ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً . قد يعلم الله المعوقين منكم » : أى أهل النفاق « والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ، ولا يأتون البأس إلا قليلا » : أى إلا دفعا وتعذيراً[2] « أشحة عليكم » : أى للضغن الذى فى أنفسهم « فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك ، تدور أعينهم كالذى يُغشى عليه من الموت » : أى إعظاما له وفرقا منه « فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد » : أى فى القول بما لاتحبون ، لأنهم لايرجون آخرة ، ولاتحملهم حسبة[3] ، فهم يهابون الموت هيبة من لايرجو مابعده .

قال ابن هشام : سلقوكم : بالغوا فيكم بالكلام ، فأحرقوكم وآذوكم . تقول العرب : خطيب

---

(١) مقعية : أى ساقطة على أجنابها تريد القيام .

(٢) التعذير : أن يفعل الشىء بغير نية وغرضه أن يُعذر أمام الناس .

(٣) الحسبة : طلب الأجر .

سلاّق، وخطيب مسلق ومسلاق . قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

فيهم المجد والسماحة والنجـدة فيهم والخاطب السلاق

وهذا البيت فى قصيدة له .

« يحسبون الأحزاب لم يذهبوا » قريش وغطفان « وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ماقاتلوا إلا قليلا » .

ثم أقبل على المؤمنين فقال : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » : أى لئلا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، ولا عن مكان هو به .

ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يختبرهم به ، فقال : « ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، ومازادهم إلا إيمانا وتسليما » : أى صبرا على البلاء وتسليما للقضاء ، وتصديقا للحق ، لما كان الله تعالى وعدهم ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه » : أى فرغ من عمله ، ورجع إلى ربه ، كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد .

قال ابن هشام : قضى نحبه : مات ، والنحب : النفس ، فيما أخبرنى أبو عبيدة وجمعه : نحوب . قال ذو الرمة :

عشية فر الحارثيون بعدما قضى نحبه فى ملتقى الخيل هوْبر

وهذا البيت فى قصيدة له . وهوبر : من بنى الحارث بن كعب ، أراد : يزيد بن هوبر . والنحب أيضا : النذر . قال جرير بن الخطفى :

بطخفة جالدنا الملوك وخيلنا عشية بسطام جرين على نحب

يقول : على نذر كانت نذرت أن تقتله فقتلته ، وهذا البيت فى قصيدة له . وبسطام : بسطام ابن قيس بن مسعود الشيبانى ، وهو ابن ذى الجدين . حدثنى أبو عبيدة : أنه كان فارس ربيعة ابن نزار : وطخفة : موضع بطريق البصرة .

والنحب : الخطار ، وهو : الرهان . قال الفرزدق :

وإذ نحبت كلب على الناس أيّنا على النحب أعطى للجزيل وأفضل

والنحب : البكاء . ومنه قولهم ينتحب . والنحب : الحاجة والهمة ؛ تقول : مالى عندهم نحب . قال مالك بن نويرة اليربوعى :

ومالى نحب عندهم غير أنتى تلست ماتبغى من الشُّدُن الشجر(١)

وقال نهار بن توسعة ، أحد بنى تيم اللات بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر ابن وائل .

قال ابن هشام : هؤلاء موالى بنى حنيفة :

ونجى يوسف الثقفى ركض دراك بعد ما وقع اللواء(٢)
ولو أدركنه لقضين نحبا به ولكل مخطأة وقاء

والنحب. أيضا : السير الخفيف المرّ .

قال ابن إسحاق : « ومنهم من ينتظر » : أى ما وعد الله به من نصره ، والشهادة على مامضى عليه أصحابه . يقول الله تعالى : « وما بدلوا تبديلا » : أى ماشكّوا وماترددوا فى دينهم ، وما استبدلوا به غيره . « ليجزى الله الصادقين بصدقهم ، ويعذب المنافقين إن شاء ، أو يتوب عليهم ، إن الله كان غفوراً رحيما . ورد الله الذين كفروا بغيظهم » : أى قريشا وغطفان « لم ينالوا خيراً ، وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزاً . وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب » : أى بنى قريظة « من صياصيهم » ، والصياصى : الحصون والآطام التى كانوا فيها .

قال ابن هشام : قال سحيم عبد بنى الحسحاس ؛ وبنو الحسحاس من بنى أسد بن خزيمة :

وأصبحت الثيران صرعى وأصبحت نساء تميم يبتدرن الصياصيا

وهذا البيت فى قصيدة له . والصياصى : القرون . قال النابغة الجعدى :

وسادة رهطى حتى بقيـــ ت فرداً كصيصية الأعضب(٣)

يقول : أصاب الموت سادة رهطى . وهذا البيت فى قصيدة له . وقال أبو دواد الإيادى .

فذعرنا سحم الصياصى بأيديـــ ـهن نضح من الكحيل وقار(٤)

وهذا البيت فى قصيدة له . والصياصى أيضا : الشوك الذى للنساجين ، فيما أخبرنى أبو عبيدة . وأنشدنى لدريد بن الصمة الجشمى ، جُشم بن معاوية بن بكر بن هوازن :

---

(١) الشدن : الإبل الشدنية منسوبة إلى شدن بلدة باليمن . الشجر : التى فى أعينها حمرة .
(٢) دراك : متتابع . (٣) الأعضب : مكسور القرن .
(٤) السحم : السود . الصياصى : القرون . الكحيل القطران . القار : الزفت .

نظرت إليه والرماح تنوشه كرقع الصياصى فى النسيج الممدد

وهذا البيت فى قصيدة له. والصياصى أيضا: التى تكون فى أرجل الديكة ناتئة كأنها القرون الصغار، والصياصى أيضا: الأصول. أخبرنى أبو عبيدة أن العرب تقول: جذ الله صيصيته: أى أصله.

قال ابن إسحاق: «وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا»: أى قتل الرجال، وسبى الذرارى والنساء. «وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطئوها»: يعنى خيبر «وكان الله على كل شىء قديراً».

إكرام سعد فى موته: قال ابن إسحاق: فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه، فمات منه شهيداً.

قال ابن إسحاق: حدثنى معاذ بن رفاعة الزرقى، قال: حدثنى من شئت من رجال قومى: أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجراً بعمامة من إستبرق، فقال: يا محمد، من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء، واهتز له العرش[1]؟ قال: فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجر ثوبه إلى سعد، فوجده قد مات.

---

(١) حديث اهتزاز العرش ثابت من وجوه وفى بعض ألفاظه أن جبريل عليه السلام نزل حين مات سعد معتجراً بعمامة من إستبرق، فقال يا محمد من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السماء واهتز له العرش؟ وفى حديث آخر قال عليه السلام: لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ما وطئوا الأرض قبلها، ويذكر أن قبره وجد منه رائحة المسك، وقال عليه السلام: لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا منها سعد.

وقد تكلم الناس فى معناه، وظنوا أنه مشكل، وقال بعضهم: الاهتزاز ها هنا بمعنى الاستبشار بقدوم روحه، وقال بعضهم: يريد حملة العرش ومن عنده من الملائكة، استبعاداً منهم لأن يهتز العرش على الحقيقة، ولا بعد فيه، لأنه مخلوق وتجوز عليه الحركة، والهزة ولا يعدل عن ظاهر اللفظ، ما وجد إليه سبيل، وحديث اهتزاز العرش لموت سعد صحيح، قال أبو عمر: هو ثابت من طرق متواترة، وما روى من قول البراء بن عازب فى معناه: =

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت : أقبلت عائشة قافلة من مكة ، ومعها أسيد بن حضير ، فلقيه موت امرأة له ، فحزن عليها بعض الحزن ، فقالت له عائشة : يغفر الله لك يا أبا يحيى ، أتحزن على امرأة وقد أصبت بابن عمك ، وقد اهتز له العرش .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن الحسن البصرى ، قال : كان سعد رجلا بادنا ، فلما حمله الناس وجدوا له خفة ، فقال رجال من المنافقين : والله إن كان لبادنا ، وما حملنا من جنازة أخف منه ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن له حملة غيركم ، والذى نفسى بيده ، لقد استبشرت الملائكة بروح سعد ، واهتز له العرش .

قال ابن إسحاق : وحدثنى معاذ بن رفاعة ، عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح ، عن جابر بن عبد الله ، قال : لما دفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسبح الناس معه ، ثم كبر فكبر الناس معه ؛ فقالوا : يارسول الله ، مم سبحت ؟ قال : لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره ، حتى فرجه الله عنه .

قال ابن هشام : ومجاز هذا الحديث قول عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للقبر لضمة لو كان أحد منها ناجيا لكان سعد بن معاذ .

قال ابن إسحاق : ولسعد يقول رجل من الأنصار :

وما اهتز عرش الله من موت هالك ... سمعنا به إلا لسعد أبى عمرو

وقالت أم سعد ، حين احتمل نعشه وهى تبكيه — قال ابن هشام — وهى كُبيشة بنت

= أنه سرير سعد اهتز لم يلتفت إليه العلماء ، وقالوا كانت بين هذين الحيين من الأنصار ضغائن وفى لفظ الحديث : اهتز عرش الرحمن ، رواه أبو الزبير عن جابر يرفعه ، ورواه البخارى من طريق الأعمش عن أبى صالح وأبى سفيان كلاهما عن جابر ، ورواه من الصحابة جماعة غير جابر ، منهم أبو سعيد الخدرى ، وأسيد بن حضير ؛ ورميثة بنت عمرو ، ذكر ذلك الترمذى . والعجب لما روى عن مالك رحمه الله من إنكاره للحديث ، وكراهيته للتحدث به مع صحة نقله ، وكثرة الرواة له ، ولعل هذه الرواية لم تصح عن مالك . انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج ٣ ص ٢٨٣ وما بعدها .

رافع بن معاوية بن عبيد بن ثعلبة بن عبد بن الأبجر ، وهو خدرة بن عوف بن الحارث ابن الخزرج :

ويل أم سعد سعداً صرامة وحداً
وسُودداً ومجداً وفارساً مُعداً
سُد به مسداً يقد هاماً قداً

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل نائحة تكذب ، إلا نائحة سعد بن معاذ .

الشهداء يوم الخندق : قال ابن إسحاق : ولم يستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر .

من بني عبد الأشهل : سعد بن معاذ ، وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو ، وعبد الله ابن سهل . ثلاثة نفر .

ومن بني جشم بن الخزرج ، ثم من بني سلمة : الطفيل بن النعمان ، وثعلبة بن غنيمة . رجلان

ومن بني النجار ، ثم من بني دينار : كعب بن زيد ، أصابه سهم غرب ، فقتله .

قال ابن هشام : سهم غربٍ وسهمٌ غربٌ ، بإضافة وغير إضافة ، وهو الذي لا يعرف من أين جاء ولا من أين من رمى به

قتلى المشركين : وقتل من المشركين ثلاثة نفر .

من بني عبد الدار بن قصي : منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار ، أصابه سهم ، فمات منه بمكة .

قال ابن هشام : هو عثمان بن أمية بن منبه بن عبيد بن السباق .

قال ابن إسحاق : ومن بني مخزوم بن يقظة : نوفل بن عبد الله بن المغيرة ، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعهم جسده ، وكان اقتحم الخندق، فتورط فيه ، فقتل ، فغلب المسلمون على جسده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا حاجة لنا في جسده ولا بثمنه ، فخلى بينهم وبينه .

قال ابن هشام : أعطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بجسده عشرة آلاف درهم ، فيما بلغني عن الزهري .

قال ابن إسحاق : ومن بني عامر بن لؤي ، ثم من بني مالك بن حسل : عمرو بن عبد ود ، قتله علي بن أبي طالب رضوان الله عليه .

قال ابن هشام : وحدثنى الثقة أنه حدث عن ابن شهاب الزهرى أنه قال : قتل على بن أبى طالب يومئذ عمرو بن عبد ود وابنه حسل بن عمرو .

قال ابن هشام : ويقال عمرو بن عبد ود ، ويقال : عمرو بن عبد .

الشهداء يوم بنى قريظة قال بن إسحاق : واستشهد يوم بنى قريظة من المسلمين ، ثم من بنى الحارث بن الخزرج : خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو ، طرحت عليه رحى ، فشدخته شدخا شديدا ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن له لأجر شهيدين .

ومات أبو سنان بن محصن بن حرثان ، أخو بنى أسد بن خزيمة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر بنى قريظة ، فدفن فى مقبرة بنى قريظة التى يدفنون فيها اليوم ، وإليه دفنوا أمواتهم فى الإسلام .

ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى : لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزونهم . فلم تغزهم قريش بعد ذلك ، وكان هو الذى يغزوها ، حتى فتح الله عليه مكة .

ماقيل من الشعر فى أمر الخندق وبنى قريظة

قال ضرار بن الخطاب بن مرداس ، أخو بنى محارب بن فهر ، فى يوم الخندق :

ومشفقة تظن بنا الظنونا ... وقد قدنا عرندسة طحونا (١)
كأن زهاءها أحد إذا ما ... بدت أركانه للناظرينا
ترى الأبدان فيها مسبغات ... على الأبطال واليلب الحصينا (٢)
وجرداً كالقداح مسومات ... نؤم بها الغواة الخاطئينا
كأنهم إذا صالوا وصلنا ... بباب الخندقين مصافحونا
أناس لانرى فيهم رشيدا ... وقد قالوا ألسنا راشدينا
فأحجرناهم شهراً كريتا ... وكنا فوقهم كالقاهرينا (٣)

---

(١) العرندسة : الشديدة ، صفة لموصوف محذوف أى كتيبة .
(٢) الأبدان : الدروع . اليلب : الدرق . (٣) كريتا : كاملا .

نراوحهم ونغدو كل يوم ... عليهم فى السلاح مدججينا
بأيدينا صوارم مرهفات ... نقد بها المفارق والشئونا [١]
كأن وميضهن معريات ... إذا لاحت بأيدى مصلتينا [٢]
وميض عقيقة لمعت بليل ... ترى فيها العقائق مستبينا [٣]
فلولا خندق كانوا لديه ... لدمرنا عليهـم أجمعينا
ولكن حال دونهم وكانوا ... به من خوفنا متعوذينا
فإن نرحـل فإنا قد تركنا ... لدى أبياتكم سعدا رهينا
إذا جن الظلام سمعت نوحى ... على سعد يرجّعن الحنينا
وسوف نزوركم عما قريب ... كما زرناكم متوازرينا
بجمع من كنانة غير عزل ... كأسد الغاب قد حمت العرينا

فأجابه كعب بن مالك، أخو بنى سلمة، فقال:

وسائلة تسائل ما لقينا ... ولو شهدت رأتنا صابرينا
صبرنا لا نرى لله عدلا ... على ما نابنا متوكلينا
وكان لنا النبى وزير صدق ... به نعلو البرية أجمعينا
نقاتل معشراً ظلموا وعقوا ... وكانوا بالعداوة مرصدينا
نعاجلهم إذا نهضوا إلينا ... بضرب يعجل المتسرعينا
ترانا فى فضافض سابغات ... كغدران الملا متسربلينا
وفى أيماننا بيض خفاف ... بها نشفى مراح الشاغبينا
بباب الخندقين كأن أسداً ... شوابكهن يحمين العرينا
فوارسنا إذا بكروا وراحوا ... على الأعداء شوسا معلمينا [٤]
لننصر أحمداً والله حتى ... نكون عباد صدق مخلصينا
ويعلم أهل مكة حين ساروا ... وأحزاب أتوا متحزبينا:

---

(١) الشئون: جمع عظام الرأس. (٢) المصلت: الذى جرد سيفه من غمده.
(٣) العقيقة: السحابة التى ينشق عنها البرق.
(٤) الشوش: من ينظرون بمؤخر عيونهم كبرا.

بأن الله ليس له شريك وأن الله مولى المؤمنينا
فإما تقتلوا سعدا سفاها فإن الله خير القادرينا
سيدخله جنانا طيبات تكون مقامة للصالحينا
كما قد ردكم فلا شريداً بغيظكم خزايا خائبينا[1]
خزايا لم تنالوا ثم خيراً وكدتم أن تكونوا دامرينا
بريح عاصف هبت عليكم فكنتم تحتها متكمهينا[2]

وقال عبد الله بن الزبعرى السهمى، يوم الخندق:

حى الديار محا معارف رسمها طول البلى وتراوح الأحقاب
فكأنما كتب اليهود رسومها إلا الكنيف ومعقد الأطناب[3]
قفراً كأنك لم تكن تلهو بها فى نعمة بأوانس أتراب[4]
فاترك تذكر مامضى من عيشة ومحلة خلق المقام يباب
واذكر بلاء معاشر واشكرهم ساروا بأجمعهم من الأنصاب
أنصاب مكة عامدين ليثرب فى ذى غياطل جحفل جبجاب[5]
يدع الحزون مناهجا معلومة فى كل نشز ظاهر وشعاب[6]
فيها الجياد شوازب مجنوبة قب البطون لواحق الأقراب[7]
من كل سلهبة وأجرد سلهب كالسيد بادر غفلة الرقاب[8]

(١) الفل: المنهزمون.
(٢) المتكمه فى الأصل من ولد أعمى. والمراد أنهم لا يبصرون.
(٣) الكنيف: حظيرة الماشية: معقد: وتد. والأطناب: الحبال التى تشد بها الخيام.
(٤) الأتراب: المتساويات فى السن.
(٥) الغياطل: الأصوات. ويقصد «بذى غياطل» جيشا كثير الأصوات. جبجاب: كثير
(٦) الحزون: ما ارتفع من الأرض. المناهج: الطرق الواضحة. النشر: ما ارتفع من الأرض. والشعاب: جمع شعب: المنخفض بين جبلين.
(٧) الشوازب: الضامرة. القب: الضامرة. لواحق الأقراب: ضامرة الخواصر.
(٨) السلهبة: الطويلة. السيد: الذئب.

جيش عيينة قاصد بلوائه ... فيه وصخر قائد الأحزاب
قرمان كالبدرين أصبح فيهما ... غيث الفقير ومعقل المراب[1]
حتى إذا وردوا المدينة وارتدوا ... للموت كل مجرب قضاب
شهراً وعشراً قاهرين محمداً ... وصحابه فى الحرب خير صحاب
نادوا برحلتهم صبيحة قلتم ... كدنا نكون بها مع الخياب
لولا الخنادق غادروا من جمعهم ... قتلى لطير سغب وذئاب

فأجابه حسان بن ثابت الأنصارى ، فقال :

هل رسم دارسة المقام يباب ... متكلم لمحاور بجواب[2]
قفر عفا رهم السحاب رسومه ... وهبوب كل مطلة مرباب[3]
ولقد رأيت بها الحلول يزينهم ... بيض الوجوه ثواقب الأحساب[4]
فدع الديار وذكر كل خريدة ... بيضاء آنسة الحديث كعاب
واشك الهموم إلى الإله وما ترى ... من معشر ظلموا الرسول غضاب
ساروا بأجمعهم إليه وألبوا ... أهل القرى وبوادىَ الأعراب
جيش عيينة وابن حرب فيهم ... متخمطون بحلبة الأحزاب[5]
حتى إذا وردوا المدينة وارتجوا ... قتلى الرسول ومغنم الأسلاب
وعدوا علينا قادرين بأيدهم ... رُدوا بغيظهم على الأعقاب
بهبوب معصفة تفرق جمعهم ... وجنود ربك سيد الأرباب
فكفى الإله المؤمنين قتالهم ... وأثابهم فى الأجر خير ثواب
من بعد ما قنطوا ففرق جمعهم ... تنزيل نصر مليكنا الوهاب
وأقر عين محمد وصحابه ... وأذل كل مكذب مرتاب
عاتى الفؤاد موقع ذى ريبة ... فى الكفر ليس بطاهر الأثواب
علق الشقاء بقلبه ففؤاده ... فى الكفر آخر هذه الأحقاب

---

(١) قرمان : مثنى قرم وهو السيد .
(٢) اليباب : القفر . المحاور : من يجادلك فى الكلام .
(٣) الرهم : المطر . مرباب : ثابتة . (٤) الحلول : البيوت المجتمعة . ثواقب : مزهرة
(٥) متخمطون : مختلطون . الحلبة : الخيل المعدة للسباق .

وأجابه كعب بن مالك أيضاً ، فقال :

أبقى لنا حدث الحروب بقية ... من خير نِحلة ربنا الوهاب
بيضاء مشرقة الذرى ومعاطنا ... حم الجذوع غزيرة الأحلاب [١]
كاللوب يبذل جمها وحفيلها ... للجار وابن العم والمنتاب [٢]
ونزائعاً مثل السراح نمى ... علف الشعير وجزة المقضاب [٣]
عري الشوى منها وأردف نحضها ... جرد المتون وسائر الآراب [٤]
قوداً تراح إلى الصياح إذ غدت ... فعل الضراء تراح للكلاب [٥]
وتحوط سائمة الديار وتارة ... تردى العدا وتئوب بالأسلاب
حوش الوحوش مطارة عند الوغى ... عبس اللقاء مبينة الإنجاب [٦]
علفت على دعة فصارت بدنا ... دخس البضيع خفيفة الأقصاب [٧]
يغدون بالزغف المضاعف شكة ... وبمترصات فى الثقاف صياب [٨]
صوارم نزع الصياقل غلبها ... وبكل أروع ماجد الأنساب [٩]
يصل اليمين بمارن متقارب ... وكلت وقيعته إلى خباب (١٠)
وأغر أزرق فى القناة كأنه ... فى طخية الظلماء ضوء شهاب (١١)

---

(١) الذرى : الأعالى . المعاطن : مبارك الإبل حول الماء . الجذوع : الأعناق ، والأحلاب : ما يحلب منها . (٢) اللوب : الأراضى ذات الحجارة السود . جمها : ما اجتمع من لبنها المنتاب : القاصد . (٣) النزائع : الخيل العربية المنزوعة من أرضها إلى أرض أخرى . السراح : الذئاب . جزة المقضاب : ما يقتطع لها من النبات .

(٤) الشوى : القوائم . النحض : اللحم . جرد : ملس . المتون : الظهور . والآراب : الأعضاء . (٥) قود : طوال . تراح : تنشط . الضراء : الكلاب المعلمة . الكلاب : الصائد بالكلاب . (٦) الحوش : النافرة . عبس : شديدة . الإنجاب : الكرم .

(٧) دخس : كثيرة اللحم . الأقصاب : الأمعاء .

(٨) الزغف : مالان من الدروع . المترصات : القويات . صياب : صائبة .

(٩) غلبها : صدأها . الماجد : الشريف .

(١٠) المارن : الرمح اللين ، وقيعته : صنعته . خباب : عبد صانع للسيوف .

(١١) الأغر الأزرق : السنان الجيد . الطخية : الشدة .

وكتيبة ينفى القران قتيرها ... وترد حد قواحز النشاب(١)

جأوى ململمة كأن رماحها ... فى كل مجمعة ضريمة غاب(٢)

يأوى إلى ظل اللواء كأنه ... فى صعدة الخطى فىء عقاب(٣)

أعيت أبا كرب وأعيت تبعا ... وأبت بسالتها على الأعراب

ومواعظ من ربنا نهدى بها ... بلسان أزهر طيب الأثواب

عرضت علينا فاشتهينا ذكرها ... من بعد ما عرضت على الأحزاب

حكما يراها المجرمون بزعمهم ... حرجا ويفهمها ذوو الألباب

جاءت سخينة كى تغالب ربها ... فليغلبن مغالب الغلاب(٤)

قال ابن هشام : حدثنى من أثق به ، قال : حدثنى عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، قال كعب بن مالك :

جاءت سخينة كى تغالب ربها ... فليُغلبن مغالب الغلاب

---

(١) القران : تقارن النبل : القتير : مسامير حلق الدرع . ويريد به الدروع . قواحز . النشاب : النبال التى أصابت الأخاذ . (٢) الجأوى : التى يخالط سوادها حمرة . ململمة : مجتمعة . الضريمة : الملتهبة . (٣) الصعدة : القناة المستقيمة . الخطى : الرمح . الفىء : الظل . العقاب : طائر جارح قوى المخالب أعقف المنقار حاد البصر يطلق على المذكر والمؤنث .

(٤) كان هذا الاسم مما سميت به قريش قديماً ، ذكروا أن قصيا كان إذا ذبح ذبيحة أو نحيرة بمكة أتى بعجزها فصنع منه خزيرة ، وهو لحم يطبخ ببر نيطعمه الناس ، فسميت قريش بها سخينة . وقيل : إن العرب كانوا إذا أسنتوا أكلوا العلزة ، وهو الوبر والدم ، وتأكل قريش الخزيرة والفتة فنفست عليهم ذلك فلقبوهم : سخينة ، ولم تكن قريش تكره هذا اللقب ، ولو كرهته ما استجاز كعب أن يذكره ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ـ منهم ، ولتركه أدباً مع النبى عليه السلام ، إذا كان قرشياً ، ولقد استنشد عبد الملك بن مروان بما قاله الهوزانى فى قريش :

ياشدة ما شددنا غير كاذبة ... على سخينة لولا الليل والحرم

فقال : مازاد هذا على أن استثنى ، ولم يكره سماع اللقيب بسخينة ، فدل هذا على أن هذا اللقب لم يكن مكروهاً عندهم ولا كان فيه تعيير لهم بشىء . راجع الروض الأنف جـ ٢ ص ٣٠٠

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق :

من سره ضرب يمعمع بعضه ... بعضا كمعمعة الأباء المحرّق (١)

فلتأت مأسدة تسن سيوفها ... بين المذاد وبين جزع الخندق (٢)

دربوا بضرب المعلمين وأسلموا ... مهجات أنفسهم لرب المشرق

فى عصبة نصر الإله نبيه ... بهم وكان بعبده ذا مرفق

فى كل سابغة تخط فضولها ... كالنهى هبت ريحه المترقرق (٣)

بيضاء محكمة كأن قتيرها ... حدق الجنادب ذات شك موثق (٤)

جدلاء يحفزها نجاد مهند ... صافى الحديدة صارم ذى رونق (٥)

تلكم مع التقوى تكون لباسنا ... يوم الهياج وكل ساعة مصدق

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا ... قدما ونلحقها إذا لم تلحق

فترى الجماجم ضاحيا هاماتها ... بله الأكف كأنها لم تخلق (٦)

نلقى العدو بفخمة ململومة ... تنفى الجموع كقصد رأس المشرق (٧)

ونعد للأعداء كل مقلص ... ورد ومحجول القوائم أبلق (٨)

تردى بفرسان كأن كماتهم ... عند الهياج أسود طل ملثق (٩)

صدق يعاطون الكماة حتوفهم ... تحت العماية بالوشيج المزهق (١٠)

---

(١) المعمعة : صوت اتقاد النار . الأباء : الأغصان الملتفة .

(٢) المأسدة : المكان الكثير الأسود ويريد هنا مكان الحرب . المذاد مكان حفر الخندق .

(٣) السابغة : الدروع الكاملة . تخط فضولها : ينجر على الأرض ما زاد منها . النهى : غدير الماء . (٤) القتير : مسامير الدروع . الجنادب : جمع جندب . نوع صغير من الجراد . والشك : إحكام فى الصنع . موثق : قوية .

(٥) الجدلاء : الدرع القوية النسج . يحفزها : يرفعها . النجاد : حمائل السيف . رونق السيف : طلاوته وصفاؤه وبريقه (٦) بله : اسم فعل بمعنى اترك .

(٧) الململومة : المجتمعة . أى كتيبة مجتمعة . (٨) المقلص : الفرس الخفيف . والورد : الأحمر الضارب إلى الصفرة . ومحجول القوائم : فى قوائمه بياض .

(٩) الطل . المطر الضعيف . (١٠) العماية : ظلمة الغبار . الوشيج : الرماح.

أمر الإله بربطها لعدوه ... فى الحرب إن الله خير موفق
لتكون غيظا للعدو وحُيطا ... للدار إن دلفت خيول النُّزَّق
ويعيننا الله العزيز بقوة ... منه وصدق الصبر ساعة نلتقى
ونطيع أمر نبينا ونجيبه ... وإذا دعا لكريهة لم نُسبق
ومتى يناد إلى الشدائد نأتها ... ومتى نر الحومات فيها نعتق(١)
من يتبع قول النبى فإنه ... فينا مطاع الأمر حقّ مصدق
فبذاك ينصرنا ويظهر عزنا ... ويصيبنا من نيل ذاك بمرفق
إن الذين يكذبون محمداً ... كفروا وضلوا عن سبيل المتَّقى

قال ابن هشام أنشدنى بيته :

تلكم مع التقوى تكون لباسنا

وبيته :

من يتبع قول النبى

أبو زيد . وأنشدنى :

تنفى الجموع كرأس قُدس المشرق

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق :

لقد علم الأحزاب حين تألبوا ... علينا وراموا ديننا ما نوادع
أضاميم من قيس بن عيلان أصفقت ... وخندف لم يدروا بما هو واقع(٢)
يذودوننا عن ديننا ونذودهم ... عن الكفر والرحمن راء وسامع
إذا غايظونا فى مقام أعاننا ... على غيظهم نصر من الله واسع
وذلك حفظ الله فينا وفضله ... علينا ومن لم يحفظ اللهُ ضائع
هدانا لدين الحق واختاره لنا ... ولله فوق الصانعين صنائع

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق :

---

(١) نعتق : نسرع . (٢) أضاميم : جماعات . وأصفقت : اجتمعت على أمر .

ألا أبلغ قريشا أن سلعا ... وما بين العُرَيض إلى الصماد (١)

نواضح فى الحروب مدربات ... وخوص ثُقِّبت من عهد عاد (٢)

رواكد يزخر المرّار فيها ... فليست بالجمام ولا الثماد (٣)

كأن الغاب والبردىّ فيها ... أجش إذا تبقع للحصاد (٤)

ولم نجعل تجارتنا اشتراء الـ ... حمير لأرض دوس أو مراد

بلاد لم تثر إلا لكيما ... نجالد إن نشطتم للجلاد

أثرنا سكة الأنباط فيها ... فلم تر مثلها جلهات واد (٥)

قصرنا كل ذى حُضر وطول ... على الغايات مقتدر جواد (٦)

أجيبونا إلى ما نجتديكم ... من القول المُبَيَّن والسداد (٧)

وإلا فاصبروا لجلاد يوم ... لكم منا إلى شطر المذاد (٨)

نصبحكم بكل أخى حروب ... وكل مطهم سلس القياد

وكل طمرّة خفق حشاها ... تدف دفيف صفراء الجراد (٩)

وكل مقلص الآراب نهد ... تميم الخلق من أُخُر وهادى (١٠)

خيول لا تضاع إذ أضيعت ... خيول الناس فى السنة الجماد

ينازعن الأعنة مصغيات ... إذا نادى إلى الفزع المنادى

---

(١) سلع : جبل بالمدينة . والعريض : واد بالمدينة .

(٢) نواضح : حدائق تسقى بالنضح . خوص : آبار ضيقة .

(٣) المرار : نهر . الجمام . الآبار كثيرة الماء . الثماد : الماء القليل .

(٤) الأجش : العالى الصوت . تبقع : صار فيه بقع علامة النضج .

(٥) السكة : النخيل المصطف . جلهات وادى . ما كشفت عنه السيول فأبرزته .

(٦) الحضر : الجرى . وذو الحضر : يريد الخيل . (٧) نجتديكم : نسألكم .

(٨) الشطر : الناحية . والمذاد : حيث حفر الخندق بالمدينة .

(٩) الطمرة : الفرس الوثوب القوية . تدف : تقول دف الطائر : إذا حرك جناحيه . صفراء الجراد : هى التى ألقت بيضها فهى خفيفة فى طيرانها .

(١٠) المقلص : الشديد . الآراب قطع اللحم . النهد : الغليظ . والهادى : العنق . أى : كريم من أوله إلى آخره .

إذا قالت لنا النذر استعدوا | توكلنا على رب العباد
وقلنا لن يُفَرِّج ما لقينا | سوى ضرب القوانس والجهاد(١)
فلم نر عصبة فيمن لقينا | من الأقوام من قار وبادى
أشد بسالة منا إذا ما | أردناه وألين فى الوداد
إذا ما نحن أشرجنا عليها | جياد الجدل فى الأرب الشداد(٢)
قذفنا فى السوابغ كل صقر | كريم غير معتلث الزناد
أشم كأنه أسد عبوس | غداة بدا ببطن الجزع غادى
يغشّى هامة البطل المذكى | صبى السيف مسترخى النجاد(٣)
لنظهر دينك اللهم إنا | بكفك فاهدنا سبل الرشاد

قال ابن هشام بيته :

قصرنا كل ذى حُضر وطول

والبيت الذى يتلوه ، والبيت الثالث منه ، والبيت الرابع منه ، وبيته :

أشم كأنه أسد عبوس

والبيت الذى يتلوه ، عن أبى زيد الأنصارى .

قال ابن إسحاق : وقال مسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جمح ، يبكى عمرو بن عبد ود ، ويذكر قتل على بن أبى طالب إياه :

عمرو بن عبد كان أول فارس | جزع المذاد وكان فارس يليل(٤)
سمح الخلائق ماجد ذو مرة | يبغى القتال بشكة لم ينكل
ولقد علمتم حين ولوا عنكم | أن ابن عبد فيهم لم يعجل
حتى تكنفه الكماة وكلهم | يبغى مقاتله وليس بمؤتلى(٥)

---

(١) القوانس : أعالى بيض الحديد .
(٢) أشرجنا : ربطنا . الجدل : الدروع المحكمة النسج . الأرب : العقد الشديدة .
(٣) المذكى : شديد القوة . صبى السيف : وسطه . النجاد : حمائل السيف .
(٤) جزع : قطع . المذاد : مكان بالمدينة حيث بنى الخندق . يليل : واد فى بدر .
(٥) ليس بمؤتلى : أى ليس بمقصر .

ولقد تكنفت الأسنة فارسا بجنوب سلع غير نكس أميل
تسل النزال على فارسٍ غالب بجنوب سلع ، ليته لم ينزل
فاذهب علىّ فما ظفرت بمثله فخراً ولا لاقيت مثل المعضل
نفسى الفداء لفارس من غالب لاقى حمام الموت لم يتحلحل(١)
أعنى الذى جزع المذاد بمهره طلبا لثأر معاشر لم يخذل

وقال مسافع أيضاً يؤنب فرسان عمرو الذين كانوا معه ، فأجلوا عنه وتركوه :

عمرو بن عبد والجياد يقودها خيل تقاد له وخيل تنعل(٢)
أجلت فوارسه وغادر رهطه ركنا عظيما كان فيها أول
عجبا وإن أعجب فقد أبصرته مهما تسوم علىّ عمراً ينزل(٣)
لاتبعدن فقد أصبت بقتله ولقيت قبل الموت أمراً يثقل
وهُبيرة المسلوب ولى مدبراً عند القتال مخافة أن يقتلوا
وضرار كأن البأس منه محضَراً ولىَّ كما ولى اللئيم الأعزل

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرهـا له . وقوله : « عمراً ينزل » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال هبيرة بن أبى وهب يعتذر من فراره ، ويبكى عمراً ، ويذكر قتل على إياه :

لعمرى ما وليت ظهرى محمداً وأصحابه جبناً ولا خيفة القتل
ولكننى قلبت أمرى فلم أجد لسيفى غناء إن ضربت ولا نبلى
وقفت فلما لم أجد لى مقدما صددت كضرغام هزبر أبى شبل
ثنى عطفه عن قرنه حين لم يجد مكـراً وقدما كان ذلك من فعـلى
فلا تبعدن يا عمر حياً وهالكا وحق لحسن المدح مثلك من مثلى
ولا تبعدن يا عمرو حيا وهالكا فقد بنت محمود الثنا ماجد الأصل(٤)

---

(١) لم يتحلحل : لم يتزحزح .
(٢) تنعل : تلبس نعال الخيل وهى الحديد فى أرجل الخيل لتقوى على المشى :
(٣) تسوم : تطلب . (٤) الثنا : الذكر الجميل .

فمن لطراد الخيــل تقدع بالقنا ... وللفخر يوما عند قرقرة البزل[1]
هناك لو كان ابن عبد لزارها ... وفرجها حقا فتى غير ما وغل[2]
فعنك علىّ لا أرى مثل موقف ... وقفت على نجد المقدم كالفحل[3]
فما ظفرت كفاك فخراً بمثـله ... أمنت به ما عشت من زلة النعل

وقال هبيرة بن أبي وهب يبكي عمرو بن عبد ود ، ويذكر قتل علي إياه :

لقد علمت عليا لؤى بن غالب ... لفارسها عمـــرو إذا ناب نائب
لفارسها عمرو إذا ما يسومه ... علىّ وإن الليث لا بد طـالب
عشيـــة يدعوه على وإنه ... لفارسها إذ خام عنه الكتـائب[4]
فيا لهف نفسى إن عمراً تركته ... بيثرب لا زالت هنـاك المصائب

وقال حسان بن ثابت يفتخر بقتل عمرو بن عبد ود :

بقيتـــكم عمرو أبحناه بالقنا ... بيثرب نحمى والحماة قليل
ونحن قتلناكم بكل مهند ... ونحن ولاة الحرب حين نصول
ونحن قتلناكم ببدر فأصبحت ... معاشركم فى المالكين تجول

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً فى شأن عمرو بن عبد ود :

أمسى الفتى عمرو بن عبد يبتغى ... بجنوب يثرب ثأره لم ينظر
فلقد وجدت سيوفنا مشهورة ... ولقد وجدت جيادنا لم تقصر
ولقد لقيت غداة بدر عصبة ... ضربوك ضربا غير ضرب الحسر
أصبحت لا تدعى ليوم عظيمة ... يا عمرو أو لجسيم أمر منكر

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

ألا أبلغ أبا هدم رسولا ... مغلغلة تخب بها المطى[5]

---

(١) قرقرة البزل : أصوات الإبل الكريمة .
(٢) الوغل : الفاسد . (٣) عنك : اسم فعل أمر بمعنى ابتعد .
(٤) خام : جبن . (٥) المغلغلة . الرسالة الخطية المحمولة من بلد إلى بلد .

أكنت وليكم فى كل كره   وغيرى فى الرخاء هو الولى
ومنكم شاهد ولقد رآنى   رُفعت له كما احتمل الصبى

قال ابن هشام: وتروى هذه الأبيات لربيعة بن أمية الديلى، ويروى فيها آخرها:

كببت الخزرجى على يديه   وكان شفاء نفسى الخزرجى

وتروى أيضاً لأبى أسامة الجشمى.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت فى يوم بنى قريظة يبكى سعد بن معاذ ويذكر حكمه فيهم:

لقد سجمت من دمع عينى عبرة   وحق لعينى أن تفيض على سعد
قتيل ثوى فى معرك فُجعت به   عيون ذوارى الدمع دائمة الوجد[1]
على ملة الرحمن وارث جنة   مع الشهداء وفدها أكرم الوفد
فإن تك قد ودعتنا وتركتنا   وأمسيت فى غبراء مظلمة اللحد
فأنت الذى يا سعد أبت بمشهد   كريم وأثواب المكارم والحمد
بحكمك فى حَيَّى قريظة بالذى   قضى الله فيهم ما قضيت على عمد
فوافق حكم الله حكمك فيهم   ولم تعف إذ ذُكِّرت ما كان من عهد
فإن كان ريب الدهر أمضاك فى الألى   شروا هذه الدنيا بجناتها الخلد
فنعم مصير الصادقين إذا دعوا   إلى الله يوما للوجاهة والقصد

وقال حسان بن ثابت أيضاً، يبكى سعد بن معاذ، ورجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشهداء، ويذكرهم بما كان فيهم من الخير:

ألا يا لقومى هل لما حم دافع   وهل ما مضى من صالح العيش راجع
تذكرت عصراً قد مضى فتهافتت   بنات الحشى وانهل منى المدامع[2]
صبابة وجد ذكرتنى أحبة   وقتلى مضى فيها طفيل ورافع
وسعد فأضحوا فى الجنان وأوحشت   منازلهم فالأرض منهم بلاقع
وفوا يوم بدر للرسول وفوقهم   ظلال المنايا والسيوف اللوامع
دعا فأجابوه بحق وكلهم   مطيع له فى كل أمر وسامع
فما نكلوا حتى تولوا جماعة   ولا يقطع الآجال إلا المصارع

---

(١) ذوارى: ساكبة.

(٢) بنات الحشى: القلب وما اتصل به من أعضاء.

لأنهم يرجون منه شفاعة ... إذا لم يكن إلا النبيون شافع
فذلك يا خير العباد بلاؤنا ... إجابتنا لله والموت ناقع
لنا القدم الأولى إليك وخلفنا ... لأولنا فى ملة الله تابع
ونعلم أن الملك لله وحده ... وأن قضاء الله لابد واقع

وقال حسان بن ثابت أيضا فى يوم بنى قريظة :

لقد لقيت قريظة ما سآها ... وما وجدت لذل من نصير
أصابهم بلاء كان فيه ... سوى ما قد أصاب بنى النضير
غداة أتاهم يهوى إليهم ... رسول الله كالقمر المنير
له خيل مجنبة تعادى ... بفرسان عليها كالصقور
تركناهم وما ظفروا بشىء ... دماؤهم عليهم كالغدير
فهم صرعى تحوم الطير فيهم ... كذاك يدان ذو العند الفجور
فأنذر مثلها نصحا قريشا ... من الرحمن إن قبلت نذيرى

وقال حسان بن ثابت فى بنى قريظة :

لقد لقيت قريظة ما سآها ... وحل بحصنها ذل ذليل
وسعد كان أنذرهم بنصح ... بأن إلهكم رب جليل
فما برحوا بنقض العهد حتى ... فلاهم فى بلادهم الرسول[1]
أحاط بحصنهم منا صفوف ... له من حر وقعتهم صليل

وقال حسان بن ثابت أيضا فى يوم بنى قريظة :

تفاقد معشر نصروا قريشا ... وليس لهم ببلدتهم نصير[2]
هم أوتوا الكتاب فضيعوه ... وهم عمى من التوراة بور[3]
كفرتم بالقران وقد أتيتم ... بتصديق الذى قال النذير
فهان على سراة بنى لؤى ... حريق بالبويرة مستطير[4]

(١) فلاهم : ضربهم بالسيوف . (٢) تفاقد : هلك .
(٣) بور : هلكى . (٤) البويرة : مكان لبنى قريظة .

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فقال :

أدام الله ذلك من صنيع ... وحرّق فى طرائقها السعير
ستعلم أينا منها بنزه ... وتعلم أى أرضينا تضير[١]
فلو كان النخيل بها ركابا ... لقالوا لا مُقام لكم فسيروا

وأجابه جبل بن جوال الثعلبى أيضا ، وبكى النضير وقريظة ، فقال :

ألا يا سعد سعد بنى معاذ ... لما لقيت قريظة والنضير
لعمرك إن سعد بنى معاذ ... غداة تحملوا لهو الصبور
فأما الخزرجى أبو حباب ... فقال لقينقاع لا تسيروا
وبدلت الموالى من حضير ... أسيداً والدوائر قد تدور
وأقفرت البويرة من سلام ... وسعية وابن أخطب فهى بور
وقد كانوا ببلدتهم ثقالا ... كما ثقلت بميطان الصخور[٢]
فإن يهلك أبو حكم سلام ... فلا رث السلاح ولا دثور[٣]
وكل الكاهنين وكان فيهم ... مع اللين الخضارمة الصقور
وجدنا المجد قد ثبتوا عليه ... بمجد لا تغيبه البدور
أقيموا يا سراة الأوس فيها ... كأنكم من المخزاة عور
تركتم قدركم لا شىء فيها ... وقدر القوم حامية تفور

مقتل سلام بن أبى الحقيق

قال ابن إسحاق : ولما انقضى شأن الخندق ، وأمر بنى قريظة ، وكان سلام بن أبى الحقيق ، وهو أبو رافع فيمن حزب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت الأوس قبل أحد قتلت كعب بن الأشرف ، فى عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريضه عليه ، استأذنت الخزرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتل سلام بن أبى الحقيق ، وهو بخيبر ، فأذن لهم .

---

(١) النزه : البعد .

(٢) ميطان : جبل بالمدينة .

(٣) الدثور : المتغير .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، قال : وكان مما صنع الله به لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذين الحيين من الأنصار : الأوس والخزرج ، كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين ، لا تصنع الأوس شيئا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غناء إلا قالت الخزرج : والله لا تذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الإسلام . قال : فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها ، وإذا فعلت الخزرج شيئا قالت الأوس مثل ذلك .

ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف فى عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الخزرج : والله لا تذهبون بها فضلا علينا أبداً ؛ قال : فتذاكروا : من رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى العداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابن أبى الحقيق ، وهو بخيبر ، فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتله ، فأذن لهم .

فخرج إليه من الخزرج من بنى سلمة خمسة نفر : عبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة ، الحارث بن ربعى ، وخزاعى بن أسود ، حليف لهم من أسلم. فخرجوا وأمَّر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عتيك ، ونهاهم عن أن يقتلوا وليداً أو امرأة ، فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر ، أتوا دار ابن أبى الحقيق ليلا ، فلم يدعوا بيتا فى الدار إلا أغلقوه على أهله . قال: وكان فى علِّية له إليها عجلة[1] قال : فأسندوا فيها ،حتى قاموا على بابه ، فاستأذنوا عليه ، فخرجت إليهم امرأته ، فقالت : من أنتم ؟ قالوا . ناس من العرب نلتمس الميرة . قالت : ذاكم صاحبكم ، فادخلوا عليه ، قال : فلما دخلنا عليه ، أغلقنا علينا وعليها الحجرة ، تخوفا أن تكون دونه مجاولة تحول بيننا وبينه ، قالت : فصاحت امرأته ، فنوهت[2] بنا وابتدرناه ، وهو على فراشه بأسيافنا ، فوالله مايدلنا عليه فى سواد الليل إلا بياضه كأنه قبطية[3] ملقاة . قال : ولما صاحت بنا امرأته ، جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ، ثم يذكر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكف يده ، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل . قال : فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله بن أنيس بسيفه فى بطنه حتى أنفذه ، وهو يقول : قطنى قطنى :

---

(١) العجلة : جذع النخلة ينقر فى أماكن منه للصعود عليها .

(٢) نوهت : شهرت . (٣) القبطية : ثياب بيض كانت تصنع فى مصر .

أى حسبى حسبى . قال : وخرجنا ، وكان عبد الله بن عتيك رجلا سيء البصر ، قال : فوقع من الدرجة فوثئت(١) يده وثئا شديدا — ويقال : رجله ، فيما قال ابن هشام — وحملناه حتى نأتى به منهراً من عيونهم ، فندخل فيه . قال : فأوقدوا النيران ، واشتدوا فى كل وجه يطلبوننا قال : حتى إذا يئسوا رجعوا إلى صاحبهم ، فاكتنفوه وهو يقضى بينهم . قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم فانطلق حتى دخل فى الناس . قال : فوجدت امرأته ورجال يهود حوله وفى يدها المصباح تنظر فى وجهه ، وتحدثهم وتقول : أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ، ثم أكذبت نفسى وقلت : أنّى ابن عتيك بهذه البلاد ؟ ثم أقبلت عليه تنظر فى وجهه ثم قالت : فاظ(٢) وإله يهود ، فما سمعت من كلمة كانت ألذ إلى نفسى منها . قال : ثم جاءنا الخبر فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلفنا عنده فى قتله ، كلنا يدعيه . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاتوا أسيافكم ، قال : فجئناه بها ، فنظر إليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام .

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قتل كعب بن الأشرف وقتل سلام ابن أبى الحقيق :

لله در عصابة لاقيتهم	يابن الحقيق وأنت يابن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف إليكم	مرحا كأسد فى عرين مغرف(٣)
حتى أتوكم فى محل بلادكم	فسقوكم حتفا ببيض ذفف(٤)
مستبصرين لنصر دين نبيهم	مستصغرين لكل أمر مجحف

قال ابن هشام : قوله : « ذفف » ، عن غير ابن إسحاق .

---

(١) الوثء : إصابة العظم بلا كسر .

(٢) فاظ : مات .

(٣) مغرف : ملتف الأغصان .

(٤) ذفف : سريعة القتل .

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي ، عن حبيب بن أبي أوس الثقفي ، قال حدثني عمرو بن العاص من فيه ، قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش ، كانوا يرون رأيي ، ويسمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون والله أني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكرا ، وإني قد رأيت أمراً ، فما ترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي ، فإنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير ، قالوا : إن هذا الرأي ، قلت : فاجمعوا لنا ما نهديه له ، وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم [1] ، فجمعنا له أدما كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه . قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية الضمري ، لو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه ، فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد . قال : فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحبا بصديقي ، أهديت إلي من بلادك شيئا ؟ قال : قلت : نعم ، أيها الملك ، قد أهديت إليك أدما كثيراً ، قال : ثم قربته إليه ، فأعجبه واشتهاه ثم قلت له : أيها الملك ، إني قد رأيت رجلا خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطنيه لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا ، قال : فغضب ، ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقا منه ؛ ثم قلت له : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه ، قال : أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله ! قال : قلت : أيها الملك ، أكذلك هو ؟ قال : ويحك يا عمرو أطعني واتبعه ، فإنه والله لعلى الحق ، وليظهرن على من خالفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ، قال : قلت : أفتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده ، فبايعته على الإسلام ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكتمت أصحابي إسلامي .

---

(١) الأدم : الجلد .

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم ، فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قبل الفتح ، وهو مقبل من مكة ، فقلت : أين يا أبا سليمان ؟ قال : والله لقد استقام المنسم ، وإن الرجل لنبي ، أذهبُ والله فأسلم ، فحتى متى ؛ قال : قلت : والله ما جئت إلا لأسلم . قال : فقدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت ، فقلت : يارسول الله ، إنى أبايعك على أن يغفر لى ماتقدم من ذنبى ، ولا أذكر ما تأخر ؛ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعمرو ، بايع ، فإن الإسلام يجب(١) ماكان قبله ، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها ؛ قال ؛ فبايعته ، ثم انصرفت .

قال ابن هشام : ويقال : فإن الإسلام يحت(٢) ما كان قبله ، وإن الهجرة تحت ما كان قبلها .

إسلام عثمان بن طلحة : قال ابن إسحاق ، وحدثنى من لا أتهم : أن عثمان بن طلحة ابن أبى طلحة ، كان معهما ، حين أسلما .

قال ابن إسحاق : فقال ابن الزبعرى السهمى :

أنشد عثمان بن طلحة حلفنا ... ومُلقى نعال القوم عند المقبَّل (٣)
وما عقد الآباء من كل حلفه ... وما خالد من مثلها بمحلــل
أمفتاح بيت غير بيتك تبتغى ... وما يبتغى من مجد بيت مؤثل
فلا تأمنن خالداً بعد هذه ... وعثمان جاء بالدهيم المعضل (٤)

وكان فتح بنى قريظة فى ذى القعدة وصدر ذى الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون .

غزوة بنى لحيان

« بسم الله الرحمن الرحيم »

قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبدالله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفراً وشهرى ربيع ، وخرج فى جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة ، إلى بنى لحيان يطلب بأصحاب الرجيع : خبيب بن عدى وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشام ، ليصيب من القوم غرة .

---

(١) يجب : يقطع .
(٢) يحت : يسقط .
(٣) المقبل : اسم مكان من قبِّل ويريد به الحجر الأسود .
(٤) الدهيم : الداهية .

فخرج من المدينة صلى الله عليه وسلم، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق : فسلك على غراب ، جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام ، ثم على مخيص ، ثم على البتراء ، ثم صفق [١] ذات اليسار ، فخرج على بين ، ثم على صخيرات اليمام ، ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة فأغذ [٢] السير سريعاً ، حتى نزل على غران ، وهى منازل بنى لحيان ، وغران واد بين أمج وعسفان ، إلى بلد يقال له : ساية ، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا فى رءوس الجبال . فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخطأه من غرتهم ما أراد . قال : لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أنا قد جئنا مكة ، فخرج فى مئتى راكب من أصحابه حتى نزل عسفان ، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ، ثم كر وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا .

فكان جابر بن عبدالله يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين وجه راجعا : آيبون تائبون إن شاء الله لربنا حامدون ، أعوذ بالله من وعثاء السفر [٣] وكآبة [٤] المنقلب ، وسوء المنظر فى الأهل والمال :

والحديث فى غزوة بنى لحيان ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، وعبدالله بن أبى بكر ، عن عبدالله ابن كعب بن مالك ؛ فقال كعب بن مالك فى غزوة بنى لحيان :

لو ان بنى لحيان كانوا تناظروا	لقوا عصبا فى دارهم ذات مصدق [٥]
لقوا سَرَعانا يملأ السرب روعه	أمام طحون كالمجرة فيلق [٦]
ولكنهم كانوا وباراً تتبعت	شعاب حجاز غير ذى متنفق [٧]

غزوة ذى قرد

ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ؛ فلم يقم بها إلا ليالى قلائل ، حتى أغار عيينة ابن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى ؛ فى خيل من غطفان على لقاح [٨] لرسول الله صلى الله

(١) صفق : عدل . (٢) أغذ : أسرع . (٣) وعثاء السفر : شدته .

(٤) الكآبة : الحزن . (٥) تناظروا : انتظروا . العصب الجماعات .

(٦) سرعان : من يتقدمون الجيش . السرب : الطريق : الطحون : الكتيبة الضخمة . المجرة : مجموعة من النجوم ، الفيلق : الكتيبة .

(٧) الوبار جمع وبر دويبة صغيرة تشبه الهرة . والمتنفق : الذى له منفذ ينفذ منه .

(٨) اللقاح : الإبل الحوامل .

عليه وسلم بالغابة، وفيها رجل من بنى غفار وامرأة له ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة فى اللقاح.

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ، ومن لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، كل قد حدث فى غزوة ذى قَرَد بعض الحديث: أنه كان أول من نذر(١) بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمى ، غدا يريد الغابة متوشحا قوسه ونبله ، ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم ، فأشرف فى ناحية سلع ، ثم صرخ : واصباحاه ، ثم خرج يشتد فى آثار القوم ، وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم ، فجعل يردهم بالنبل ، ويقول إذا رمى : خذها وأنا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرضّع ، فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا ، ثم عارضهم ، فإذا أمكنه الرمى رمى ، ثم قال: خذها وأنا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرضع ، قال : فيقول قائلهم : أُوَيْكِعنا هو أول النهار .

تسابق الفرسان : قال : وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح ابن الأكوع ، فصرخ بالمدينة الفزع الفزع ، فترامت الخيول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان أول من انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفرسان : المقداد بن عمرو ، وهو الذى يقال له : المقداد بن الأسود ، حليف بنى زهرة ، ثم كان أول فارس وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد المقداد من الأنصار ، عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء ، أحد بنى عبد الأشهل ، وسعد بن زيد ، أحد بنى كعب بن عبد الأشهل ، وأسيد بن ظهير ، أخو بنى حارثة بن الحارث : يشك فيه ، وعكّاشة بن محصن ، أخو بنى أسد بن خزيمة، ومحرز بن نضلة ، أخو بنى أسد بن خزيمة ، وأبو قتادة الحارث بن ربعى ، أخو بنى سلمة ، وأبو عياش ، وهو عبيد بن زيد بن الصامت ، أخو بنى زريق . فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمّر عليهم سعد بن زيد ، فيما بلغنى ، ثم قال : اخرج فى طلب القوم ؛ حتى ألحقك فى الناس .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى عن رجال من بنى زريق ، لأبى عياش : يا أبا عياش ، لو أعطيت هذا الفرس رجلا ، هو أفرس منك فلحق بالقوم ؟ قال أبو عياش : فقلت يارسول الله ، أنا أفرس الناس ، ثم ضربت الفرس ، فو الله ما جرى بى خمسين ذراعا حتى طرحنى ، فعجبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لو أعطيته أفرس منك ، وأنا أقول : أنا أفرس الناس ، فزعم رجال من بنى زريق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى

---

(١) نذر : علم .

فرس أبى عياش معاذ بن ماعص، أو عائذ بن ماعص بن قيس بن خلدة، وكان ثامنا، وبعض الناس يعد سلمة بن عمرو بن الأكوع أحد الثمانية، ويطرح أسيد بن ظهير، أخا بنى حارثة، والله أعلم أى ذلك كان. ولم يكن سلمة يومئذ فارسا، وقد كان أول من لحق بالقوم على رجليه. فخرج الفرسان فى طلب القوم حتى تلاحقوا.

محرز بن نضلة ومقتله : قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمرو بن قتادة: أن أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة، أخو بنى أسد بن خزيمة — وكان يقال لمحرز : الأخرم، ويقال له قمير — وأن الفزع لما كان، جال فرس لمحمود بن مسلمة فى الحائط، حين سمع صاهلة الخيل، وكان فرسا صنيعا جاما، فقال نساء من نساء بنى عبد الأشهل، حين رأين الفرس يجول فى الحائط بجذع نخل هو مربوط فيه : يا قمير، هل لك فى أن تركب هذا الفرس؟ فإنه كما ترى، ثم تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين؟ قال : نعم، فأعطينه إياه. فخرج عليه، فلم يلبث أن بذ الخيل بجمامه، حتى أدرك القوم، فوقف لهم بين أيديهم، ثم قال : قفوا يامعشر بنى اللكيعة (١) حتى يلحق بكم من وراءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار. قال : وحمل عليه رجل منهم فقتله، وجال الفرس، فلم يقدر عليه حتى وقف على آريه(٢) من بنى عبد الأشهل فلم يقتل من المسلمين غيره.

قال ابن هشام : وقتل يومئذ من المسلمين مع محرز، وقاص بن مجزز المدلجى، فيما ذكر غير واحد من أهل العلم.

أفراس المسلمين : قال ابن إسحاق : وكان اسم فرس محمود : ذا اللمة.

قال ابن هشام : وكان اسم فرس سعد بن زيد: لاحق، واسم فرس المقداد بعزجة، ويقال : سبحة، واسم فرس عكاشة بن محصن : ذو اللمة، واسم فرس أبى قتادة : حزوة، وفرس عباد بن بشر : لماع، وفرس أسيد بن ظهير : مسنون، وفرس أبى عياش : جلوة (٣)

---

(١) اللكيعة : اللئيمة. (٢) يقصد بالآريه هنا الموضع الذى يربط به الفرس.

(٣) البعزجة : شدة جرى فى مغالبة، كأنه منحوت من بعج إذا شق، وعز، أى : غلب وأما سبحة فمن سبح إذا علا علوا فى اتساع ومنه : سبحان الله، وسبحات الله : عظمته وعلوه لأن الناظر المفكر فى الله سبحانه يسبح فى بحر لا ساحل له، وأما حزوة : فمن حزوت الطير إذا زجرتها، أو من حزوت الشىء إذا أظهرته، قال الشاعر : =

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك : أن محرزاً إنما كان على فرس لعكاشة بن محصن ، يقال له الجناح ، فقتل محرز واستلبت الجناح .

قتلى المشركين : ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة الحارث بن ربعى ، أخو بنى سلمة ، حبيب بن عيينة بن حصن ، وغشّاه برده ، ثم لحق بالناس .

وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسلمين .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن اسحاق : فإذا حبيب مسجى ببرد أبى قتادة ، فاسترجع الناس وقالوا : قتل أبو قتادة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بأبى قتادة ، ولكنه قتيل لأبى قتادة ، وضع عليه برده ، لتعرفوا أنه صاحبه .

وأدرك عكاشة بن محصن أوباراً وابنه عمرو بن أوبار ، وهما على بعير واحد ، فانتظمهما بالرمح ، فقتلهما جميعاً ، واستنقذوا بعض اللقاح ، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذى قرد ، وتلاحق به الناس ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم به ، وأقام عليه يوما وليلة ؛ وقال له سلمة بن الأكوع : يارسول الله ، لو سرحتنى فى مائة رجل لاستنقذت بقية السرح ، وأخذت بأعناق القوم ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى : إنهم الآن ليغبقون[1] فى غطفان .

تقسيم الفىء بين المسلمين : فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فى كل مئة رجل جزورا ، وأقاموا عليها ، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا حتى قدم المدينة .

لا نذر فى معصية : وأقبلت امرأة الغفارى[2] على ناقة من إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى قدمت عليه فأخبرته الخبر ، فلما فرغت ، قالت : يا رسول الله ، إنى قد نذرت لله أن أنحرها إن نجانى الله عليها ؛ قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : بئس

= ترى الأمعز المحزو فيه كأنه من الحر واستقباله الشمس مسطح

وجلوة : من جلوت السيف ، وجلوت العروس ، كأنها تجلو الغم عن قلب صاحبها . ومسنون من سننت الحديدة إذا صقلتها . الروض الأنف ج ٤ ص ١٥

(١) الغبق : شرب اللبن بالعشى . (٢) اسمها : ليلى .

ماجزيتها أن حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحرينها ! إنه لانذر فى معصية الله ولا فيما لا تملكين ، إنما هى ناقة من إبلى ، فارجعى إلى أهلك على بركة الله .

والحديث عن امرأة الغفارى وما قالت ، وما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن أبى الزبير المكى ، عن الحسن بن أبى الحسن البصرى .

ما قيل من الشعر فى يوم ذى قرد : وكان مما قيل من الشعر فى يوم ذى قرد قول حسان ابن ثابت :

لولا الذى لاقت ومس نسورها ... بجنوب ساية أمس فى التقواد[١]

للقينكم يحملن كل مدجج ... حامى الحقيقة ماجد الأجداد

ولسر أولاد اللقيطة أننا ... سلم غداة فوارس المقداد

كنا ثمانية وكانوا جحفلا ... لجبا فشكوا بالرماح بداد

كنا من القوم الذين يلونهم ... ويقدمون عنان كل جواد

كلا ورب الراقصات إلى منى ... يقطعن عرض مخارم الأطواد[٢]

حتى نبيل الخيل فى عرصاتكم ... ونؤوب بالملكات والأولاد[٣]

رهواً بكل مقلص وطمرة ... فى كل معترك عطفن روادى[٤]

أفنى دوابرها ولاح متونها ... يوم تقاد به ويوم طراد

فكذاك إن جيادنا ملبونة ... والحرب مشعلة بريح غواد[٥]

---

(١) الضمير فى لاقت وما بعدها للخيل، والنسر كالنواة فى باطن حوافر، وفى الفرس عشرون عضواً ، كل عضو منها يسمى باسم طائر ، النسر والنعامة والهامة والسمامة والسعدانة وهى الحمامة والقطاة والذباب والعصفور والغراب والصرد والصقر والحرب والناهض ، وهو فرخ العقاب والخطاب إلخ . وساية : اسم موضع .

(٢) الراقصات : الإبل . والرقص للإبل : نوع من المشى . المخارم : الطرق . الأطواد : الجبال

(٣) نبيل الخيل : نجعلها تبول .

(٤) الرهو : المشى فى تؤدة . المقلص : المشمر . طمرة : فرسة سريعة . روادى : سريعة .

(٥) ملبونة : تسقى اللبن

وسيوفنا بيض الحدائد تجتلى جنن الحديد وهامة المرتاد(١)
أخذ الإله عليهم لحرامه ولعزة الرحمن بالأسداد
كانوا بدار ناعمين فبدلوا أيام ذى قرد وجوه عِباد

قال ابن هشام : فلما قالها حسان غضب عليه سعد بن زيد ، وحلف أن لايكلمه أبداً ؛ قال: انطلق إلى خيلى وفوارسى فجعلها للمقداد ! فاعتذر إليه حسان وقال : والله ما ذاك أردت ، ولكن الروى وافق اسم المقداد ؛ وقال أبياتا يرضى بها سعداً :

إذا أردتم الأشد الجلدا أو ذا غناء فعليكم سعدا
سعد بن زيد لايهد هدا

فلم يقبل منه سعد ولم يغن شيئا .

وقال حسان بن ثابت فى يوم ذى قرد :

أظن عيينة إذ زارها بأن سوف يهدم فيها قصورا
فأكذبت ماكنت صدقته وقلتم سنغنم أمراً كبيرا
فعِفت المدينة إذ زرتها وآنست للأسد فيها زئيرا
فولوا سراعا كشد النعام ولم يكشفوا عن مُلط حصيرا(٢)
أمير علينا رسول المليك أحبب بذاك إلينا أميرا
رسول نصدق ما جاءه ويتلو كتابا مضيئا منيرا

وقال كعب بن مالك فى يوم ذى قرد للفوارس :

أتحسب أولاد اللقيطة أننا على الخيل لسنا مثلهم فى الفوارس
وإنا أناس لانرى القتل سبة ولا ننثنى عند الرماح المداعس(٣)

---

(١) تجتلى : تقطع . الجنن : الأسلحة . والمرتاد : المحارب .

(٢) ملط : من قولهم : ألطت الناقة بذنبها إذا وضعته بين فخذيها ؛ يريد أنهم لم يستطيعوا الإغارة على العير ولم يكشفوا ماتستتر به .

(٣) المداعس : المطاعن .

وإنا لنقرى الضيف من قمع الذرا ونضرب رأس الأبلخ المتشاوس[١]
نرد كماة المُعلمين إذا انتخوا بضرب يسلى نخوة المتقاعس[٢]
بكل فتى حامى الحقيقة ماجد كريم كسرحان الغضاة مخالس[٣]
يذودون عن أحسابهم وتلادهم ببيض تقد الهام تحت القوانس
فسائل بنى بدر إذا ما لقيتهم بما فعل الإخوان يوم التمارس
إذا ما خرجتم فاصدقوا من لقيتم ولا تكتموا أخباركم فى المجالس
وقولوا زللنا عن مخالب خادر به وَحَر فى الصدر ما لم يمارس[٤]

قال ابن هشام : أنشدنى بيته : « وإنا لنقرى الضيف » أبو زيد .

قال ابن إسحاق : وقال شداد بن عارض الُجشمى ، فى يوم ذى قرد : لعيينة بن حصن ، وكان عيينة بن حصن يكنى بأبى مالك :

فهلا كررت أبا مالك وخيلك مدبرة تقتل
ذكرت الإياب إلى عسجر وهيهات قد بعد المُقفل[٥]
وطمنت نفسك ذا ميعة مِسحّ الفضاء إذا يرسل[٦]
إذا قبضته إليك الشما ل جاش كما اضطرم المرجل
فلما عرفتم عباد الإلـ ـه لم ينظر الآخر الأول
عرفتم فوارس قد عودوا طراد الكماة إذا أسهلوا[٧]
إذا طَردوا الخيل تشقى بهم فضاحا وإن يُطرَدوا ينزلوا
فيعتصموا فى سواء المقا م بالبيض أخلصها الصيقل

---

(١) قمع الذرا : أعالى الأسنمة . الأبلخ : المتعاظم . المتشاوس : الجرىء فى القتال .
(٢) انتخوا : تكبروا . المتقاعس : الراكب رأسه .
(٣) السرحان : الذئب . وغضاة : جمعها غضا : شجر خشبه من أصلب الخشب وجمره شديد الالتهاب ، ويقال ذئب الغضا : مثل يضرب فى الخداع والاحتيال .
(٤) الخادر : الأسد الذى يلازم الخدر وهو بيته . الوجر : الحقد .
(٥) عسجر : موضع بمكة .
(٦) « ذاميعة » : ذو نشاط . المسح : الكثير الجرى .
(٧) أسهلوا : نزلوا السهل .

غزوة بنى المصطلق

فى شعبان سنة ست

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجبا، ثم غزا بنى المصطلق من خزاعة[1] ، فى شعبان سنة ست .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى ؛ ويقال : نميلة بن عبدالله الليثى .

سببها : قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، كل قد حدثنى بعض حديث بنى المصطلق ، قالوا : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بنى المصطلق يجمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبى ضرار أبو جويرية بنت الحارث ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم خرج إليهم ، حتى لقيهم على ماء لهم يقال له : المريسيع[2] ، من ناحية قديد إلى الساحل ، فتزاحف الناس واقتتلوا ، فهزم الله بنى المصطلق ، وقتل من قتل منهم ، ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فأفاءهم عليه .

استشهاد ابن صبابة خطأ : وقد أصيب رجل من المسلمين من كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر ، يقال له : هشام بن صبابة ؛ أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت، وهو يرى أنه من العدو ، فقتله خطأ .

الفتنة بين المهاجرين والأنصار : فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الماء ، وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار ، يقال له : جهجاه بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر[3] الجهنى ، حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء ،

---

(١) وهم بنو جذيمة بن كعب من خزاعة ، لجذيمة هو المصطلق وهو مفتعل من الصاق ، وهو رفع الصوت

(٢) المريسيع ، وهو ماء لخزاعة ، وهو من قولهم : رسعت عين الرجل : إذا دمعت من فساد .

(٣) وقيل إنه : سنان بن تيم ، من جهينة بن سود بن أسلم حليف الأنصار . انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ٣ ص ١٥ .

فاقتتلا ، فصرخ الجهنى : يامعشر الأنصار ، وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين[1] : فغضب عبدالله بن أبى بن سلول ، وعنده رهط من قومه فيهم : زيد بن أرقم ، غلام حدث ، فقال : أوقد فعلوها ، قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا ، والله ما أعدّنا وجلابيب قريش[2] إلا كما قال الأول : سمن كلبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذلَّ . ثم أقبل على من حضره من قومه ، فقال لهم : هذا مافعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتوهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم . فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه ، فأخبره الخبر ، وعنده عمرُ بن الخطاب ، فقال : مر به عباد بن بشر فليقتله : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : فكيف ياعمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه! لا ولكن أذن بالرحيل ، وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها ، فارتحل الناس .

ابن إسحاق : وقد مشى عبد الله بن أبى بن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه ، فحلف بالله : ما قال ، ولا تكلمت به . — وكان فى قومه شريفا عظيما — ، فقال من حضرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من أصحابه

---

(١) وفى الصحيح أنه عليه السلام حين سمعها منهما ، قال : دعوها فإنها منتنة ، يعنى : إنها كلمة خبيثة ، لأنها من دعوى الجاهلية ، وجعل الله المؤمنين إخوة وحزباً واحداً ، فإنما ينبغى أن تكون الدعوة يا للمسلمين ؛ فمن دعا فى الإسلام بدعوى الجاهلية فيتوجه للفقهاء فيها ثلاثة أقوال : أحدها : أن يجلد من استجاب لها بالسلاح خمسين سوطاً اقتداء بأبى موسى الأشعرى فى جلده النابغة الجعدى خمسين سوطاً حين سمع ياللعامر ، فأقبل يشتد بعصبة له . والقول الثانى : إن فيها الجلد دون العشرة لنهيه عليه السلام أن يجلد أحد فوق العشرة إلا فى حد ، والقول الثالث : اجتهاد الإمام فى ذلك على حسب مايراه من سد الذريعة وإغلاق باب الشر ، إما بالوعيد ، وإما بالسجن وإما بالجلد .

فإن قيل : إن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعاقب الرجلين حين دعوا بها ؟ قلنا : قد قال دعوها فإنها منتنة ، فقد أكد النهى ، فمن عاد إليها بعد هذا النهى ، وبعد وصف النبى صلى الله عليه وسلم لها بالإنتان وجب أن يؤدب .

(٢) لفظ أطلقته قريش على المهاجرين .

يارسول الله ، عسى أن يكون الغلام قد أوْهم فى حديثه ، ولم يحفظ ما قال ، حدبا على ابن أبى ابن سلول ، ودفعا عنه .

قال ابن إسحاق : فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار ، لقيه أسيد بن حضير ، فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ، ثم قال : يانبى الله ، والله لقد رحت فى ساعة منكرة ، ما كنت تروح فى مثلها ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أوما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : وأى صاحب يارسول الله قال : عبد الله بن أبى ؛ قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذلَّ ، قال . فأنت يارسول الله والله تخرجه منها إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز ؛ ثم قال : يارسول الله ، ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه ، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكا .

ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما ، وإنما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس ، من حديث عبد الله بن أبى .

ثم راح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فويق النقيع ؛ يقال له : بقعاء . فلما راح رسول الله صلى الله عليه وسلم هبت على الناس ريح شديدة آذتهم وتخوفوها ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتخافوها ، فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار . فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت ، أحد بنى قينقاع وكان عظيما من عظماء يهود ، وكهفا للمنافقين ، مات فى ذلك اليوم .

ما نزل فى ابن أبى : ونزلت السورة التى ذكر الله فيها المنافقين فى ابن أبى ومن كان على مثل أمره ، فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد بن أرقم ، ثم قال : هذا الذى أوفى الله بأذنه . وبلغ عبد الله بنَ عبد الله بن أبى الذى كان من أمر أبيه .

موقف عبد الله من أبيه : قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن قتادة : أن عبد الله أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبى فيما بلغك عنه ، فإن كنت لابد فاعلا فمرنى به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده منى ، وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله ، فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبى يمشى فى الناس ، فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر ، فأدخل النار ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا .

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب ، حين بلغه ذلك من شأنهم : كيف ترى ياعمر ؛ أما والله لو قتلته يوم قلت أقتله . لأُرْعِدَتْ له آنُف ، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته ؛ قال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمرى .

مخادعة مقيس : قال ابن إسحاق : وقدم مقيس بن صبابة من مكة مسلما ، فيما يظهر ، فقال : يارسول الله ، جئتك مسلما ، وجئتك أطلب دية أخى ، قتل خطأ . فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه هشام بن صبابة ؛ فأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتداً ؛ فقال فى شعر يقوله :

شفى النفس أن مات بالقاع مسندا ... تضرج ثوبيه دماء الأخادع [1]
وكانت هموم النفس من قبل قتله ... تلم فتحمينى وطاء المضاجع
حللت به وترى وأدركت ثؤرتى ... وكنت إلى الأوثان أول راجع
ثأرت به فهراً وحملت عقله ... سراة بنى النجار أرباب فارع [2]

وقال مقيس بن صبابة أيضا :

جللته ضربة باتت لها وشل ... من نافع الجوف يعلوه وينصرم
فقلت والموت تغشاه أسرته ... لا تأمنن بنى بكر إذا ظُلِموا

قال ابن هشام : وكان شعار المسلمين يوم بنى المصطلق : يا منصور ، أمِت أمِت .

قتلى بنى المصطلق : قال ابن إسحاق : وأصيب من بنى المصطلق يومئذ ناس ، وقتل على بن أبى طالب منهم رجلين ، مالكا وابنه ، وقتل عبد الرحمن بن عوف رجلا من فرسانهم ، يقال له : أحمر ، أو أحيمر .

جويرية بنت الحارث رضى الله عنها : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصاب منهم سبيا كثيراً ، فشا قسمه فى المسلمين ؛ وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ،

---

(١) الأخادع : يريد الأخدعان : وهما عرقان بالقفا .

(٢) فارع : حصن لبنى النجار بالمدينة .

قالت : لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بنى المصطلق ، وقعت جويرية بنت الحارث فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حلوة مُلاّحة ، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه فى كتابتها قالت عائشة : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتى فكرهتها : وعرفت أنه سيرى منها صلى الله عليه وسلم ما رأيت ، فدخلتْ عليه ، فقالت : يارسول الله ، أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار ، سيد قومه ، وقد أصابنى من البلاء ، ما لم يخف عليك ، فوقعت فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسى ، فجئتك أستعينك على كتابتى ؛ قال : فهل لك فى خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يارسول الله ؟ قال : أقضى عنك كتابتك وأتزوجك ؛ قالت : نعم يارسول الله ؛ قال : قد فعلتُ [١] .

قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية ابنة الحارث بن أبى ضرار ، فقال الناس : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرسلوا ما بأيديهم قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها .

قال ابن هشام : ويقال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المصطلق ومعه جويرية بنت الحارث ، وكان بذات الجيش ، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعة ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأقبل أبوها الحارث

---

(١) وكان نظره عليه السلام لجويرية حتى عرف من حسنها ماعرف ، فإنما ذلك لأنها كانت امرأة مملوكة ، ولو كانت حرة ما ملأ عينه منها ، لأنه لا يُكره النظر إلى الإماء ، وجائز أن يكون نظر إليها ، لأنه نوى نكاحها ، كما نظر إلى المرأة التى قالت له : إنى قد وهبت لك نفسى يارسول الله ، فصعد فيها النظر ثم صوب ، ثم أنكحها من غيره ، وقد ثبت عنه عليه السلام الرخصة فى النظر إلى المرأة عند إرادة نكاحها ، وقال للمغيرة حين شاوره فى نكاح امرأة : لو نظرت إليها ، فإن ذلك أحرى أن يؤدم بينكما ، وقال مثل ذلك لمحمد بن مسلمة حين أراد نكاح ثبيتة بنت الضحاك ، وقد أجازه مالك فى إحدى الروايتين عنه ، وفى مسند البزار من طريق أبى بكرة لاحرج أن ينظر الرجل إلى المرأة قبل التزويج ، وأورد فى الباب قوله عليه السلام لعائشة أريتك فى المنام يجىء بك الملك فى سرقة من حرير ، فكشفت عن وجهك ، فقال : هذه امرأتك ؛ فقلت : إن يكن من عند الله يمضه . وهذا الاستدلال حسن .

ابن أبى ضرار بفداء ابنته ؛ فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التى جاء بها للفداء ، فرغب فى بعيرين منها ، فغيبهما فى شعب من شعاب العقيق ، ثم أتى إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقال : يا محمد ، أصبتم ابنتى ، وهذا فداؤها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق ، فى شعب كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك محمد رسول الله فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله ، فأسلم الحارث ، وأسلم معه ابنان له ، وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما ، فدفع الإبل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، ودفعت إليه ابنته جويرية ، فأسلمت ، وحسن إسلامها ؛ فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيها ، فزوجه إياها ، وأصدقها أربعمائة درهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رومان : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بعد إسلامهم الوليد بن عقبة بن أبى معيط ، فلما سمعوا به ركبوا إليه ، فلما سمع بهم هابهم فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره أن القوم قد هموا بقتله ، ومنعوه ما قبلهم من صدقتهم ، فأكثر المسلمون فى ذكر غزوهم ، حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يغزوهم ، فبيناهم على ذلك قدم وفدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يارسول الله ، سمعنا برسولك حين بعثته إلينا ، فخرجنا إليه لنكرمه ، ونؤدى إليه ما قبلنا من الصدقة ، فانشمر [1] راجعا ، فبلغنا أنه زعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا خرجنا إليه لنقتله ، ووالله ما جئنا لذلك ، فأنزل الله تعالى فيه وفيهم : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين . واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم .... » إلى آخر الآية .

وقد أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، كما حدثنى من لا أتهم عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ، حتى إذا كان قريبا من المدينة ، وكانت معه عائشة فى سفره ذلك ، قال فيها أهل الإفك ما قالوا .

خبر الإفك فى غزوة بنى المصطلق

قال ابن إسحاق : حدثنا الزهرى ، عن علقمة بن وقاص ، وعن سعيد بن جبير ، وعن عروة ابن الزبير ، وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال : كل قد حدثنى بعض هذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى له من بعض ، وقد جمعت لك الذى حدثنى القوم .

قال محمد بن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة

---

(١) انشمر : أسرع .

وعبد الله بن أبى بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، عن نفسها ، حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا ، فكل قد دخل فى حديثها عن هؤلاء جميعا يحدث بعضهم ما لم يحدث صاحبه ، وكل كان عنها ثقة ، فكلهم حدث عنها ما سمع ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ؛ فلما كانت غزوة بنى المصطلق أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمى عليهن معه ، فخرج بى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قالت : وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق (١) لم يهجهن اللحم فيثقلن ، وكنت إذا رُحِّل لى بعيرى جلست فى هودجى ، ثم يأتى القوم الذين يرحلون لى ويحملوننى ، فيأخذون بأسفل الهودج ، فيرفعونه ، فيضعونه على ظهر البعير ، فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به . قالت : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، وجه قافلا ، حتى إذا كان قريبا من المدينة فنزل منزلا ، فبات به بعض الليل ، ثم أذن فى الناس بالرحيل ، فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتى ، وفى عنقى عقد لى ، فيه جزع ظفار (٢) ، فلما فرغت انسل من عنقى ولا أدرى ، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه فى عنقى ، فلم أجده ، وقد أخذ الناس فى الرحيل ، فرجعت إلى مكانى الذى ذهبت إليه ، فالتمسته حتى وجدته ، وجاء القوم خلافى ، الذين كان يرحّلون لى البعير ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج ، وهم يظنون أنى فيه ، ثم أخذوا برأس البعير ، فانطلقوا به ، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داع ولا مجيب. قد انطلق الناس .

قالت : فتلففت بجلبابى ، ثم اضطجعت فى مكانى ، وعرفت أن لو قد افتُقدت لرُجع إلىّ ، قالت : فوالله إنى لمضطجعة إذ مر بى صفوان بن المعطل السلمى ، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته (٣) ، فلم يبت مع الناس ، فرأى سوادى ، فأقبل حتى وقف على ، وقد كان يرانى

---

(١) العلق : جمع علقة : ما يتعلل به قبل وجبة الطعام الأساسية .

(٢) الجزع : الخرز . ظفار : مدينة باليمن ينسب إليها هذا الخرز .

(٣) وهو صفوان بن ربيضة بن خزاعى بن محارب بن مرة بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة ابن سليم السلمى . الذكوانى ، يكنى أبا عمرو ، وكان يكون على ساقه العسكر يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين ، حتى يأتيهم به ، ولذلك تخلف فى هذا الحديث الذى قال فيه أهل الإفك ما قالوا ، وقد روى فى تخلفه سبب آخر ، وهو أنه كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرتحل الناس ويشهد لصحة هذا حديث أبى داود أن امرأة صفوان اشتكت به إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكرت أشياء منها أنه لا يصلى الصبح ، فقال صفوان : يارسول الله إنى امرؤ ثقيل الرأس=

قبل أن يضرب علينا الحجاب ، فلما رآنى قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ظعينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وأنا متلففة فى ثيابى ؛ قال : ما خلّفك يرحمك الله ؟ قالت : فما كلمته ، ثم قرب البعير ، فقال : اركبى ، واستأخر عنى . قالت : فركبت ، وأخذ برأس البعير ، فانطلق سريعاً ، يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتقدت حتى أصبحت ؛ ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بى ، فقال أهل الإفك ما قالوا ، فارتعج (١) العسكر ، ووالله ما أعلم بشىء من ذلك .

ثم قدمنا المدينة ، فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة ، ولا يبلغنى من ذلك شىء ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى أبوى لا يذكرون لى منه قليلا ولا كثيرا ، إلا أنى قد أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض لطفه بى ، كنت إذا اشتكيت رحمنى ، ولطف بى ، فلم يفعل ذلك بى فى شكواى تلك : فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل على وعندى أمى تمرضنى — قال ابن هشام : وهى أم رومان ، واسمها زينب بنت عبد دهمان ، أحد بنى فراس بن غنم بن مالك بن كنانة — قال : كيف تيكم ، لا يزيد على ذلك .

قال ابن إسحاق : قالت : حتى وجدت فى نفسى ، فقلت : يا رسول الله ، حين رأيت ما رأيت من جفائه لى : لو أذنت لى ، فانتقلت إلى أمى ، فمرضتنى ؟ قال : لا عليك . قالت : فانتقلت إلى أمى ، ولا علم لى بشىء مما كان ، حتى نقهت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة ، وكنا قوما عربا لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكنف التى تتخذها الأعاجم ، نعافها ونكرهها ، إنما كنا نذهب فى فسح المدينة ، إنما كانت النساء يخرجن كل ليلة فى حوائجهن ، فخرجت ليلة لبعض حاجتى ومعى أم مسطح بنت أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت أمها بنت صخر بن عامر بن كعب ابن تيم ، خالة أبى بكر الصديق رضى الله عنه : قالت : فوالله إنها لتمشى معى إذ عثرت فى مرطها (٢) ؛ فقالت : تعس مسطح ! ومسطح لقب واسمه عوف ، قالت : قلت : بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدراً ، قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبى بكر ؟ قالت :

= لا أستيقظ حتى تطلع الشمس . فقال له النبى عليه السلام : فإذا استيقظت فصل ، وقد ضعف البزار حديث أبى داود هذا فى مسنده . وقتل صفوان بن المعطل شهيداً فى خلافة معاوية ، واندقت رجله يوم قتل . فطاعن بها ، وهى منكسرة حتى مات ، وذلك بالجزيرة بموضع يقال له شمطاط .

(١) ارتعج : اضطرب . (٢) مرطها : كساؤها .

قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتنى بالذى كان من قول أهل الإفك ، قالت : قلت : أوقد كان هذا ؟ قالت نعم والله فقد كان . قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضى حاجتى ، ورجعت ، فوالله مازلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدى ، قلت : وقلت لأمى : يغفر الله لك ، تحدث الناس بما تحدثوا به ، ولا تذكرين لى من ذلك شيئا ! قالت : أى بنية ، خفضى عليك الشأن ، فوالله لقلما كانت امرأة حسناء ، عند رجل يحبها ، لها ضرائر ، إلا كثرن وكثر الناس عليها .

قالت : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى ، ويقولون عليهم غير الحق ، والله ما علمت منهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً ، وما يدخل بيتا من بيوتى إلا وهو معى .

قالت : وكان كبر ذلك[1] عند عبد الله بن أبى بن سلول فى رجال من الخزرج مع الذى قال مسطح وحمنة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن من نسائه امرأة تناصينى[2] فى المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيرا وأما حمنة بنت جحش ، فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تضادنى لأختها ، فشقيت بذلك .

فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة ، قال أسيد بن حضير : يارسول الله ، إن يكونوا من الأوس نكفكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج ، فمرنا بأمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم ؛ قالت : فقام سعد بن عبادة ، وكان قبل ذلك يُرى رجلا صالحا فقال : كذبت لعمر الله ، لا نضرب أعناقهم ، أما والله ماقلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ماقلت هذا ، فقال أسيد : كذبت لعمر الله ، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين : قالت : وتساور الناس ، حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر . ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل على .

قالت فدعا على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وأسامة بن زيد ، فاستشارهما : فأما أسامة فأثنى علىّ خيرا ، وقاله ؛ ثم قال يارسول الله ، أهلك ولا نعلم منهم إلا خيرا ، وهذا الكذب

---

(١) كبر ذلك : إثمه .

(٢) فى الأصول : تناصبى ولكن قال السهيلى فى الروض الأنف أن الحديث فى تناصينى من المناصاة ، أى : المساواة . انظر الروض ج ٤ ص ٢١ .

والباطل : وأما على فإنه قال : يارسول الله إن النساء لكثير ، وإنك لقادر على أن تستخلف وسل الجارية ، فإنها ستصدقك . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة ليسألها ؛ قالت : فقام إليها على بن أبى طالب ، فضربها ضربا شديداً ، ويقول : اصدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قالت ؛ فتقول والله ما أعلم إلا خيرا ، وما كنت أعيب على عائشة شيئا ، إلا إنى كنت أعجن عجينى ، فآمرها أن تحفظه ، فتنام عنه ، فتأتى الشاة فتأكله .

قالت : ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندى أبواى ، وعندى امرأة من الأنصار ، وأنا أبكى ، وهى تبكى معى ، فجلس ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : ياعائشة ، إنه قد كان ماقد بلغك من قول الناس ، فاتقى الله ، وإن كنت قد قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبى إلى الله ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده ؛ فوالله ماهو إلا أن قال لى ذلك ، فقلص دمعى حتى ماأحس منه شيئاً ، وانتظرت أبوى أن يجيبا عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يتكلما قالت : وايم الله لأنا كنت أحقر فى نفسى ، وأصغر شأنا من أن ينزل الله فىّ قرآنا يقرأ به فى المساجد ، ويصلى به ، ولكنى قد كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نومه شيئا يكذب به الله عنى ، لما يعلم من براءتى ، أو يخبر خبرا ؛ فأما قرآن ينزل فى ، فوالله لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك . قالت : فلما لم أر أبوى يتكلمان ، قالت : قلت لهما : ألا تجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : فقالا : والله ماندرى بماذا نجيبه ؛ قالت : والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم مادخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام ؛ قالت : فلما أن استعجما على ، استعبرت فبكيت ؛ ثم قلت : والله لاأتوب إلى الله مما ذكرت أبدا . والله إنى لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس ، والله يعلم أنى منه بريئة ، لأقولن مالم يكن ، ولئن أنا أنكرت مايقولون لاتصدقوننى . قالت : ثم التمست اسم يعقوب فما أذكره ؛ فقلت : ولكن سأقول كما قال أبو يوسف : «فصبر جميل ، والله المستعان على ماتصفون» . قالت : فوالله مابرح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى تغشاه من الله ماكان يتغشاه ، فسُجِّى بثوبه ووضعت له وسادة من أدم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك مارأيت ، فوالله مافزعت ولاباليت قد عرفت أنى بريئة ، وأن الله عز وجل غير ظالمى ، وأما أبواى ، فوالذى نفس عائشة بيده ، ماسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت لتخرجن أنفسهما ، فرقا من أن يأتى من الله تحقيق ماقال الناس ، قالت : ثم سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس ، وإنه ليتحدر منه مثل الجمان[1] فى يوم شات ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ، ويقول : أبشرى ياعائشة ،

---

(١) الجمان : اللؤلؤ .

فقد أنزل الله براءتك ، قالت قلت : بحمدالله ، ثم خرج إلى الناس ، فخطبهم ، وتلا عليهم ماأنزل الله عليه من القرآن فى ذلك ، ثم أمر بمسطح بن أثاثة ، وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش ، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة ، فضربوا حدهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يسار عن بعض رجال بنى النجار : أن أبا أيوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أم أيوب : ياأبا أيوب ، ألا تسمع مايقول الناس فى عائشة ؟ قال : بلى ، وذلك الكذب ، أكنت ياأم أيوب فاعلة ؟ قالت : لاوالله ما كنت لأفعله ، قال : فعائشة والله خير منك .

قالت : فلما نزل القرآن بذكر من قال من أهل الفاحشة ماقال من أهل الإفك ، فقال تعالى : « إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ، لاتحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم ، لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم ، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم » ، وذلك حسان بن ثابت . وأصحابه الذين قالوا ماقالوا .

قال ابن هشام : ويقال : وذلك عبدالله بن أبى وأصحابه .

قال ابن هشام : والذى تولى كبره عبدالله بن أبى ، وقد ذكر ابن إسحاق فى هذا الحديث قبل هذا . ثم قال تعالى : « لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً » : أى فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبته ، ثم قال : « إذ تلقَّوْنه بألسنتكم ، وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم ، وتحسبونه هيِّنا ، وهو عند الله عظيم » .

فلما نزل هذا فى عائشة ، وفيمن قال لها ماقال ، قال ، أبوبكر ، وكان ينفق على مسطح لقرابته وحاجته : والله لاأنفق على مسطح شيئا أبداً ، ولاأنفعه بنفع أبدا بعد الذى قال لعائشة ، وأدخل علينا ، قالت : فأنزل الله فى ذلك « ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله ، وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ، والله غفور رحيم » .

قال ابن هشام : يقال : كِبره وكُبره فى الرواية ، وأما فى القرآن فكِبره بالكسر .

قال ابن هشام : « ولا يأتل أولوا الفضل منكم » ، ولا يأل أولو الفضل منكم ـ قال امرؤ القيس بن حجر الكندى :

ألا رب خصم فيك ألوى رددته   نصيح على تعذاله غـــير مؤتل

وهذا البيت فى قصيدة له، ويقال: ولا يأتل أولوا الفضل: ولا يحلف أولو الفضل، وهو قول الحسن بن أبى الحسن البصرى، فيما بلغنا عنه.

وفى كتاب الله تعالى: للذين يؤلون من نسائهم، وهو من الألية، والألية: اليمين. قال حسان بن ثابت:

آليت مالى جميع الناس مجتهدا منى أليـــة بر غير إفناد

وهذا البيت فى أبيات له، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها. فمعنى: أن يؤتوا فى هذا المذهب: أن لا يؤتوا، وفى كتاب الله عز وجل: «يبين الله لكم أن تضلوا» يريد: أن لا تضلوا؛ «ويمسك السماء أن تقع على الأرض» يريد أن لا تقع على الأرض، وقال ابن مفرغ الحميرى:

لاذعرتُ السوام فى وضح الصبـ ـح مغيرا ولا دعيت يزيدا

يوم أعطى مخافة الموت ضيما والمنايا يرصدننى أن أحيدا

يريد: أن لا أحيد؛ وهذان البيتان فى أبيات له.

قال ابن إسحاق: قالت: فقال أبو بكر: بلى والله، إنى لأحب أن يغفر الله لى، فرجع إلى مسطح نفقته التى كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدا.

قال ابن إسحاق: ثم إن صفوان بن المعطل اعترض حسان بن ثابت بالسيف، حين بلغه ما كان يقول فيه، وقد كان حسان قال شعرا مع ذلك يعرّض بابن المعطل فيه، وبمن أسلم من العرب من مضر، فقال:

أمسى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا وابن الفريعة أمسى بيضة البلد [1]

قد ثكلت أمه من كنت صاحبه أو كان منتشبا فى برثن الأسد [2]

ما لقتيلى الذى أغـدو فآخذه من دية فيه يعطاها ولا قود

ما البحر حين تهب الريح شامية فيغطئل ويرمى العبر بالزبد [3]

يوما بأغلب منى حين تبصرنى ملغيظ أفرى كفرى العارض البرد [4]

---

(١) الجلابيب: لفظ تطلقه قريش على من أسلم منهم. بيضة البلد: أى منفرد.

(٢) البرثن: يد الأسد مع أصابعه.

(٣) يغطئل: يتحرك. العبر: جانب البحر.

(٤) أفرى: أقطع، العارض البرد: السحاب الحامل للبرد.

أما قــريش فإنى لن أسالمهم ... حتى ينيبوا من الغيات للرشد
ويتركوا اللات والعزى بمعـزلة ... ويسجدوا كلهم للواحد الصمد
ويشهدوا أن ما قال الرسول لهم ... حق ويوفوا بعهد الله والوكد

فاعترضه صفوان بن المعطل ، فضربه بالسيف ، ثم قال : كما حدثنى يعقوب بن عتبة :

تلق ذباب السيف عنى فإننى ... غلام إذا هوجيت لست بشاعر

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى: أن ثابت بن قيس بن الشماس وثب على صفوان بن المعطل ، حين ضرب حسان ، فجمع يديه إلى عنقه بحبل ، ثم انطلق به إلى دار بنى الحارث بن الخزرج ، فلقيه عبد الله بن رواحة ، فقال : ما هذا ؟ قال : أما أعجبك ضرب حسان بالسيف ! والله ما أراه إلا قد قتله ، قال له عبد الله بن رواحة : هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء مما صنعت ؟ قال : لا والله ؛ قال : لقد اجترأت ، أطلق الرجل ، فأطلقه ، ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا ذلك له ، فدعا حسان وصفوان ابن المعطل ؛ فقال ابن المعطل : يارسول الله : آذانى وهجانى ، فاحتملنى الغضب ، فضربته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان : أحسن ياحسان ، أتشوهت[١] على قومى أن هداهم الله للإسلام ، ثم قال : أحسن ياحسان فى الذى أصابك ، قال : هى لك يارسول الله .

قال ابن هشام : ويقال : أبعد أن هداكم الله للإسلام .

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن إبراهيم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه عوضا منها بيرحاء ، وهى قصر بنى حديلة اليوم بالمدينة ، وكانت مالا لأبى طلحة بن سهل تصدق بها على آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان فى ضربته وأعطاه سيرين ، أمة قبطية ، فولدت له عبد الرحمن بن حسان ، قالت : وكانت عائشة تقول : لقد سئل عن ابن المعطل ، فوجدوه رجلا حصورا ، ما يأتى النساء ، ثم قتل بعد ذلك شهيدا .

قال حسان بن ثابت يعتذر من الذى كان قال فى شأن عائشة رضى الله عنها :

حصان رزان ماتُزَنّ بريبــة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل[٢]

---

(٣) أتشوهت على قومى : أقبحت ذلك من فعلهم حين سميتهم بالجلابيب من أجل هجرتهم إلى الله وإلى رسوله . هكذا قال السهيلى فى الروض الأنف جـ ٤ ص ٢٢ .

(١) حصان : فعال يفتح الحاء يكثر فى أوصاف المؤنث : وفى الأعلام منها ، كأنهم قصدوا =

عقيلة حي من لؤي بن غالب كرام المساعي مجدهم غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيمها وطهرها من كل سوء وباطل [١]
فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم فلا رفعت سوطي إليّ أناملي
وكيف وودي ما حييت ونصرتي لآل رسول الله زين المحافل
له رتب عال على الناس كلهم تقاصر عنه سورة المتطاول
فإن الذي قد قيل ليس بلائط ولكنه قول امرىء بي ماحل [٢]

بتوالي الفتحات مشاكلة خفة اللفظ لخفة المعنى ، أي المسمى بهذه الصفات خفيف على النفس ، وحصان من الحصن والتحصن ، وهو الامتناع على الرجال من نظرهم إليها ، وقالت جارية من العرب لأمها :

يا أمتا أبصرني راكب يسير في مسحنفر لاحب
جعلت أحثي التراب في وجهه حصنا وأحمي حوزة الغائب

فقالت لها أمها :

الحصن أدنى لو تأبيته من حثيك الترب على الراكب

ذكر هذه الأبيات أحمد بن أبي سعيد السيرافي في شرح أبيات الإيضاح . والرزان والثقال بمعنى واحد ، وهي القليلة الحركة .

وقوله : وتصبح غرثى من لحوم الغوافل ، أي خميصة البطن من لحوم الناس ، أي اغتيابهم وضرب الغرث مثلا ، وهو عدم الطعم وخلو الجوف وفي التنزيل « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا » ضرب المثل لأخذه في العرض بأكل اللحم . لأن اللحم ستر على العظم ، والشاتم لأخيه كأنه يقشر ويكشف ما عليه من ستره .

وقال : ميتا ، لأن الميت لا يحس ، وكذا الغائب لا يسمع مايقول فيه المغتاب ، ثم هو في التحريم كأكل لحم الميت .

وقوله : من لحوم الغوافل ، يريد : العفائف الغافلة قلوبهن عن الشر ، كما قال سبحانه : « إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات » جعلن غافلات ، لأن الذي رمين به من الشر لم يهممن به قط ولا خطر على قلوبهن ، فهن في غفلة عنه ، وهذا أبلغ مايكون من الوصف بالعفاف .

(١) الخيم : الطبع .
(٢) لائط : لاصق . ماحل : ماشي بالنميمة .

قال ابن هشام : بيته : « عقيلة حى » والذى بعده ، وبيته : « له تب عال » عن أبى زيد الأنصارى .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة : أن امرأة مدحت بنت حسان بن ثابت عند عائشة ، فقالت :

حصان رزان ما تزن بريبة   وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت عائشة . لكن أبوها .

قال ابن إسحاق : وقال قائل من المسلمين فى ضرب حسان وأصحابه فى فريتهم على عائشة — قال ابن هشام . فى ضرب حسان وصاحبيه . — .

لقد ذاق حسان الذى كان أهله   وحمنة إذ قالوا هجيرا ومسطح
تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم   وسخطة ذى العرش الكريم فأترحوا[1]
وآذوا رسول الله فيها فجللوا   مخازى تبقى عمموها وفضحوا
وصبت عليهم محصدات كأنها   شآبيب قطر من ذرا المزن تسفح[2]

أمر الحديبية[3] فى آخر سنة ست ، وذكر بيعة الرضوان

والصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين سهيل بن عمرو

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة شهر رمضان وشوالا ، وخرج فى ذى القعدة معتمراً ، لا يريد حربا .

---

(١) أترحوا : من الترح وهو الحزن .

(٢) محصدات . صفة لموصوف محذوف يعنى سياطا . والمحصدات المفتولة ، الشآبيب : الدفعات من المطر . تسفح . تسيل .

(٣) يقال فيها : الحديبية بالتخفيف ، وهو الأعرف عند أهل العربية . قال الخطابى : أهل الحديث يقولون : الحديبية بالتشديد ، والجعرانة كذلك ، وأهل العربية يقولونهما : بالتخفيف وقال البكرى: أهل العراق يشددون الراء والياء فى الجعرانة والحديبية، وأهل الحجاز يخففون وقال أبو جعفر النحاس : سألت كل من لقيته ممن أثق بعلمه عن الحديبية ، فلم يختلفوا على أنها بالتخفيف .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثى .

قال ابن إسحاق : واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادى من الأعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش الذى صنعوا ، أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثير من الأعراب ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهدى ، وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظما له .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، عن عروة بن الزبير عن مسور ابن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية يريد زيارة البيت ، لا يريد قتالا ، وساق معه الهدى سبعين بدنة ، وكان الناس سبعمائة رجل ، فكانت كل بدنة عن عشرة نفر .

وكان جابر بن عبد الله ، فيما بلغنى ، يقول : كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مئة .

قال الزهرى : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبى — قال ابن هشام : ويقال بُسر — فقال : يارسول الله هذه قريش ، قد سمعت بمسيرك ، فخرجوا معهم العوذ المطافيل (١) ، قد لبسوا جلود النمور ، وقد نزلوا بذى طوى (٢) يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا ، وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم (٣) قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ويح قريش ! لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب ، فإن هم أصابونى كان الذى أرادوا ، وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ، فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة (٤) ، ثم قال : من رجل يخرج بنا عن طريق غير طريقهم التى هم بها ؟

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن رجلا من أسلم قال : أنا يارسول الله ، قال : فسلك بهم طريقا وعرا أجرل (٥) ، بين شعاب ، فلما خرجوا منه ، وقد شق ذلك على

---

(١) استعار العوذ المطافيل للنساء مع أولادهن . والعوذ هى الإبل حديثة النتاج والمطافيل : التى معها أولادها .

(٢) ذو طوى : موضع قرب مكة .

(٣) كراع الغميم : موضع بين مكة والمدينة .

(٤) السالفة : صفحة العنق .

(٥) الأجرل : كثير الحجارة .

المسلمين وأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادى ،قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : قولوا نستغفر الله ونتوب إليه ، فقالوا ذلك ، فقال : والله إنها للحطة [١] التى عرضت على بنى إسرائيل . فلم يقولوها .

قال ابن شهاب : فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين بين ظهرى الحمش ، فى طريق تخرجه على ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة ، قال : فسلك الجيش ذلك الطريق ، فلما رأت خيل قريش قترة [٢] الجيش قد خالفوا عن طريقهم ، رجعوا راكضين إلى قريش ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا سلك فى ثنية المرار بركت ناقته ، فقالت الناس : خلأت [٣] الناقة ، قال : ما خلأت وما هو لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة . لاتدعونى قريش اليوم إلى خطة يسألونى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها . ثم قال للناس : انزلوا ؛ قيل له : يارسول الله : ما بالوادى ماء ننزل عليه ؛ فأخرج سهما من كنانته ، فأعطاه رجلا من أصحابه ، فنزل به فى قليب من تلك القلب . فغرزه فى جوفه ، فجاش بالرواء حتى ضرب الناس عنه بعطن [٤]

قال ابن اسحاق : فحدثنى بعض أهل العلم عن رجال من أسلم : أن الذى نزل فى القليب بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر بن دارم بن عمرو بن واثلة بن سهم بن مازن بن أسلم بن أفصى بن أبى حارثة ، وهو سائق بُدن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن هشام : أفصى بن حارثة .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لى بعض أهل العلم : أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذى نزلت بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالله أعلم أى ذلك كان .

وقد أنشدت أسلم أبياتا من شعر قالها ناجية ، قد ظننا أنه هو الذى نزل بالسهم ، فزعمت أسلم أن جارية من الأنصار أقبلت بدلوها ، وناجية فى القليب يميح على الناس [٥] ، فقالت :

---

(١) وهو قوله تعالى : « .. وقولوا حطة نغفر لكم ذنوبكم » ومعناها الاستغفار من الذنوب بقولهم اللهم حط عنا ذنوبنا .

(٢) القترة : الغبار .

(٣) خلأت : بركت وحرنت عن المشى .

(٤) العطن : مبرك الإبل حول الماء .

(٥) يميح على الناس : يملأ دلاءهم .

يأيها المسائح دلوى دونكا   إنى رأيت الناس يحمدونكا

يثنون خيراً ويمجدونكا

قال ابن هشام : ويروى :

إنى رأيت الناس يمدحونكا

قال ابن إسحاق : فقال ناجية ، وهو فى القليب يميح على الناس :

قد علمت جارية يمانيه   أنى أنا المائح واسمى ناجيه

وطعنة ذات رشاش واهيه   طعنتها عند صدور العاديه[1]

فقال الزهرى فى حديثه : فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه بديل بن ورقاء الخزاعى، فى رجال من خزاعة ، فكلموه وسألوه : ما الذى جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حربا ، وإنما جاء زائراً للبيت ، ومعظما لحرمته ، ثم قال لهم نحواً مما قال لبشر بن سفيان، فرجعوا إلى قريش فقالوا : يا معشر قريش ، إنكم تعجلون على محمد ، إن محمدا لم يأت لقتال ، وإنما جاء زائراً هذا البيت ، فاتهموهم وجبهوهم[2] وقالوا : وإن كان جاء ولا يريد قتالا ، فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدا ، ولا تحدث بذلك عنا العرب .

قال الزهرى : وكانت خزاعة عيبة نصح[3] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مسلمها ومشركها ، لا يخفون عنه شيئا كان بمكة .

قال : ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص بن الأخيف ، أخا بنى عامر بن لؤى ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال : هذا رجل غادر ، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحواً مما قال لبديل وأصحابه ؛ فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة أو ابن زبان ، وكان يومئذ سيد الأحابيش ، وهو أحد بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا من قوم

---

(١) الواهية : المسترخية من اتساعها .   (٢) جبهوهم : واجهوهم بما يكرهون .

(٣) عيبة نصح الرجل : موضع سره .

يتألهون ، فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه ، فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض[1] الوادى فى قلائده[2] ، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله ، رجع إلى قريش ، ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاما لما رأى ، فقال لهم ذلك . قال : فقالوا له : اجلس ، فإنما أنت أعرابى لا علم لك .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن الحليس غضب عند ذلك وقال : يامعشر قريش ، والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم . أيصد عن بيت الله من جاء معظما له ! والذى نفس الحليس بيده ، لتخلن بين محمد وبين ما جاء له ، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد . قال فقالوا له : مه ، كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

قال الزهرى فى حديثه : ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفى ؛ فقال : يا معشر قريش ، إنى قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه إلى محمد إذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والد وأنى ولد — وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس — وقد سمعت بالذى نابكم ، فجمعت من أطاعنى من قومى ، ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسى ؛ قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم . فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس بين يديه ثم قال : يامحمد ، أجمعت أوشاب الناس[3] ، ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها[4] بهم ، إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل . قد لبسوا جلود النمور ، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبدا . وايم الله ، لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا . قال : وأبو بكر الصديق خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد ؛ فقال : امصص بظر اللات ، أنحن تنكشف عنه ؟ قال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبى قحافة ، قال : أما والله لولا يد كانت لك عندى لكافأتك بها ، ولكن هذه بها ، قال : ثم جعل يتناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه . قال : والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديد . قال : فجعل يقرع يده إذا تناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول : اكفف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لا تصل إليك ؛ قال : فيقول عروة : ويحك ! ما أفظك وأغلظك ! قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال له عروة : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة ؛ قال : أى غدر ، وهل غسلت سوءتك إلا بالأمس .

---

(١) عرض الوادى : جانبه . (٢) القلائد : ما يعلق فى أعناق الإبل علامة على أنها هدى.

(٣) أوشاب الناس : أخلاطهم . (٤) بيضة الرجل : عشيرته. ويفضها : يهلكها .

قال ابن هشام : أراد عروة بقوله هذا أن المغيرة بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلا من بنى مالك ، من ثقيف ، فتهايج الحيان من ثقيف : بنو مالك رهط المقتولين ، والأحلاف رهط المغيرة ، فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية ، وأصلح ذلك الأمر .

قال ابن إسحاق : قال الزهرى : فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو مما كلم به أصحابه ، وأخبره أنه لم يأت يريد حربا .

فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ، ولا يبصق بصاقا إلا ابتدروه . ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه . فرجع إلى قريش ، فقال : يامعشر قريش ، إنى قد جئت كسرى فى ملكه ، وقيصر فى ملكه . والنجاشى فى ملكه ، وإنى والله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه ، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبدا ، فروا رأيكم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش ابن أمية الخزاعى ، فبعثه إلى قريش بمكة ، وحمله على بعير له يقال له الثعلب ، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرادوا قتله ، فمنعته الأحابيش ، فخلوا سبيله ، حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعض من لا أتهم عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس : أن قريشا كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين رجلا ، وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً ، فأخذوا أخذا ، فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعفا عنهم ، وخلى سبيلهم ، وقد كانوا رموا فى عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل .

ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة ، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله ، إنى أخاف قريشا على نفسى . وليس بمكة من عدى بن كعب أحد يمنعنى ، وقد عرفت قريش عداوتى إياها ، وغلظتى عليها ، ولكنى أدلك على رجل أعز بها منى ، عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان ، فبعثه إلى أبى سفيان وأشراف قريش ، يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وأنه إنما جاء زائرا لهذا البيت ، ومعظما لحرمته .

قال ابن إسحاق : فخرج عثمان إلى مكة ، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة ، أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به ؛ فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم . واحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قتـــل .

بيعة الرضوان

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : لا نبرح حتى نناجز القوم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة . فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت ، وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على أن لا نفر .

فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها ، إلا الجد بن قيس ، أخو بنى سلمة ، فكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكأنى أنظر إليه لاصقا بإبط ناقته . قد ضبأ[1] إليها ، يستتر بها من الناس . ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذى ذكر من أمر عثمان باطل .

قال ابن هشام : فذكر وكيع عن إسماعيل بن أبى خالد ، عن الشعبى : أن أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان أبو سنان الأسدى .

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به عمن حدثه بإسناد له ، عن ابن أبى مليكة عن ابن أبى عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع لعثمان ، فضرب بإحدى يديه على الأخرى .

أمر الهدنة : قال ابن إسحاق : قال الزهرى : ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو ، أخا بنى عامر بن لؤى ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا له : ائت محمداً فصالحه ، ولا يكن فى صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبدا . فأتاه سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا ، قال : قد أراد القوم الصلح

---

(١) ضبأ إليها : احتمى بها .

حين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فأطال الكلام ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح .

فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر بن الخطاب ، فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال . بلى ، قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : فعلام نعطى الدنية(١) فى ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عمر ، الزم غرزه(٢) ، فإنى أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ألست برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ؛ قال : فعلام نُعطى الدنية فى ديننا ؟ قال : أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ، ولن يضيعنى ! قال : فكان عمر يقول : ما زلت أتصدق وأصوم وأصلى وأعتق ، من الذى صنعت يومئذ ، مخافة كلامى الذى تكلمت به ، حتى رجوت أن يكون خيراً .

شروط الصلح : قال : ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال ؛ أكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن أكتب : باسمك اللهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم ، فكتبها ، ثم قال : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ، قال : فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، قال : فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وإن بيننا عيبة مكفوفة (٣) ، وأنه لا إسلال ولا إغلال (٤) ، وأنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه .

فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن فى عقد محمد وعهده ، وتواثبت بنو بكر ، فقالوا : نحن فى عقد قريش وعهدهم وأنك ترجع عنا عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل ، خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثا ، معك سلاح الراكب ، السيوف فى القرب ، لا تدخلها بغيرها .

---

(١) الدنية : الذل . (٢) الزم غرزه : أى الزم أمره .

(٣) عيبة مكفوفة : أى صدور منطوية على ما فيها .

(٤) الإسلال : السرقة خفية . الإغلال : الخيانة .

أبو جندل بن سهيل : فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو ، إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى الحديد ، قد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون فى الفتح ، لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع ، وما تحمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم ، حتى كادوا يهلكون ، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه ، وأخذ بتلبيبه ، ثم قال : يا محمد ، قد لجت[1] القضية بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال : صدقت ، فجعل ينتره بتلبيبه ، ويجره ليرده إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ، أأرد إلى المشركين يفتنونى فى دينى ؟ فزاد ذلك الناس إلى ما بهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا جندل ، أصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا ، وأعطيناهم على ذلك ، وأعطونا عهد الله ؛ وإنا لا نغدر بهم ، قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يمشى إلى جنبه ؛ ويقول : أصبر يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب . قال : ويدنى قائم السيف منه . قال : يقول عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه ، فضن الرجل بأبيه ، ونفذت القضية .

من شهدوا على الصلح : فلما فــرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب أشهد على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سُهيل بن عمرو ، وسعد بن أبى وقاص ومحمود بن مسلمة ، ومكرز بن حفص ، وهو يومئذ مشرك ، وعلى بن أبى طالب وكتب ، وكان هو كاتب الصحيفة .

الإحلال : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطربا فى الحل وكان يصلى فى الحرم ، فلما فرغ من الصلح قدم إلى هديه فنحره ، ثم جلس فحلق رأسه ، وكان الذى حلقه ، فيما بلغنى ، فى ذلك اليوم خراش بن أمية بن الفضل الخزاعى ، فلما رأى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : حلق رجال يوم الحديبية ، وقصر آخرون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحم الله المحلقين قالوا : والمقصرين يارسول الله؟ قال: يرحم الله المحلقين ، قالوا : والمقصرين يارسول الله ؟ قال:

---

(١) لجت : تمت .

يرحم الله المحلقين ، قالوا : والمقصرين يارسول الله ؟ قال : والمقصرين ، فقالوا : يارسول الله : فلم ظاهرت[1] الترحيم للمحلقين دون المقصرين ؟ قال : لم يشكّوا .

وقال عبد الله بن أبي نجيح : حدثني مجاهد ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى عام الحديبية في هداياه جملا لأبي جهل ، في رأسه برة[2] من فضة ، يغيظ بذلك المشركين .

نزول سورة الفتح : قال الزهري في حديثه : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قافلا ، حتى إذا كان بين مكة والمدينة ، نزلت سورة الفتح : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما » .

ثم كانت فيه وفي أصحابه ، حتى انتهى من ذكر البيعة ، فقال جل ثناؤه : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله ، فسيؤتيه أجراً عظيما » .

ثم ذكر من تخلف عنه من الأعراب ، ثم قال : حين استفزهم للخروج معه فأبطئوا عليه : « سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا » . ثم القصة عن خبرهم ، حتى انتهى إلى قوله : « سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم ، يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل » . . . ثم القصة عن خبرهم وما عرض عليهم من جهاد القوم أولى البأس الشديد .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : فارس . قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن الزهري أنه قال : أولوا البأس الشديد : حنيفة مع الكذاب .

ثم قال تعالى : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم ، وأثابهم فتحا قريباً . ومغانم كثيرة يأخذونها ، وكان الله عزيزا حكيما . وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه ، وكف أيدي الناس عنكم ، ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيما . وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها ، وكان الله على كل شيء قديراً .

---

(١) ظاهرت : قويت وأكدت .
(٢) البرة : حلقة تجعل في أنف البعير ليذل بها وكانت في العادة من خشب أو شعر .

ثم ذكر محبسه وكفه إياه عن القتال ، بعد الظفر منه بهم ، يعنى النفر الذين أصاب منهم وكفهم عنه ، ثم قال تعالى : « وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم ، وكان الله بما تعملون بصيراً » . ثم قال تعالى : « هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفاً أن يبلغ محله » .

قال ابن هشام المعكوف : المحبوس ، قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

وكأن السموط عكّفه السلـــ ... ـك بعطفَىْ جيداء أم غزال [1]

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : « ولولا رجالا مؤمنون ونساء مؤمنات لم يعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم » ، والمعرة : الغرم ، أى أن تصيبوا منهم معرة بغير علم فتخرجوا ديته ، فأما إثم فلم يخشه عليهم .

قال ابن هشام : بلغنى عن مجاهد أنه قال : نزلت هذه الآية فى الوليد بن الوليد بن المغيرة ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبى ربيعة ، وأبى جندل بن سهيل ، وأشباههم .

قال ابن إسحاق : ثم قال تبارك وتعالى : « إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية ، حمية الجاهلية » يعنى سهيل بن عمرو حين حمى أن تكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، وأن محمداً رسول الله ، ثم قال تعالى : « فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وألزمهم كلمة التقوى » ، وكانوا أحق بها وأهلها » أى التوحيد ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله .

ثم قال تعالى : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم مالم تعلموا » . أى لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم التى رأى ، أنه سيدخل مكة آمنا لا يخاف ؛ يقول : محلقين رءوسكم ، ومقصرين معه لا تخافون ، فعلم من ذلك مالم تعلموا ، فجعل من دون ذلك فتحا قريبا ، صلح الحديبية .

يقول الزهرى : فما فتح فى الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، فلما كانت المدنة ، ووضعت الحرب ، وآمن الناس بعضهم بعضاً ، والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه ولقد دخل تينك السنتين مثل من كان فى الإسلام قبل ذلك أو أكثر .

قال ابن هشام : والدليل على قول الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية

---

(١) السموط : جمع سمط : وهو القلادة .

فى ألف وأربعمائة ، فى قول جابر بن عبد الله ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين فى عشرة آلاف .

أمر المستضعفين بمكة بعد الصلح

قصة أبى بصير : قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه أبو بصير عتبة[1] بن أسيد بن جارية ، وكان ممن حبس بمكة ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب فيه أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثا رجلا من بنى عامر بن لؤى ، ومعه مولى لهم ، فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب الأزهر والأخنس ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا فى ديننا الغدر ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، فانطلق إلى قومك ؛ قال : يا رسول الله ، أتردنى إلى المشركين يفتنوننى فى دينى ؟ قال : يا أبا بصير ، انطلق فإن الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا .

فانطلق معهما ، حتى إذا كان بذى الحليفة[2] ، جلس إلى جدار ، وجلس معه صاحباه ، فقال أبو بصير : أصارم سيفك هذا يا أخا بنى عامر ؟ فقال : نعم ؛ قال : أنظر إليه ؟ قال : انظر ، إن شئت . قال : فاستله أبو بصير ، ثم علاه به حتى قتله ، وخرج المولى سريعا حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم طالعا ، قال : إن هذا الرجل قد رأى فزعا ؛ فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ويحك ! مالك ؟ قال : قتل صاحبكم صاحبى . فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحا بالسيف حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، وفت ذمتك ، وأدى الله عنك ، أسلمتنى بيد القوم وقد امتنعت بدينى أن أفتن فيه ، أو يعبث بى . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويل أمه محش حرب[3] لو كان معه رجال !

---

(١) وقيل : عبيد.

(٢) ميقات أهل المدينة . بينها وبين المدينة ستة أميال .

(٣) وفى الصحيح ويل أمه مسعر حرب، ويقال حششت النار ، وأرثتها ، وأذكيتها ، وأثقلتها وسعرتها بمعنى واحد .

ثم خرج أبو بصير حتى نزل العيص ، من ناحية ذى المروة ، على ساحل البحر ، بطريق قريش التى كانوا يأخذون عليها إلى الشام ، وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بصير : « ويل أمه محش حرب لو كان معه رجال » ، فخرجوا إلى أبى بصير بالعيص ، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلا ، وكانوا قد ضيقوا على قريش ، لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمر بهم عير إلا اقتطعوها حتى كتبت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأل بأرحامها إلا آواهم ، فلا حاجة لهم بهم : فآواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا عليه المدينة .

قال ابن هشام : أبو بصير ثقفى .

قال ابن إسحاق : فلما بلغ سهيل بن عمرو قتل أبى بصير صاحبهم العامرى ، أسند ظهره إلى الكعبة ، ثم قال : والله لا أؤخر ظهرى عن الكعبة حتى يودى هذا الرجل ؛ فقال أبو سفيان ابن حرب : والله إن هذا لهو السفه ، والله لا يودى فقال فى ذلك موهب بن رياح أبو أنيس ، حليف بنى زهرة :

— قال ابن هشام : أبو أنيس أشعرى —

أتانى عن سهيل ذرء قول ... فأيقظنى وما بى من رقاد[1]

فإن تكن العتاب تريد منى ... فعاتبنى فما بك من بعادى

أتوعدنى وعبد مناف حولى ... بمخزوم ألهفا من تعادى

فإن تغمز قناتى لا تجدنى ... ضعيف العود فى الكرب الشداد

أسامى الأكرمين أبا بقومى ... إذا وطىء الضعيف بهم أرادى[2]

هم منعوا الظواهر غير شك ... إلى حيث البواطن فالعوادى

بكل طمرة وبكل نهد ... سواهم قد طوين من الطراد[3]

لهم بالخيف قد علمت معد ... رواق المجد رفع بالعماد[4]

---

(١) ذرء : طرف .

(٢) أرادى : أرامى .

(٣) الطمرة : الفرس السريعة . النهد : الغليظ . طوين : ضمفن . والطراد : الهجوم .

(٤) الخيف : موضع فى منى . الرواق : بيت كالخيمة يحمل على عمود طويل .

فأجابه عبد الله بن الزبعرى ، فقال :

وأمسى موهب كحمار سوء أجاز ببلدة فيها يُنادي
فإن العبد مثلك لا يناوى سهيلا ضل سعيك من تُعادى[١]
فاقصر يابن قين السوء عنه وعد عن المقالة فى البلاد
ولا تذكر عتاب أبى يزيد فهيهات البحور من الثماد[٢]

أمر المهاجرات بعد الهدنة

قال ابن إسحاق : وهاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط فى تلك المدة ، فخرج أخواها عمارة والوليد ابنا عقبة ، حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه أن يردها عليهما بالعهد الذى بينه وبين قريش فى الحديبية ، فلم يفعل ، أبى الله ذلك .

قال ابن إسحاق : فحدثنى الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، قال : دخلت عليه وهو يكتب كتابا إلى ابن أبى هنيدة ، صاحب الوليد بن عبد الملك ، وكتب إليه يسأله عن قول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ، الله أعلم بإيمانهن ، فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار ، لاهن حل لهم ، ولا هم يحلون لهن ، وآتوهم ما أنفقوا ، ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ، ولا تمسكوا بعصم الكوافر » .

— قال ابن هشام : واحدة العصم : عصمة ، وهى الحبل والسبب . قال أعشى بنى قيس ابن ثعلبة :

إلى المرء قيس نطيل السُّرى ونأخذ من كل حى عِصم

وهذا البيت فى قصيدة له .

---

(١) لايناوى : لايعادى.

(٢) الثماد : الماء القليل .

« واسئلوا ما أنفقتم ، وليسئلوا ما أنفقوا ، ذلكم حكم الله يحكم بينكم ، والله عليم حكيم » .

قال : فكتب إليه عروة بن الزبير : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان صالح قريشا يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بغير إذن وليه ؛ فلما هاجر النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الإسلام ، أبى الله أن يرددن إلى المشركين إذا هن امتحن بمحنة الإسلام ، فعرفوا أنهن إنما جئن رغبة فى الإسلام ، وأمر برد صدقاتهن إليهم إن احتبسن عنهم ، إن هم ردوا على المسلمين صداق من حبسوا عنهم من نسائهم ، ذلكم حكم الله يحكم بينكم ، والله عليم حكيم . فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ورد الرجال ، وسأل الذى أمره الله به أن يسأل من صدقات نساء من حبسوا منهن ، وأن يردوا عليهم مثل الذى يردون عليهم ، إن هم فعلوا ، ولولا الذى حكم الله به من هذا الحكم لرد رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء كما رد الرجال ، ولولا الهدنة والعهد الذى كان بينه وبين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء ، ولم يردد لهن صداقا ، وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد .

قال ابن إسحاق : وسألت الزهرى عن هذه الآية ، وقول الله عز وجل فيها : « وإن فاتكم شىء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم ، فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا ، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون » فقال : يقول : إن فات أحداً منكم أهله إلى الكفار ، ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذى يأخذون منكم ، فعوضوهم من فىء إن أصبتموه ؛ فلما نزلت هذه الآية : « يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات » ... إلى قول الله عز وجل : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » ، كان ممن طلق عمر بن الخطاب ، طلق امرأته قُرَيبة بنت أبى أمية بن المغيرة ، فتزوجها بعده معاوية بن أبى سفيان ، وهما على شركهما بمكة ، وأم كلثوم بنت جرول أم عبيد الله بن عمر الخزاعية ، فتزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم ، رجل من قومه ، وهما على شركهما .

بشرى فتح مكة : قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة : أن بعض من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لما قدم المدينة : ألم تقل يا رسول الله إنك تدخل مكة آمنا ؟ قال: بلى ، أفقلت لكم من عامى هذا ؟ قالوا : لا ، قال : فهو كما قال لى جبريل عليه السلام .

ذكر المسير إلى خيبر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبدالله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبي قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ، وولى تلك الحجة المشركون ، ثم خرج فى بقية المحرم إلى خيبر .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثى ، ودفع الراية إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكانت بيضاء .

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى عن أبى الهيثم بن نصر بن دُهر الأسلمى أن أباه حدثه : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى مسيره إلى خيبر لعامر ابن الأكوع ، وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع ، وكان اسم الأكوع سنان : أنزل يابن الأكوع ، فخذ لنا من هناتك(١) ، قال : فنزل يرتجز برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

إنا إذا قوم بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

فأنزلنْ سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحمك الله ؛ فقال عمر بن الخطاب : وجبت والله يا رسول الله ، لو أمتعتنا به ! فقتل يوم خيبر شهيدا ، وكان قتله ، فيما بلغنى ، أن سيفه رجع عليه وهو يقاتل ، فكلمه كلما شديداً ، فمات منه ؛ فكان المسلمون قد شكوا فيه ، وقالوا : إنما

---

(١) هناتك : جمع الهنة : كناية عن كل شىء لا تعرف اسمه ، أو تعرفه ، فتكنى عنه ، وأصل الهنة : هنة وهنوة . قال الشاعر :

* على هنوات شأنها متتابع *

وفى البخارى : أن رجلا قال لابن الأكوع : ألا تنزل فتسمعنا من هنياتك ، صغره بالهاء، ولو صغره على لغة من قال هنوات لقال هنيانك ، وإنما أراد — صلى الله عليه وسلم — أن يحدو بهم ، والإبل تستحث بالحداء ، ولا يكون الحداء إلا بشعر أو رجز .

قتله سلاحه ، حتى سأل ابن أخيه سلمة بن عمرو بن الأكوع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وأخبره بقول الناس ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه لشهيد ، وصلى عليه ، فصلى عليه المسلمون .

قال ابن إسحاق : حدثني من لا أتهم ، عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي ، عن أبيه ، عن أبي معتب بن عمرو : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خيبر قال لأصحابه ، وأنا فيهم : قفوا ، ثم قال : اللهم رب السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها ، أقدموا بسم الله . قال : وكان يقولها عليه السلام لكل قرية دخلها .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا قوما لم يغر عليهم حتى يصبح ، فإن سمع أذانا أمسك ، وإن لم يسمع أذانا أغار ، فنزلنا خيبر ليلا ، فبات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا أصبح لم يسمع أذانا ، فركب وركبنا معه ، فركبت خلف أبي طلحة ، وإن قدمي لتمس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستقبلنا عمال خيبر غادين ، قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم(١) ، فلما رأوا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم والجيش ، قالوا : محمد والخميس(٢) معه ! فأدبروا هرابا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .

قال ابن إسحاق : حدثنا هارون عن حميد ، عن أنس بمثله .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عصر ، فبنى له فيها مسجد ، ثم على الصهباء ، ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بجيشه ، حتى نزل بواد يقال له الرجيع ، فنزل بينهم وبين غطفان ، ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر ، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فبلغني أن غطفان لما سمعت بمنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر جمعوا له ، ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه ، حتى إذا ساروا منقلة(٣) سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حسا ،

---

(١) المساحي : مجارف الحديد . المكاتل : القفف الكبيرة .

(٢) الخميس : الجيش . (٣) منقلة : مرحلة .

ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم ، فأقاموا فى أهليهم وأموالهم ، وخلوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين خيبر .

وتدنى[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم الأموال يأخذها مالا مالا ، ويفتحها حصنا حصنا، فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم ، وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقيت عليه منه رحا فقتلته ، ثم القموص ، حصن بنى أبى الحقيق ،وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم سبايا ، منهن صفية بنت حيي بن أخطب ، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، وبنتى عم لها ؛ فاصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه .

وكان دحية بن خليفة الكلبي قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية فلما أصفاها لنفسه أعطاه ابنتى عمها ، وفشت السبايا من خيبر فى المسلمين .

أشياء نهى عنها الرسول يوم خيبر : وأكل المسلمون لحوم الحمر الأهلية من حمرها ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنهى الناس عن أمور سماها لهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن عمرو بن ضمرة الفزارى عن عبد الله بن أبى سليط ، عن أبيه ، قال : أتانا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل لحوم الحمر الإنسية ، والقدور تفور بها ، فكفأناها على وجوهها .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن مكحول : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاهم يومئذ عن إتيان الحبالى من السبايا ، وعن أكل الحمار الأهلى ، وعن أكل كل ذى ناب من السباع ، وعن بيع المغانم حتى تقسم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سلام بن كركرة ، عن عمرو بن دينار ؛ عن جابر بن عبد الله الأنصارى ، ولم يشهد جابر خيبر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر ، أذن لهم فى أكل لحوم الخيل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى مرزوق مولى تُجيب ؛ عن حنش الصنعانى ، قال : غزونا مع رويفع بن ثابت الأنصارى المغرب ، فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جربة ، فقام فينا خطيبا ، فقال : يأيها الناس ، إنى لا أقول فيكم إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله فينا يوم خيبر ، قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) تدنى : أى أخذ الأدنى فالأدنى .

فقال : لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماؤه زرع غيره ، يعنى إتيان الحبالى من السبايا ، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبى حتى يستبرئها ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنما حتى يقسم ، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فىء المسلمين حتى إذا أعجفها ردها فيه ؛ ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوبا من فىء المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن عبد الله بن قسيط : أنه حدث عن عبادة بن الصامت ، قال : نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن أن نبيع أو نبتاع تبر الذهب بالذهب العين ، وتبر الفضة بالورق العين ، وقال : ابتاعوا تبر الذهب بالورق العـــين ، وتبر الفضة بالذهب العين .

قال ابن إسحاق : ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتدنى الحصون والأموال .

بنى سهم : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدثه بعض أسلم : أن بنى سهم من أسلم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا ؛ والله يا رسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا من شىء ، فلم يجدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً يعطيهم إياه ، فقال : اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوة ، وأن ليس بيدى شىء أعطيهم إياه ، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء ، وأكثرها طعاما وودكا ، فغدا الناس ، ففتح الله عز وجل حصن الصعب بن معاذ ، وما بخيبر حصن كان أكثر طعاما وودكا منه .

مقتل مرحب : قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما افتتح ، وحاز من الأموال ما حاز ، انتهوا إلى حصنيهم الوطيح والسلالم ، وكان آخـــر حصون أهل خيبر افتتاحا ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليهم بضع عشرة ليلة .

قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يوم خيـــبر : يا منصور أمت أمت .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل ؛ أخو بنى حارثة ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرج مرحب اليهودى من حصنهم ، قد جمع سلاحه ، يرتجـــز وهو يقول :

قد علمت خيبر أنى مَرحبُ　　　شاكى السلاح بطل مجرب

أطعن أحيانا وحيناً أضرب إذا الليوث أقبلت تحرب[1]

إن حماى للحمى لا يُقرب

وهو يقول : من يبارز ؟ فأجابه كعب بن مالك ، فقال :

قد علمت خيبر أنى كعب مفرج الغمّى جرىء صلب

إذ شبت الحرب تلتها الحرب معى حسام كالعقيق عضب

نطؤكم حتى يذل الصعب نعطى الجزاء أو يفىء النهب

بكف ماض ليس فيه عتب

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارى :

قد علمت خيبر أنى كعب وأننى متى تشب الحرب

ماض على الهول جرىء صلب معى حسام كالعقيق عضب

بكف ماض ليس فيه عتب ندككم حتى يذل الصعب

قال ابن هشام : ومرحب من حمير .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن سهل ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى .
قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لهذا ؟ قال محمد بن مسلمة : أنا له يا رسول الله ، أنا والله ، الموتور الثائر ، قتل أخى بالأمس ، فقال : فقم إليه ، اللهم أعنه عليه . قال : فلما دنا أحدهما من صاحبه ، دخلت بينهما شجرة عمرية[2] من شجر العشر ، فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه ، كلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها ، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرجل القائم ، ما فيها فنن ، ثم حمل مرحب على محمد بن مسلمة ، فضربه ، فاتقاه بالدرقة ، فوقع سيفه فيها ، فعضت به فأمسكته ، وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله .

مقتل ياسر : قال ابن إسحاق : ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر ، وهو يقول : من يبارز ، فزعم هشام بن عروة أن الزبير بن العوام خرج إلى ياسر ، فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب:

---

(١) تحرب : مغضبة . (٢) عمرية : عجوز .

يقتل ابني يا رسول الله ! قال : بل ابنك يقتله إن شاء الله . فخرج الزبير فالتقيا ، فقتله الزبير .

قال ابن إسحاق : فحدثني هشام بن عروة : أن الزبير كان إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ لصارماً عضبا ، قال : والله ما كان صارما ، ولكني أكرهته .

فتح خيبر على يد علي : قال ابن اسحاق : وحدثني بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن أبيه سفيان ، عن سلمة بن عمرو بن الأكوع ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه برايته ، وكانت بيضاء ، فيما قال ابن هشام ، إلى بعض حصون خيبر ، فقاتل ، فرجع ولم يك فتح ، وقد جهد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، ليس بفرار . قال : يقول سلمة ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضوان الله عليه ، وهو أرمد ، فتفل في عينه ، ثم قال : خذ هذه الراية ، فامض بها حتى يفتح الله عليك .

قال : يقول سلمة : فخرج والله بها يأنح[1] يهرول هرولة ، وإنا لخلفه نتبع أثره ، حتى ركز رايته في رضم[2] من حجارة تحت الحصن ، فأطلع إليه يهودي من رأس الحصن ، فقال: من أنت ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب . قال : يقول اليهودي : علوتم ، وما أنزل على موسى ، أو كما قال . قال : فما رجع حتى فتح الله على يديه .

قال ابن إسحاق : حدثني عبدالله بن الحسن ، عن أبي رافع ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خرجنا مع علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برايته ؛ فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم ، فضربه رجل من يهود ، فطاح ترسه من يده ، فتناول علي عليه السلام باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتني في نفر سبعة معي : أنا ثامنهم ، نجهد على أن نقلب ذلك الباب ، فما نقلبه .

حديث أبي اليسر : قال ابن إسحاق : وحدثني بريدة بن سيفان الأسلمي ، عن بعض رجال بني سلمة عن أبي اليسر كعب بن عمرو ، قال والله إنا لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ذات عشية ، إذ أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم ، ونحن محاصروهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رجل يطعمنا من هذا الغنم؟ قال أبو اليسر : فقلت أنا يارسول الله ؛ قال: فافعل ؛ قال : فخرجت أشتد مثل الظليم[3] ، فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم موليا قال

---

(١) يأنح : يعلو صوته . (٢) الرضم : الحجارة المجتمعة . (٣) الظليم : ولد النعام

اللهم أمتعنا به ؛ قال : فأدركت الغنم وقد دخلت أولاها الحصن ، فأخذت شاتين من أخراها ، فاحتضنتهما تحت يدى ، ثم أقبلت بهما أشتد ، كأنه ليس معى شىء ، حتى ألقيتهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذبحوهما فأكلوهما ، فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلاكا ، فكان إذا حدث هذا الحديث بكى ، ثم قال : أمتعوا بى ، لعمرى ، حتى كنت من آخرهم هلكا .

صفية رضى الله عنها ، قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم القموص ، حصن بنى أبى الحقيق ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية بنت حيى بن أخطب ، وبأخرى معها ، فمر بهما على قتلى من قتلى يهود ؛ فلما رأتهم التى مع صفية صاحت ، وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها ؛ فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أعزبوا [1] عنى هذه الشيطانة ، وأمر بصفية فحيزت خلفه ، وألقى عليها رداءه ؛ فعرف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال ، فيما بلغنى : حين رأى بتلك اليهودية ما رأى : أنزعت منك الرحمة يا بلال ، حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما ؟ وكانت صفية قد رأت فى المنام وهى عروس بكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، أن قمراً وقع فى حجرها ، فعرضت رؤياها على زوجها ؛ فقال : ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمداً ، فلطم وجهها لطمة خضر عينها منها . فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثر منه ، فسألها ما هو ؟ فأخبرته هذا الخبر .

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكنانة بن الربيع ، وكان عنده كنز بنى النضير ، فسأله عنه ، فجحد أن يكون يعرف مكانه ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من يهود ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة : أرأيت إن وجدناه عندك ، أأقتلك ؟ قال : نعم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت ، فأخرج منها بعض كنزهم ، ثم سأله عما بقى ، فأبى أن يؤديه ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام ، فقال : عذبه حتى تستأصل ما عنده ، فكان الزبير يقدح بزند فى صدره ، حتى أشرف على نفسه ثم دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى محمد بن مسلمة ، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة .

صلح خيبر : وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أهل خيبر فى حصنيهم الوطيح والسلالم ، حتى إذا أيقنوا بالهلكة ، سألوه أن يسيرهم وأن يحقن لهم دماءهم ، ففعل . وكان

(١) أعزبوا : أبعدوا .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز الأموال كلها : الشق ونطاة والكتيبة وجميع حصونهم ، إلا ما كان من ذينك الحصنين . فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا ، بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يسيرهم ، وأن يحقن دماءهم ، ويخلوا له الأموال ، ففعل . وكان فيمن مشى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم فى ذلك محيصة بن مسعود ، أخو بنى حارثة؛ فلما نزل أهل خيبر على ذلك ، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم فى الأموال على النصف ، وقالوا : نحن أعلم بها منكم ؛ وأعمر لها ، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصف ، على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم ؛ فصالحه أهل فدك على مثل ذلك ، فكانت خيبر فيئا بين المسلمين ، وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب .

قصة الشاة المسمومة : فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحارث ، امرأة سلام بن مشكم ، شاة مصلية[1] ، وقد سألت أى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقيل لها : الذراع ؛ فأكثرت فيها من السم ، ثم سمت سائر الشاة ، ثم جاءت بها : فلما وضعتها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تناول الذراع ، فلاك منها مضغة . فلم يسغها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور ، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما بشر فأساغها ، وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ، ثم قال: إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم ، ثم دعا بها ، فاعترفت فقال : ما حملك على ذلك ؟ قالت : بلغت من قومى مالم يخف عليك ، فقلت : إن كان ملكا استرحت منه ، وإن كان نبيا فسيخبر، قال : فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومات بشر من أكلته التى أكل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى مروان بن عثمان بن أبى سعيد بن المعلى ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال فى مرضه الذى توفى فيه . ودخلت أم بشر بنت البراء بن معرور تعوده : يا أم بشر ، إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهرى[2] من الأكلة التى أكلت مع أخيك بخيبر . قال . فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صل الله عليه وسلم مات شهيداً ، مع ما أكرمه الله به من النبوة .

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف إلى وادى القرى ، فحاصر أهله ليالى ، ثم انصرف راجعا إلى المدينة .

---

(١) مصلية : مسمومة .

(٢) الأبهر : عرق من عرقين يخرجان من القلب ومنهما تتشعب الشرايين كلها .

جزاء الغال من الغنيمة : قال ابن إسحاق : فحدثنى ثور بن زيد ، عن سالم ، مولى عبد الله بن مطيع ، عن أبى هريرة ، قال : فلما انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خيبر إلى وادى القرى نزلنا بها أصيلا مع مغرب الشمس ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم غلام له ، أهداه له رفاعة بن زيد الجذامى ، ثم الضبينى .

قال ابن هشام : جذام ، أخو لخم .

قال : فوالله إنه ليضع رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه سهم غرب[1] فأصابه فقتله ، فقلنا : هنيئا له الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا ، والذى نفس محمد بيده ؛ إن شملته الآن لتحترق عليه فى النار ، كان غلها من فىء المسلمين يوم خيبر . قال : فسمعها رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاه فقال : يا رسول الله ، أصبت شراكين لنعلين لى ؛ قال : فقال : يقد لك مثلهما من النار .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن مغفل المزنى ، قال : أصبت من فىء خيبر جراب شحم ، فاحتملته على عاتقى إلى رحلى وأصحابى . قال : فلقينى صاحب المغانم الذى جعل عليها ، فأخذ بناحيته وقال : هلم هذا نقسمه بين المسلمين ، قال : قلت : لا والله لا أعطيكه ، قال : فجعل يجابذنى الجراب . قال : فرآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع ذلك . قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا ، ثم قال لصاحب المغانم : لا أبا لك ، خل بينه قال : فأرسله ، فانطلقت به إلى رحلى وأصحابى ، فأكلناه .

حراسة أبى أيوب الرسول : قال ابن إسحاق : ولما أعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية ، بخيبر أو ببعض الطريق ، وكانت التى جملتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومشطتها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان ، أم أنس بن مالك . فبات بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبة له ، وبات أبو أيوب خالد بن زيد ، أخو بنى النجار متوشحا سيفه ، يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويطيف بالقبة ، حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما رأى مكانه قال : مالك يا أبا أيوب ؟ قال : يارسول الله ، خفت عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكفر ، فخفتها عليك . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى .

بلال يغلبه النوم وهو يرقب الفجر : قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى ، عن سعيد

---

(١) سهم غرب : مجهول الرامى ، لا يعرف من أين أتى .

ابن المسيب ، قال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ، فكان ببعض الطريق قال من آخر الليل : من رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام ؟ قال بلال : أنا يا رسول الله أحفظه عليك . فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل الناس فناموا ، وقام بلال يصلى ، فصلى ما شاء الله عز وجل أن يصلى . ثم استند إلى بعيره ، واستقبل الفجر يرمقه ، فغلبته عينه ، فنام فلم يوقظهم إلا مس الشمس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول أصحابه هب ، فقال : ماذا صنعت بنا يابلال ؟ قال : يارسول الله ، أخذ بنفسي الذى أخذ بنفسك ؛ قال : صدقت ؛ ثم اقتاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيره غير كثير ، ثم أناخ فتوضأ ، وتوضأ الناس ، ثم أمر بلالا فأقام الصلاة ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، فلما سلم أقبل على الناس فقال : « إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها ، فإن الله تبارك وتعالى يقول : « أقم الصلاة لذكرى » .

شعر ابن لقيم فى فتح خيبر : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى ، قد أعطى ابن لقيم العبسى ، حين افتتح خيبر ، ما بها من دجاجة أو داجن ، وكان فتح خيبر فى صفر ، فقال ابن لقيم العبسى فى خيبر :

رُميت نطاة من الرسول بفيلق ... شهباء ذات مناكب وفقار[1]
واستيقنت بالذل لما شُيعت ... ورجال أسلم وسطها وغفار
صبحت بنى عمرو بن زرعة غدوة ... والشق أظلم أهله بنهار[2]
جرّت بأبطحها الذيول فلم تدع ... إلا الدجاج تصيح فى الأسحار
ولكل حصن شاغل من خيلهم ... من عبد أشهل أو بنى النجار
ومهاجرين قد أعلموا سيماهم ... فوق المغافر لم ينوا لفرار[3]
ولقد علمتُ ليغلبن محمد ... وليثوين بها إلى أصفار[4]
فرت يهود يوم ذلك فى الوغى ... تحت العجاج غمائم الأبصار

قال ابن هشام : فرت : كشفت ، كما تفر الدابة بالكشف عن أسنانها ؛ يريد كشفت عن جفون العيون غمائم الأبصار ، يريد الأبصار .

---

(١) نطاة : حصن بخيبر . الشهباء : كثيرة العتاد : تلمع الأسلحة فيها كالشهب .

(٢) الشق : حصن بخيبر . (٣) المغافر : ما توضع على الرءوس وقاية لها من ضرب السلاح .

(٤) ثوين : يقيمن . وأصفار : جمع صفر وهو شهر من الشهور العربية .

قال ابن إسحاق : وشهد خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء من نساء المسلمين ، أرضخ لهن[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفيء ، ولم يضرب لهن بسهم .

قال ابن إسحاق : حدثنى سليمان بن سحيم ، عن أمية بن أبى الصلت ، عن امرأة من بنى غفار ، قد سماها لى ، قالت : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة من بنى غفار ، فقلنا يارسول الله ، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ، وهو يسير إلى خيبر ، فنداوى الجرحى ، ونعين المسلمين بما استطعنا ، فقال : على بركة الله . قالت : فخرجنا معه ، وكنت جارية حدثة ، فأردفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقيبة رحله . قالت : فوالله لنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح وأناخ ، ونزلت عن حقيبة رحله ، وإذا بها دم منى ، وكانت أول حيضة حضتها ، قالت : فتقبضت إلى الناقة واستحييت ؛ فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بى ورأى الدم ، قال : مالك ؟ لعلك نفست ، قالت : قلت : نعم ، قال : فأصلحى من نفسك ، ثم خذى إناء من ماء ، فاطرحى فيه ملحا ، ثم اغسلى به ما أصاب الحقيبة من الدم ثم عودى لمركبك .

قالت : فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر ، رضخ لنا من الفيء ، وأخذ هذه القلادة التى ترين فى عنقى فأعطانيها ، وعلقها بيده فى عنقى ، فوالله لاتفارقنى أبدا .

قالت : فكانت فى عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تدفن معها . قالت : وكانت لاتطهر من حيضة إلا جعلت فى طهورها ملحا ، وأوصت به أن يجعل فى غسلها حين ماتت .

شهداء خيبر : قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد بخيبر من المسلمين ، من قريش . ثم من بنى أمية بن عبد شمس ، ثم من حلفائهم : ربيعة بن أكثم بن سخبرة بن عمرو بن بكير بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد ، وثقيف بن عمرو ، ورفاعة بن مسروح .

ومن بنى أسد بن عبد العزى : عبدالله الهُبيب ، ويقال : ابن الهبيب ، فيما قال ابن هشام ، ابن أهيب بن سحيم بن غيرة ، من بنى سعد بن ليث ، حليف لبنى أسد ، وابن أختهم .

ومن الأنصار ثم من بنى سلمة : بشر بن البراء بن معرور ، مات من الشاة التى سُم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفضيل بن النعمان . رجلان .

ومن بنى زريق : مسعود بن سعد بن قيس بن خلدة بن عامر بن زريق .

---

(١) أرضخ لهن : أعطاهن قليلا أقل من السهم .

ومن الأوس ثم من بنى عبد الأشهل : محمود بن مَسلمة بن خالد بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث ، حليف لهم من بنى حارثة .

ومن بنى عمرو بن عوف : أبو ضياح بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس بن ثعلبة ابن عمرو بن عوف ، والحارث بن حاطب ، وعروة بن مرة بن سراقة ، وأوس بن القائد ، وأنيف بن حبيب ، وثابت بن أثلة ، وطلحة [بن يحيى بن مليل بن ضمرة] .

ومن بنى غفار : عمارة بن عقبة ، رمى بسهم .

ومن أسلم : عامر بن الأكوع ، والأسود الراعى ، وكان اسمه أسلم .

قال ابن هشام : الأسود الراعى من أهل خيبر .

وممن استشهد بخيبر فيما ذكر ابن شهاب الزهرى ، من بنى زهرة : مسعود بن ربيعة ، حليف لهم من القارة .

ومن الأنصار بنى عمرو بن عوف : أوس بن قتادة .

حديث الأسود الراعى فى خيبر : قال ابن إسحاق : وكان من حديث الأسود الراعى ، فيما بلغنى : أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر لبعض حصون خيبر ، ومعه غنم له ، كان فيها أجيراً لرجل من يهود ، فقال : يارسول الله ، اعرض على الإسلام ، فعرضه عليه ، فأسلم - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايحقر أحدا أن يدعوه إلى الإسلام ، ويعرضه عليه - فلما أسلم قال : يارسول الله ، إنى كنت أجيرا لصاحب هذه الغنم ، وهى أمانة عندى ، فكيف أصنع بها ؟ قال : اضرب فى وجوهها ، فإنها سترجع إلى ربها - أو كما قال - فقال الأسود ، فأخذ حفنة من الحصى ، فرمى بها فى وجوهها ، وقال : ارجعى إلى صاحبك ، فوالله لاأصحبك أبداً ، فخرجت مجتمعة ، كأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن ، ثم تقدم إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين ، فأصابه حجر فقتله ، وماصلى لله صلاة قط ؛ فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوُضع خلفه ، وسجى بشملة كانت عليه فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه نفر من أصحابه ، ثم أعرض عنه ، فقالوا : يارسول الله ، لم أعرضت عنه ؟ قال : إن معه الآن زوجته من الحور العين .

قال ابن إسحاق : وأخبرنى عبد الله بن أبى نجيح أنه ذكر له : أن الشهيد إذا ما أصيب تدلت له زوجتاه من الحور العين ، عليه تنفضان التراب عن وجهه ، وتقولان : ترّب الله وجه من تربك ، وقَتَل من قتلك .

حديث الحجاج بن علاط السلمى : قال ابن إسحاق : ولما فتحت خيبر ، كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الحجاج بن علاط السلمى ثم البهزى ، فقال يارسول الله ، إن لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شيبة بنت أبى طلحة — وكانت عنده ، له منها مُعرض بن الحجاج، ومال متفرق فى تجار أهل مكة ، فأذن لى يارسول الله ؛ فأذن له ، قال: إنه لابد لى يارسول الله من أن أقول قال : قل . قال الحجاج : فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالا من قريش يتسمعون الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ، ريفا ومنعة ورجالا ، فهم يتحسسون الأخبار ، ويسألون الركبان ، فلما رأونى قالوا : الحجاج بن علاط — قال : ولم يكونوا علموا بإسلامى — عنده والله الخبر — أخبرنا يا أبامحمد ، فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر ، وهى بلد يهود وريف الحجاز ، قال قلت : قد بلغنى ذلك وعندى من الخبر ما يسركم ، قال : فالتبطوا بجنبْ ناقتى [1] يقولون : إيه ياحجاج ؛ قال ؛ قلت : هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط ، وقتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط، وأسر محمد أسراً ، وقالوا: لانقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم . قال : فقاموا وصاحوا بمكة ، وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم ، فيقتل بين أظهركم . قال: قلت :أعينونى على جمع مالى بمكة وعلى غرمائى ، فإنى أريد أن أقدم خيبر ، فأصيب من فل [2] محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار إلى ما هنالك .

قال ابن هشام : ويقال : من فىء محمد .

قال ابن إسحاقْ: قال : فقاموا فجمعوا لى مالى كأحث [3] جمع سمعت به قال : وجئت صاحبتى فقلت : مالى ، وقد كان لى عندها مال موضوع ، لعلى ألحق بخيبر ، فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقنى التجار ؛ قال فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر ، وجاءه عنى ، أقبل حتى وقف إلى جنبى وأنا فى خيمة من خيام التجار ، فقال : ياحجاج ، ما هذا الخبر الذى جئت به ؟ قال : فقلت : وهل عندك حفظ لما وضعت عندك ؟ قال: نعم . قال: قلت: فاستأخر عنى حتى ألقاك على خلاء ، فإنى فى جمع مالى كما ترى ، فانصرف عنى حتى أفرغ . قال : حتى إذا فرغت من جمع كل شىء كان لى بمكة ، وأجمعت الخروج ، لقيت العباس ، فقلت : احفظ

---

(١) التبطوا : ساروا ملازمين لها . (٢) الفل : المنهزمون .
(٣) كأحث : كأسرع .

علىّ حديثى يا أبا الفضل ، فإنى أخشى الطلب ثلاثا ، ثم قل ما شئت ، قال . افعل ؛ قلت . فإنى والله لقد تركت ابن أخيك عروسا على بنت ملكهم يعنى صفية بنت حيى ، ولقد افتتح خيبر ، وانتثل [1] ما فيها ، وصارت له ولأصحابه ؛ فقال . ما تقول ياحجاج ؟ قال . قلت . إى والله فاكتم عنى ، ولقد أسلمت وما جئت إلا لآخذ مالى ، فرقا من أغلب عليه ، فاذا مضت ثلاث فأظهر أمرك ، فهو والله على ماتحب ، قال . حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له ، وتخلق [2] ، وأخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى الكعبة، فطاف بها ، فلما رأوه قالوا . ياأباالفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة ؛ قال . كلا، والله الذى حلفتم به ، لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على بنت ملكهم ، وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه ؛ قالوا . من جاءك بهذا الخبر ؟ قال . الذى جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلما ، فأخذ ماله ، فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه ، فيكون معه ؛ قالوا . يالعباد الله ! انفلت عدو الله ، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ؛ قال . ولم ينشبوا أن جاءهم الخبر بذلك .

ما قيل من الشعر فى خيبر : قال ابن إسحاق . وكان مما قيل من الشعر فى يوم خيبر قول حسان بن ثابت :

بئسما قاتلت خيابر عما ... جمعوا من مزارع ونخيل [3]
كرهوا الموت فاستبيح حماهم ... وأقروا فعل اللئيم الذليل
أمن الموت يهربوا فإن المو ... ت موت الهزال غير جميل

وقال حسان بن ثابت أيضاً ، وهو يعذر أيمن بن وأم أيمن بن عبيد ، كان قد تخلف عن خيبر ، وهو من بنى عوف بن الخزرج ، وكانت أمه أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى أم أسامة بن زيد ، فكان أخا أسامة لأمه :

على حين أن قالت لأيمن أمه ... جبنت ولم تشهد فوارس خيبر

---

(١) انتثل . استخرج .
(٢) تخلق . تطيب بالخلوق وهو أنواع من الطيب يغلب عليها الزعفران .
(٣) الخيابر : أهل خيبر .

وأيمن لم يجبن ولكن مهره أضر به شرب المديد المخمر[1]
ولولا الذى قد كان من شأن مهره لقاتل فيهم فارسا غير أعسر
ولكنه قد صده فعل مهره وما كان منه عنده غير أيسر

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد هذه الأبيات لكعب بن مالك ، وأنشدنى :

ولكنه قد صده شأن مهره وما كان لولا ذاكم بمقصر

قال ابن إسحاق : وقال ناجية بن جندب الأسلمى :

يا لعباد لله فيم يُرغب ما هو إلا مأكل ومشرب
وجنة فيها نعيم معجب

وقال ناجية بن جندب الأسلمى أيضاً :

أنا لمن أنكرنى ابن جندب يارب قرن فى مَكرّى أنكب
طاح بمغدَى أنسر وثعلب

قال ابن هشام : وأنشدنى بعض الرواة للشعر قوله : « فى مكرى » ، و « طاح بمغدى » .

وقال كعب بن مالك فى يوم خيبر ، فيما ذكر ابن هشام ، عن أبى زيد الأنصارى :

ونحن وردنا خيبراً وفروضه بكل فتى عارى الأشاجع مذود[2]
جواد لدى الغايات لا واهن القوى جرىء على الأعداء فى كل مشهد
عظيم رماد القدر فى كل شتوة ضروب بنصل المشرفى المهند
يرى القتل مدحا إن أصاب شهادة من الله يرجوها وفوزا بأحمد
يذود ويحمى عن ذمار محمد ويدفع عنه باللسان وباليد
وينصره من كل أمر يريبه يجود بنفس دون نفس محمد
يصدق بالأنباء بالغيب مخلصا يريد بذاك الفوز والعز فى غد

تقسيم خيبر وأموالها : قال ابن إسحاق : وكانت المقاسم على أموال خيبر ، على الشق ونطاة والكتيبة فكانت الشق ونطاة فى سهمان المسلمين ، وكانت الكتيبة خمس الله ، وسهم

---

(١) المديد المخمر : دقيق يخلط بالماء ويترك حتى يخمر .

(٢) الفروض : أماكن فى الأنهار يشرب منها . الأشاجع : عروق ظاهر اليد . مذود : مانع .

النبي صلى الله عليه وسلم ، وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين ، وطُعْم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وطعم رجال مشوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل فدك بالصلح ؛ منهم محيصة بن مسعود ، أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين وسقا [١] من شعير ، وثلاثين وسقا من تمر ، وقسمت خيبر على أهل الحديبية ، من شهد خيبر ، ومن غاب عنها ، ولم يغب عنها إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ، فقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم كسهم من حضرها ، وكان واديها ، وادى السريرة ، ووادى خاص [٢] ، وهما اللذان قسمت عليهما خيبر ، وكانت نطاة والشق ثمانية عشر سهما ، نطاة من ذلك خمسة أسهم ، والشق ثلاثة عشر سهما ، وقسمت الشق ونطاة على ألف سهم ، وثمانمائة سهم .

وكانت عدة الذين قسمت عليهم خيبر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف سهم وثمانمائة سهم ، برجالهم وخيلهم . الرجال أربع عشرة مئة ، والخيل مئتا فارس ، فكان لكل فرس سهمان ، ولفارسه سهم ، وكان لكل راجل سهم ؛ فكان لكل سهم رأس مُجمع إليه مئة رجل ، فكانت ثمانية عشر سهما مُجمع .

قال ابن هشام : وفى يوم خيبر عرّب رسول الله صلى الله عليه وسلم العربى من الخيل ، وهجّن الهجين .

قال ابن إسحاق : فكان على بن أبى طالب رأسا ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعاصم بن عدى ، أخو بنى العجلان ، وأسيد ابن حضير ، وسهم الحارث بن الخزرج ، وسهم ناعم ، وسهم بنى بياضة ، وسهم بنى عبيد ، وسهم بنى حرام من بنى سلمة ، وعُبيد السهّام .

قال ابن هشام : وإنما قيل له عبيد السهام لما اشترى من السهام يوم خيبر ، وهو عبيد بن أوس ، أحد بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس .

قال ابن إسحاق وسهم ساعدة ، وسهم غفار وأسلم ، وسهم النجار وسهم حارثة ، وسهم أوس . فكان أول سهم خرج من خيبر بنطاة سهم الزبير بن العوام ، وهو الخوع ، وتابعه السُّرير ،

---

(١) الوسق : يريد به هنا إما حمل البعير أو ستين صاعا . ومن معانيه أيضا حمل النخلة وليس مراد هنا .

(٢) قال السهيلى فى الروض الأنف : أنه وادى خلص .

ثم كان الثانى سهم بياضة ، ثم كان الثالث سهم أسيد ثم كان الرابع سهم بنى الحارث بن الخزرج، ثم كان الخامس سهم ناعم لبنى عوف بن الخزرج ومزينه وشركائهم ، وفيه قتل محمود بن مسلمة، فهذه نطاة .

ثم هبطوا إلى الشق ، فكان أول سهم خرج منه سهم عاصم بن عدى ، أخى بنى العجلان ، ومعه كان سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم سهم عبد الرحمن بن عوف ، ثم سهم ساعدة ثم سهم النجار ، ثم سهم على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، ثم سهم طلحة بن عبيد الله ، ثم سهم غفار وأسلم ، ثم سهم عمر بن الخطاب ، ثم سهما سلمة بن عبيد وبنى حرام ، ثم سهم حارثة، ثم سهم عبيد السهام ، ثم سهم أوس ، وهو سهم اللفيف : جمعت إليه جهينة ومن حضر خيبر من سائر العرب ؛ وكان حذوه سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى كان أصابه فى سهم عاصم بن عدى .

ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتيبة ، وهى وادى خاص [1] ، بين قرابته وبين نسائه ، وبين رجال المسلمين ونساء أعطاهم منها ، فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة ابنته مئتى وسق ، ولعلى بن أبى طالب مئة وسق ، ولأسامة بن زيد مئتى وسق ، وخمسين وسقا من نوى ، ولعائشة أم المؤمنين مئتى وسق ، ولأبى بكر بن أبى قحافة مئة وسق ، ولعقيل بن أبى طالب مئة وسق وأربعين وسقا ، ولبنى جعفر خمسين وسقا . ولربيعة بن الحارث مئة وسق وللصلت بن مخرمة وابنيه مئة وسق ، للصلت منها أربعون وسقا ولأبى نبقة [2] خمسين وسقا ، ولركانة بن عبد يزيد خمسين وسقا ، ولقيس بن مخرمة ثلاثين وسقا ، ولأبى القاسم بن مخرمة أربعين وسقا ، ولبنات عبيدة بن الحارث وابنة الحصين بن الحارث مئة وسق ؛ ولبنى عبيد بن عبد يزيد ستين وسقا ، ولابن أوس بن مخرمة ثلاثين وسقا . ولمسطح بن أثاثة وابن إلياس خمسين وسقا ، ولأم رميثة أربعين وسقا ، ولنعيم بن هند ثلاثين وسقا ، ولبحينة بنت الحارث

---

(١) قال السهيلى فى الروض الأنف : وادى خلص .

(٢) هو علقمة بن المطلب ، ويقال : عبد الله بن علقمة ، وقال أبو عمر : هو مجهول ، وقال ابن الفرضى : أبو نبقة بن المطلب بن عبد مناف ، واسم أبى نبقة : عبد الله ، ومن ولده محمد ابن العلاء بن الحسين بن عبد الله بن أبى نبقة ، ومن ولده : أبو الحسين المطلى إمام مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يحيى بن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحسين ابن العلاء بن المغيرة بن أبى نبقة بن المطلب بن عبد مناف .

ثلاثين وسقا ، ولعجيْر بن عبد يزيد ثلاثين وسقا ، ولأم الحَكم [1] ثلاثين وسقا ، ولجمانة بنت أبي طالب ثلاثين وسقا ، ولابن الأرقم خمسين وسقا ، ولعبد الرحمن بن أبي بكر أربعين وسقا ، ولحمنة بنت جحش ثلاثين وسقا ، ولأم الزبير أربعين وسقا ، ولضباعة بنت الزبير أربعين وسقا ، ولابن أبي خنيس ثلاثين وسقا ، ولأم طالب أربعين وسقا ، ولأبي بصرة عشرين وسقا ، ولنميلة الكلبي خمسين وسقا ، ولعبد الله بن وهب وابنتيه تسعين وسقا ، لابنيه منها أربعين وسقا ، ولأم حبيب بنت جحش ثلاثين وسقا ، ولملكو بن عبدة ثلاثين وسقا ، ولنسائه صلى الله عليه وسلم سبع مئة وسق .

قال ابن هشام : قمح وشعير وتمر ونوى وغيرذلك ، قسمه على قدر حاجتهم وكانت الحاجة في بني عبد المطلب أكثر ، ولهذا أعطاهم أكثر .

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر ما أعطى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه من قمح خيبر

قسم لهن مئة وسق وثمانين وسقا ، ولفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وثمانين وسقا ، ولأسامة بن زيد أربعين وسقا ، وللمقداد بن الأسود خمسة عشر وسقا ، ولأم رميثة خمسة أوسق .شهد عثمان بن عفان ، وعباس وكتب .

وصية الرسول عند موته ؛ قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : لم يوص رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته إلا بثلاث ، أوصى للرهاويين بجاد مئة وسق من خيبر ، وللداريين بجاد مئة وسق ، من خيبر ، وللسبائيين ، وللأشعريين بجاد مئة وسق من خيبر ، وأوصى بتنفيذ بعث أسامة ابن زيد بن حارثة ؛ وألا يترك بجزيرة العرب دينان .

خبر فدك : قال ابن اسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك ، حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر ، فبثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصالحونه على النصف من فدك ، فقدمت عليه رسلهم بخيبر ؛ أوبالطائف ، أو بعد ما قدم المدينة ، فقبل ذلك منهم ؛ فكانت فدك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة ، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولاركاب .

---

(1) الصحيح أنها أم حكيم وهي بنت الزبيربن عبد المطلب أخت ضباعة ، وكانت تحت ربيعة ابن الحارث ، وأما أم الحكم فهي بنت أبي سفيان . وهي من مسلمة الفتح . ولولا ذلك لقلت إن ابن إسحاق إياها أراد ، لكنها لم تشهد خيبر ولاكانت أسلمت بعد .

تسمية النفر الداريين

الذين أوصى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر

وهم بنو الدار بن حبيب بن نمارة بن لخم ، الذين ساروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشام : تميم بن أوس ونعيم بن أوس أخوه ، ويزيد بن قيس ، وعرفة بن مالك ، سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن .

ــ قال ابن هشام : ويقال : عزة بن مالك : وأخوه مُران بن مالك .

قال ابن هشام : مروان بن مالك .

قال ابن إسحاق : وفاكه بن نعمان ، وجبلة بن مالك ، وأبو هند بن بر ، وأخوه الطيب بن بر ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، يبعث إلى أهل خيبر عبد الله بن رواحة خارصا[1] بين المسلمين ويهود ، فيخرص عليهم ، فإذا قالوا : تعديت علينا ، قال : إن شئتم فلنا ، فتقول يهود : بهذا قامت السموات والأرض .

وإنما خرص عليهم عبد الله بن رواحة عاما واحداً ، ثم أصيب بمؤتة يرحمه الله ، فكان جبار بن صخر بن أمية بن خنساء ، أخو بنى سلمة ، هو الذى يخرص عليهم بعد عبد الله ابن رواحة .

فأقامت يهود على ذلك ، لا يرى بهم المسلمون بأسا فى معاملتهم ، حتى عدوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن سهل ، أخى بنى حارثة ، فقتلوه ، فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى الزهرى عن سهل بن أبى حثمة ، وحدثنى أيضا بشير بن يسار ، مولى بنى حارثة ، عن سهل بن أبى حثمة ، قال : أصيب عبد الله بن سهل بخيبر ، وكان خرج إليها فى أصحاب له يمتار منها تمراً ، فوجد فى عين قد كسرت عنقه ، ثم طرح فيها ؛ قال : فأخذوه فغيبوه ، ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا له شأنه ، فتقدم إليه أخوه عبد الرحمن بن سهل ، ومعه ابنا عمه حُوَيِّصَة ومُحَيِّصَة ابنا مسعود ،

---

(١) الخارص : الذى يقدر الشىء نظرا بلا وزن ولا كيل ، من الخرص : وهو الظن .

وكان عبد الرحمن من أحدثهم سنا ، وكان صاحب الدم ، وكان ذا قدم فى القوم ، فلما تكلم قبل ابنى عمه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الكُبْرَ الكُبْرَ .

قال ابن هشام : ويقال : كَبِّرْ كبر — فيما ذكر مالك بن أنس — فسكت ، فتكلم هو بعد ، فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قتل صاحبهم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتسمون قاتلكم ، ثم تحلفون عليه خمسين يمينا فنسلمه إليكم ؟ قالوا : يارسول الله ، ما كنا لنحلف على مالا نعلم ؛ قال : أفيحلفون بالله خمسين يمينا ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا ثم يبرءون من دمه ؟ قالوا يارسول الله ، ما كنا لنقبل أيمان يهود ، مافيهم من الكفر أعظم من أن يحلفوا على إثم . قال : فوداه [1] رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده مائة ناقة .

قال سهل : فوالله ما أنسى بكرة منها حمراء ضربتنى وأنا أحوزها .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى ، عن عبد الرحمن بن بجيد بن قيظى ، أخى بنى حارثة ، قال محمد بن إبراهيم : وايم الله ، ما كان سهل بأكثر علما منه ، ولكنه كان أسن منه ، إنه قال له : والله ما هكذا كان الشأن ! ولكن سهلا أوهم ، ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، احلفوا على مالاعلم لكم به ، ولكنه كتب إلى يهود خيبر حين كلمته الأنصار إنه قد وجد قتيل بين أبياتكم فدُوه ، فكتبوا إليه يحلفون بالله ماقتلوه ، ولا يعلمون له قاتلا ، فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عمرو بن شعيب مثل حديث عبد الرحمن بن بجيد ، إلا أنه قال فى حديثه : دوه أو ائذنوا بحرب . فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا ، فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده .

عمر يجلى يهود خيبر : قال ابن إسحاق : وسألت ابن شهاب الزهرى : كيف كان إعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود خيبر نخلهم ، حين أعطاهم النخل على خرجها ، أبتَّ ذلك لهم حتى قبض ، أم أعطاهم إياها للضرورة من غير ذلك ؟ .

فأخبرنى ابن شهاب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عنوة بعد القتال ، وكانت خيبر مما أفاء الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خمسها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقسمها بين المسلمين ، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسول

---

(١) وداه : أعطاهم ديته .

الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها ، وتكون ثمارها بيننا وبينكم ، وأقركم ما أقركم الله ، فقبلوا ، فكانوا يعملونها . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله بن رواحة ، فيقسم ثمرها ، ويعدل عليهم فى الخرص ، فلما توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، أقرها أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيديهم ، على المعاملة التى عاملهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى توفى : ثم أقرها عمر رضى الله عنه صدرا من إمارته . ثم بلغ عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى وجعه الذى قبضه الله فيه : لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان ؛ ففحص عمر ذلك ، حتى بلغه الثبت ، فأرسل إلى يهود ، فقال إن الله عز وجل قد أذن فى جلائكم ، قد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان ، فمن كان عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود فليأتنى به ، أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود ، فليتجهز للجلاء ، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى نافع ، مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر قال : خرجت أنا والزبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها ، فلما قدمنا تفرقنا فى أموالنا ، قال : فعدى على تحت الليل ، وأنا نائم على فراشى ، ففدعت [1] يداى من مرفقى ، فلما أصبحت استصرخ على صاحباى ، فأتيانى فسألانى : من صنع هذا بك ؟ فقلت : لا أدرى ؛ قال : فأصلحا من يدى ، ثم قدما بى على عمر رضى الله عنه ؛ فقال : هذا عمل يهود ، ثم قام فى الناس خطيبا فقال : أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا ، وقد عدوا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه ، كما قد بلغكم ، مع عدوهم على الأنصارى قبله ، لا نشك أنهم أصحابه ، ليس لنا هناك عدو غيرهم ، فمن كان له مال بخيبر فليلحق به ، فإنى مخرج يهود فأخرجهم .

عمر يقسم وادى القرى : قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عبد الله بن مكنف ، أخى بنى حارثة ، قال : لما أخرج عمر يهودَ من خيبر ركب فى المهاجرين والأنصار ، وخرج معه جبار بن صخر بن أمية بن خنساء ، أخو بنى سلمة ، وكان خارص أهل المدينة وحاسبهم — ويزيد بن ثابت ، وهما قسما خيبر بين أهلها ، على أصل جماعة السهمان ، التى كانت عليها .

---

(١) الفدع : اعوجاج فى المفاصل ، كأنها أزيلت عن أماكنها .

وكان ما قسم عمر بن الخطاب من وادى القرى ، لعثمان بن عفان خطر ، ولعبد الرحمن بن عوف خطر ، ولعمر بن أبى سلمة خطر ، ولعامر بن أبى ربيعة خطر ، ولعمرو بن سراقة خطر ولأشيم خطر .

قال ابن هشام : ويقال : ولأسلم ولبنى جعفر خطر ، ولمعيقيب خطر ، ولعبد الله بن الأرقم خطر ، ولعبد الله وعبيد الله خطران ، ولابن عبد الله بن جحش خطر ، ولابن البكير خطر ، ولمعتمر خطر ، ولزيد بن ثابت خطر ، ولأبى بن كعب خطر ، ولمعاذ بن عفراء خطر ، ولأبى طلحة وحسن خطر ، ولجبار بن صخر خطر ، ولجابر بن عبد الله بن وثاب خطر ، ولمالك بن صعصعة وجابر بن عبد الله بن عمرو خطر ، ولعبد الرحمن بن ثابت وأبى شريك خطر ، ولعبادة ابن طارق خطر .

قال ابن هشام : ويقال : لقتادة .

قال ابن إسحاق : ولجبر بن عتيك نصف خطر ، ولابنى الحارث بن قيس نصف خطر ، ولابن حزمة والضحاك خطر ، فهذا ما بلغنا من أمر خيبر ووادى القرى ومقاسمها .

قال ابن هشام : الخطر : النصيب . ويقال أخطر لى فلان خطراً .

قدوم جعفر بن أبى طالب من الحبشة

والمهاجرين معه

قال ابن هشام : وذكر سفيان بن عيينة عن الأجلح ، عن الشعبى : أن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح خيبر ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه [1] ، والتزمه وقال : ما أدرى بأيهما أنا أسر : بفتح خيبر ، أم بقدوم جعفر ؟ .

---

(١) احتج بهذا الحديث الثورى على مالك بن أنس فى جواز المعانقة ، وذهب مالك إلى أنه مخصوص بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وما ذهب إليه سفيان من حمل الحديث على عمومه أظهر ، وقد التزم النبى صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ، حين قدم عليه من مكة . وأما المصافحة باليد عند السلام ففيها أحاديث منها قوله عليه السلام : تمام تحيتكم المصافحة ، ومنها حديث آخر أن أهل اليمن حين قدموا المدينة صافحوا الناس بالسلام فقال النبى صلى الله عليه =

قال ابن إسحاق : وكان من أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري ، فحملهم في سفينتين ، فقدم بهم عليه وهو بخيبر بعد الحديبية .

من بني هاشم بن عبد مناف : جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب ، معه امرأته أسماء بنت عميس الخثعمية ؛ وابنه عبد الله بن جعفر، وكانت ولدته بأرض الحبشة . قتل جعفر بمؤتة من أرض الشام أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، رجل .

ومن بني عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد — قال ابن هشام : ويقال : همينة بنت خلف — وابناه سعيد بن خالد ، وأمة بنت خالد ، ولدتهما بأرض الحبشة . قتل خالد بمرج الصفر في خلافة أبي بكر الصديق بأرض الشام ؛ وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ، معه امرأته فاطمة بنت صفوان ابن أمية بن محرث الكناني ، هلكت بأرض الحبشة . قتل عمرو بأجنادين من أرض الشام في خلافة أبي بكر رضي الله عنه .

ولعمرو بن سعيد يقول أبوه سعيد بن العاص بن أمية أبو أحيحة :

ألا ليت شعري عنك يا عمرو سائلا ... إذا شب واشتدت يداه وسُلحا

أتترك أمر القوم فيه بلابل ... تكشف غيظا كان في الصدر موجحا[1]

ولعمرو وخالد يقول أخوهما أبان بن سعيد بن العاص ، حين أسلما ، وكان أبوهم سعيد بن العاص هلك بالظريبة ، من ناحية الطائف ، هلك في مال له بها :

ألا ليت ميتا بالظريبة شاهد ... لما يفترى في الدين عمرو وخالد

أطاعا بنا أمر النساء فأصبحا ... يعينان من أعدائنا من نكايد

فأجابه خالد بن سعيد ، فقال :

أخي ما أخي لا شاتم أنا عرضه ... ولا هو من سوء المقالة مقصر

= وسلم: إن أهل اليمن قدموا لكم المصافحة، وحديث آخر معناه تنزل على المتصافحين مائة رحمة تسعون منها للبادىء . وعن مالك فيها روايتان : الإباحة والكراهة ، ولا أدري ما وجه الكراهية في ذلك .. عن السهيلي في الروض الأنف .

(١) البلابل : الاضطراب موجحا : مستورا .

يقول إذا اشتدت عليه أمـــوره ألا ليت ميتا بالظريبـــة ينشر

فدع عنك ميتا قـــد مشى لسبيله وأقبلْ على الأدنى الذى هو أفقر

ومعيقيب بن أبى فاطمة، خازن عمر بن الخطاب على بيت مال المسلمين وكان إلى آل سعيد ابن العاص ؛ وأبو موسى الأشعرى عبد الله بن قيس ، حليف آل عتبة بن ربيعة بن عبدشمس ، أربعة نفر.

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : الأسود بن نوفل بن خويلد . رجل .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : جُهم بن قيس بن عبد شرحبيل ، معه ابناه عمرو بن جهم ، وخزيمة بن جهم ، وكانت معه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود هلكت بأرض الحبشة ، وابناه لها . رجل .

ومن بنى زهرة بن كلاب : عامر بن أبى وقاص ، وعتبة بن مسعود ، حليف لهم من هذيل . رجلان .

ومن بنى تَيم بن مرة بن كعب : الحارث بن خالد بن صخر ، وقد كانت معه امرأته ريطة بنت الحارث بن جُبيلة ، هلكت بأرض الحبشة . رجل .

ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب : عثمان بن ربيعة بن أهبان . رجل .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب ، محمية بن الجزء ، حليف لهم من بنى زبيد ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جعله على خمس المسلمين . رجل .

ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى : مَعمر بن عبد الله بن نضلة . رجل .

ومن بنى عامر بن لؤى بن غالب : أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ، ومالك بن ربيعة ابن قيس بن عبد شمس ، معه امرأته عَمرة بنت السعدى بن وقدان بن عبد شمس . رجلان .

ومن بنى الحارث بن فهر بن مالك : الحارث بن عبد قيس بن لقيط . رجل . وقد كان حمل معهم فى السفينتين نساء من نساء من هلك هنالك من المسلمين .

فهؤلاء الذين حمل النجاشى مع عمرو بن أمية الضمرىّ فى السفينتين ، فجميع من قدم فى السفينتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة عشر رجلا .

وكان ممن هاجر إلى أرض الحبشة ، ولم يقدم إلا بعدبدر ، ولم يحمل النجاشى فى السفينتين

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن قدم بعد ذلك ، ومن هلك بأرض الحبشة ، من مهاجرة الحبشة :

من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : عبيد الله بن جحش بن رئاب الأسدى ، أسد خزيمة ، حليف بنى أمية بن عبد شمس ، معه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان ، وابنته حبيبة بنت عبيد الله ، وبها كانت تكنى أم حبيبة بنت أبى سفيان ، وكان اسمها رملة خرج مع المسلمين مهاجرا ، فلما قدم أرض الحبشة تنصربها وفارق الإسلام ، ومات هنالك نصرانيا ، فخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأته من بعده أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، قال : خرج عبيد الله بن جحش مع المسلمين مسلما ، فلما قدم أرض الحبشة تنصر ، قال : فكان إذا مر بالمسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فقحنا وصأصأتم ، أى قد أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ولم تبصروا بعد . وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صأصأ قبل ذلك فضرب ذلك له ولهم مثلا : أى أن قد فتحنا أعيننا فابصرنا ، ولم تفتحوا أعينكم فتبصروا ، وأنتم تلتمسون ذلك .

قال ابن إسحاق : وقيس بن عبد الله ، رجل من بنى أسد بن خزيمة ، وهو أبو أمية بنت قيس التى كانت مع أم حبيبة ؛ وامرأته بركة بنت يسار ، مولاة أبى سفيان بن حرب ، كانتا ظئرى (١) عبيد الله بن جحش ؛ وأم حبيبة بنت أبى سفيان ، فخرجا بهما معهما حين هاجرا إلى أرض الحبشة . رجلان .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، قتل يوم حنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيداً ؛ وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد ، هلك بأرض الحبشة . رجلان .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : أبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ؛ وفراس بن النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبدالدار . رجلان .

ومن بنى زهرة بن كلاب بن مرة : المطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن

---

(١) الظئر : من ترضع غير ولدها .

زهرة ، معه امرأته رملة بنت أبي عوف بن ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم ، هلك بأرض الحبشة ، ولدت له هنالك عبد الله بن عبد المطلب ، فكان يقال : إن كان لأول رجل ورث أباه في الإسلام . رجل .

ومن بني تيم بن مرة بن كعب بن لؤي : عمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، قتل بالقادسية مع سعد بن أبي وقاص . رجل .

ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب : هبار بن سفيان بن عبد الأسد ، قتل بأجنادين من أرض الشام ، في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، وأخوه عبد الله بن سفيان ، قتل عام اليرموك بالشام ، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يشك فيه أقتل ثم أم لا : وهشام [1] بن أبي حذيفة بن المغيرة ، ثلاثة نفر .

ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب : حاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ، وابناه محمد والحارث ، معه امرأته فاطمة بنت المجلل . هلك مسلما ، فقدمت امرأته وابناه ، وهي أمهما ، في إحدى السفينتين ؛ وأخوه حطاب بن الحارث ، معه امرأته فكيهة بنت يسار ، هلك هناك مسلما ، فقدمت امرأته فكيهة في إحدى السفينتين ، وسفيان بن معمر بن حبيب ، وابناه جنادة وجابر وأمهما حسنة ، وأخوهما لأمهما شرحبيل ابن حسنة ؛ وهلك سفيان وهلك ابناه جنادة وجابر في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ستة نفر .

ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب : عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعد [2] بن سهم الشاعر ، هلك بأرض الحبشة ، وقيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد

---

(١) هشام بن أبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ، واسم أبي حذيفة مهشم ، وذكر الواقدي هشاماً . هذا فيمن قدم من الحبشة غير أنه قيل فيه : هاشم ، ولم يذكره موسى بن عقبة ، ولا أبو معشر في القادمين من الحبشة .

(٢) وقد ذكرت بعض النسخ هنا وفيما سيأتي : « سعيد » وهو تحريف . قال السهيلي في الروض الأنف : « وحيثما تكرر نسب بني عدي بن سعد بن سهم يقول فيه ابن إسحاق « سعيد » والناس على خلافه ، إنما هو سعد وإنما سعيد بن سهم أخو سعد ، وهو جد آل عمرو ابن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم ، وفي سهم سعيد آخر وهو ابن سعيد المذكور» .

ابن سهم ؛ وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم، قتل يوم اليمامة فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه، وعبدالله بن حذافة بن قيس بن سعد بن سهم ، وهو رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى . والحارث بن الحارث بن قيس بن عدى ؛ ومعمر بن الحارث بن قيس بن عدى ؛ وبشر بن الحارث بن قيس بن عدى ؛ وأخ له من أمه من بنى تميم ، يقال له سعيد بن عمرو ، قتل بأجنادين فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه؛ وسعيد ابن الحارث بن قيس ، قتل عام اليرموك فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، والسائب ابن الحارث بن قيس ، جرح بالطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقتل يوم فحل [1] فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ويقال : قتل يوم خيبر ، يشك فيه ، وعمير بن رئاب ابن حذيفة بن مهشم بن سعد بن سهم ، قتل بعين التمر مع خالد بن الوليد ، منصرفه من اليمامة ، فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه . أحد عشر رجلا .

ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى : عروة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب ، هلك بأرض الحبشة ؛ وعدى بن نضلة بن عبد العزى بن حرثان ، هلك بأرض الحبشة . رجلان .

وقد كان مع عدى ابنه النعمان بن عدى ، فقدم النعمان مع من قدم من المسلمين من أرض الحبشة ، فبقى حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب ، فاستعمله على ميسان ، من أرض البصرة ، فقال أبياتا من شعر ، وهى :

ألا هل أتى الحسناء أن حليلها	بميسان يُسْقَى فى زجاج وحنتم [2]
إذا شئت غنتنى دهاقين قرية	ورقاصة تجذو على كل منسم [3]
فإن كنت ندمانى فبالأكبر اسقنى	ولا تسقنى بالأصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوءه	تنادمنا فى الجوسق المتهدم [4]

فلما بلغت أبياته عمر ، قال : نعم والله ، إن ذلك ليسوءنى ، فمن لقيه فليخبره أنى قد عزلته ،

---

(١) فحل : موضع بالشام : كانت فيه وقعة للمسلمين مع الروم .

(٢) الحنتم : جرار مصبوغة مخضرة .

(٣) الدهاقين : رؤساء الأقاليم . تجثو : تبرك على ركبتيها . والمنسم : فى الأصل طرف خف البعير . فاستعاره هنا لطرف قدمها .

(٤) الجوسق : الحصن .

وعزله . فلما قدم عليه اعتذر إليه وقال . والله ياأمير المؤمنين ، ماصنعت شيئا مما بلغك أنى قلته قط ، ولكنى كنت امرءاً شاعراً ، وجدت فضلا من قول ، فقلت فيما تقول الشعراء ؛فقال له عمر : وايم الله ، لا تعمل لى على عمل ما بقيت ، وقد قلت ماقلت .

ومن بنى عامر بن لؤى بن غالب بن فهر : سليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر ابن مالك بن حسل بن عامر . وهو كان رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هوذة بن على الحنفى باليمامة . رجل

ومن بنى الحارث بن فهر بن مالك : عثمان بن غنم بن زهير بن أبى شداد ؛ وسعد بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الحارث بن فهر ، وعياض بن زهير بن أبى شداد . ثلاثة نفر .

فجميع من تخلف عن بدر ، ولم يقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، ومن قدم بعد ذلك ، ومن لم يحمل النجاشى فى السفينتين ، أربعة وثلاثون رجلا .

الهالكون منهم : وهذه تسمية من هلك منهم ومن أبنائهم بأرض الحبشة :

من بنى عبد شمس بن عبد مناف : عبيد الله بن جحش بن رئاب حليف بنى أمية ، مات بها نصرانيا .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : عمرو بن أمية بن الحارث بن أسد .

ومن بنى جمح : حاطب بن الحارث ؛ وأخوه حطاب بن الحارث .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب : عبد الله بن الحارث بن قيس .

ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى : عروة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف ، وعدى بن نضلة . سبعة نفر

ومن أبنائهم ، من بنى تيم بن مرة : موسى بن الحارث بن خالد بن صخر بن عامر : رجل .

مهاجرات الحبشة : وجميع من هاجر إلى أرض الحبشة من النساء ، من قدم منهن ومن هلك هنالك ست عشرة امرأة ، سوى بناتهن اللاتى ولدن هنالك ، من قدم منهن ومن هلك هنالك ، ومن خرج به معهن حين خرجن :

من قريش ، من بنى هاشم : رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى أمية : أم حبيبة بنت أبى سفيان ، مع ابنتها حبيبة ، خرجت بها من مكة ، ورجعت بها معها .

ومن بنى مخزوم : أم سلمة بنت أمية ، قدمت معها بزينب ابنتها من أبى سلمة ولدتها هنالك.

ومن بنى تيم بن مرة : ريطة بنت الحارث بن جُبيلة ، هلكت بالطريق وبنتان لها كانت ولدتهما هنالك : عائشة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث ، هلكن جميعاً ، وأخوهن موسى بن الحارث ، من ماء شربوه فى الطريق ، وقدمت بنت لها ولدتها هنالك ، فلم يبق من ولدها غيرها ، يقال لها فاطمة .

ومن بنى سهم بن عمرو : رملة بنت أبى عوف بن ضبيرة .

ومن بنى عدى بن كعب : ليلى بنت أبى حثمة بن غانم .

ومن بنى عامر بن لؤى : سودة بنت زمعة بن قيس ؛ وسهلة بنت سهيل بن عمرو ، وابنة المجلل ، وعمرة بنت السعدى بن وقدان ، وأم كلثوم بنت سهيل بن عمرو .

ومن غرائب العرب : أسماء بنت عميس بن النعمان الخثعمية ، وفاطمة بنت صفوان بن أمية ابن محرث الكنانية ، وفكيهة بنت يسار ، وبركة بنت يسار ، وحسنة ، أم شرحبيل بن حسنة .

من ولد من أبنائهم بالحبشة : وهذه تسمية من ولد من أبنائهم بأرض الحبشة .

من بنى عبد شمس : محمد بن أبى حذيفة ، وسعيد بن خالد بن سعيد ، وأخته أمة بنت خالد.

ومن بنى مخزوم : زينب بنت أبى سلمة بن الأسد .

ومن بنى زهرة : عبدالله بن المطلب بن أزهر .

ومن بنى تيم : موسى بن الحارث بن خالد ، وأخواته عائشة بنت الحارث ، وفاطمة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث .

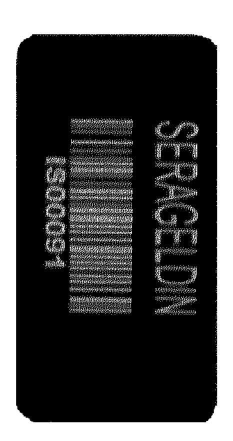
الرجال منهم خمسة : عبد الله بن جعفر ، ومحمد بن أبى حذيفة ، وسعيد بن خالد ، وعبدالله ابن عبد المطلب ، وموسى بن الحارث .

ومن النساء خمس : أمة بنت خالد ، وزينب بنت أبى سلمة ، وعائشة وزينب وفاطمة ، بنات الحارث بن خالد بن صخر .

[تم بعون الله وحسن توفيقه الجزء الثالث من سيرة
ابن هشام ويليه الجزء الرابع نرجو من الله أن يعين على تمامه]

فهرست الجزء الثالث

من سيرة ابن هشام


SERAGELDIN